

صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA
شاري لابينا

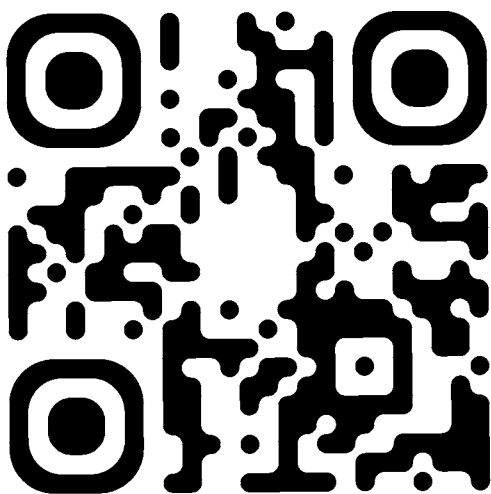
نهاية امرأة

THE END OF HER



مكتبة

رواية | ترجمة: إسراء دياب



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

نهایة امرأة





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● ترجمة: إسراء دياب

● تحرير: محمد المتيّم

● تدقيق لغوي: محمود عاطف

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: أبريل / 2023 م

● رقم الإيداع: 4384 / 2023 م

● الترميم الدولي: 0-227-992-977-978

● العنوان الأصلي: THE END OF HER

● العنوان العربي: نهاية امرأة

● طبع بواسطة:

Transworld, a part of the Penguin
Random House group

● حقوق النشر:

Copyright © Ontario Limited 2023

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

مكتبة

t.me/soramnqraa

صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA
شاري لابينا

نهاية امرأة

THE END OF HER



مكتبة

t.me/soramnqraa

رواية | ترجمة: إسراء دياب

إلى بيلار

مقدمة

مكتبة

t.me/soramnqraa

10 يناير 2009

كريمور، «كولورادو»⁽¹⁾

انهمرت الثلوج بغزارة وبلا هواده لمدة يومين، ولا توجد بارقة أمل في أن تتوقف قريباً. إنه لضرب من الجنون أن يخرج المرء في مثل هذه الأجواء، لكن ليندسي تطمئن نفسها بوجود المحاريث في الخارج. تحقق خارج النافذة بمزاج متعكر. تشعر أنها محاصرة ومضطربة؛ تُطبق عليها الجبال التي تحيط المدينة الصغيرة الواقعة بـ «كولورادو» والتي تبعد ثلاثين ميلاً عن وسط مدينة «دينفر»⁽²⁾، وتحاصرها الثلوج التي لا تذوب. تأتي الثلوج محملة بصمت لا يُحتمل، يجعلها ترغب في الصراخ أحياناً.

يدخل زوجها ورائها إلى غرفة المعيشة الصغيرة والمزدحمة؛ أنشئت الغرفة بثمان بخس، وثُبتت أرفف الكتب المترنحة بالمسامير. سألها باتريك: «هل أنت جاهزة؟».

التفتت، ونظرت إليه وهي تضع يدها على بطنها الكبير الذي يحمل في أحشائه طفلاً. لا يزالان يتعاملان بحرص مع بعضهما بعضاً بعد عراك ليلة أمس.

(1) ولاية أمريكية تقع في غرب وجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

(2) عاصمة ولاية كولورادو. (المترجم)

تغمرها السعادة لرحيلها من هذا المكان حيث تشعر بالعزلة تطبق على حواسها كلها. سيزوران أمها وأختها في «جراند جنكشن»⁽¹⁾ لبضعة أيام بغض النظر عن الثلوج، فالطقس هناك أكثر اعتدالاً. حزما حقائبهما ووضعاهما أمام الباب. تتوق للعودة إلى حضن عائلتها، فهي في أمس الحاجة إلى الصحبة والاهتمام. لم تكن تعلم أن الوضع سيكون بهذه الصعوبة. ستمر بالمقاهي التي تألفها، وستلتقي بالأصدقاء الذين خلّفتهم وراءها؛ سيبتسمون ويتعجبون من كبر حجمها وسيرغبون في لمس بطنها، سيتحمسون بشأن الطفل المنتظر. وستشعر ليندسي بتحسن؛ سيتحسن كل شيء، وستصبح قادرة على العودة إلى هنا ثانية، أو ربما ستقرر البقاء في جراند جنكشن. أخبرها باتريك وهو ينتعل حذاءه ويرتدي معطفه: «سأجرف الثلج عن السيارة».

ثم اعتمر قبعة وارتندي وقفازًا وأضاف: «وسأدفع السيارة من أجلك». أومأت ثم التفتت مجددًا نحو النافذة.

(1) إحدى مدن مقاطعة ميسا الواقعة في ولاية كولورادو. (المترجم)

الفصل الأول

أغسطس 2018

ايلسفورد، نيويورك

وضعت هانا برايت صغيرها تيدي في أرجوحته الموجودة بالشرفة الأمامية وجلست لتقرأ روايتها. سترتفع درجة الحرارة لاحقًا، لكن في الصباح، يكون الطقس لطيفًا في الشرفة بعيدًا عن أشعة الشمس. لاحظت وجود سيارتين متوقفتين أمام المنزل في الجهة المقابلة من الشارع على بُعد منزلين منها. لا بد أن أحداً ما يرغب في شراء المنزل فهو معروض للبيع.

سرعان ما انغمست في قراءة روايتها، لكن بعد فترة وجيزة، أشاحت بنظرها نحو الشارع عندما شعرت بحركة. تعرفت هانا على رجل ضخم البنية يرتدي بذلة رسمية، إنه وكيل العقارات، كان يتحدث إلى امرأة في ممر السيارات. راقبتهما هانا وهي تتساءل ما إذا كانت تلك المرأة تفكر بجدية في شراء المنزل. تعتقد أن المنزل سيُباع سريعًا فلم يمضِ وقتٌ طويلٌ على عرضه للبيع، كما أن هذا الحي السكني مرغوبٌ فيه. تتمنى لو يباع المنزل لعائلة في مستقبل العمر، فهي ترغب في أن يحصل تيدي، الذي يبلغ من العمر ستة أشهر الآن، على الكثير من الأصدقاء. في الجهة المقابلة من الشارع تمكث أمٌ لطيفة جدًا تدعى ستيفاني لديها توأمان تبلغان من العمر أربعة أشهر، تمكنت هانا من مصادقتها. إلا أن هذه المرأة تبدو وحيدة تمامًا، بلا زوج أو أطفال.

بعد مصافحة أخيرة، سارت المرأة بعيدًا عن الوكيل واتجهت نحو سيارتها المتوقفة. لكن ما إن وصلت إلى الشارع حتى نظرت إلى هانا وهي تجلس

في شرفتها وتوقفت. وما أثار دهشة هانا، أنها عبرت الطريق وسارت باتجاه منزلها. تساءلت هانا عما تريده هذه المرأة.

حيثها المرأة بنبرة ودودة: «مرحبًا».

لاحظت هانا أن المرأة تبدو في مطلع الثلاثينيات من عمرها، وهي بلا شك جذابة للغاية. تتمتع بشعر أشقر يلامس كتفها، وتمتلك قوامًا حسنًا، كما أن لها مظهرًا تحسد عليه. بعد أن ألقت هانا نظرة خاطفة على يدي لتتأكد من أنه هادئ وسعيد، وقفت وهبطت درجات الشرفة ثم سألتها باحترام: «مرحبًا، كيف أستطيع مساعدتك؟».

أجابت المرأة وهي تعبر الطريق: «كنت أتفقد المنزل في الجهة المقابلة من الشارع».

خطت هانا بضع خطوات لملاقاتها، وهي تحمي عينيها من أشعة الشمس بيديها. سألتها المرأة: «هل تمانعين لو طرحت عليك بعض الأسئلة بشأن الحي؟». إذا هي تفكر بجدية في شراء المنزل، هذا ما فكرت فيه هانا، ما أصابها بخيبة الأمل.

أجابت: «بالطبع».

- أنا وزوجي مهتمان بهذه المنطقة، هل تعتقدين أن المكان ملائم لتربية الأطفال؟

أومأت باتجاه أرجوحة الطفل الموجودة على الشرفة وابتسمت: «أرى أن لديك طفلًا».

شعرت هانا بالارتياح لها، وشرعت في وصف الحي بحماسة. ربما كانت المرأة حاملًا بالفعل لكن لا يظهر عليها شيء بعد.

في نهاية حديثهما، شكرتها المرأة ثم عادت إلى سيارتها. أدركت هانا أنها لم تعرف اسم المرأة. حسنًا، إن اشترت المرأة المنزل فسيستسنى لهما الكثير من الفرص للتعارف. إلا أنها انتابها شعور غريب لم تدركه. شرع يدي في البكاء، وما إن حملت هانا يدي من الأرجوحة، تبين لها ما الخطب؛ لم تكن المرأة ترتدي خاتم زواج. لا بأس، فهذه الأيام يُكوّن العديد من الأشخاص عائلات خارج إطار الزواج، بيد أنها ذكرت شيئًا عن زوجها. لكن، من يتفقد منزلًا دون وجود شريكه؟

وضعت ستيفاني كيلجور توأمتيها في مهدهما في الطابق العلوي من أجل قيلولة الصباح، ثم جلست قليلاً على الأريكة في غرفة المعيشة وأراحت ظهرها وأغلقت عينيها. لقد بلغ منها التعب مبلغاً عظيماً فلا تدري كيف تحمل نفسها على الاستيقاظ في السادسة كل صباح عندما تبدأ الصغيرتان بالبكاء. لم يحذرهما أحد بشأن ما ستلاقيه، ولم تنتهياً لكل هذا مطلقاً.

استراحت للحظة، تاركة جسدها المنهك يغوص بين المساند، وشعرت بثقل رأسها على الوسادة. سمحت لجسدها أن يتراخي، إن لم تنتبه بالقدر الكافي ستغفو وهي جالسة، ولن يكون هذا أمراً محموداً، فالتوأمتان لا تنامان لأكثر من نصف ساعة في الصباح، وهي فترة وجيزة جداً لا تستحق المعاناة التي ستتكبدها لإيقاظ نفسها. ستستريح بشكل أفضل عندما تحظى التوأمتان بقيلولتهما الأطول نسبياً في الظهيرة.

ترى ستيفاني أن طفليتيها التوأمتين، إيما وجاكي، هما أفضل شيء حدث لها على الإطلاق، لكنها لم تتوقع أن يكون الأمر بهذه الصعوبة، ولم تتخيل مدى الضرر الذي سيعود على جسدها وعقلها أيضاً، فأثار ليالي الأرق المتراكمة تظهر جليّة عليها الآن. تحدث الأشخاص الذين عرفوا أنها ستلد توأمتين، حيث إنها لم تُخفِ الأمر على أحد، بنبرة مازحة عن صعوبة إنجاب توأمتين. كانت تبتسم لهم فقط، فقد غمرتها السعادة بسبب حملها، وكانت تشعر بالفخر سرّاً لأنها بصحة جيدة، ويتأقلم جسدها بسهولة مع كل هذه التغيرات.

لطالما كانت ستيفاني مهووسة بالسيطرة، لذلك كرّست الكثير من الوقت لوضع خطة ولادتها، كي يتم كل شيء كما ينبغي. لم تكن مطمئنة لخطةها لدرجة الاستغناء عن الأدوية، إلا أنها رغبت في ولادة طبيعية للتوأمتين.

لكن ما إن وصلت إلى جناح الولادة حتى انقلبت خطتها رأساً على عقب، فقد انتهى بها المطاف بتوأمتين في حالة حرجة وولادة قيصرية طارئة. فعوضاً عن الموسيقى الهادئة والإضاءة الخافتة والتنفس الطبيعي، كانت محاطة بضجيج الآلات، ومحاولات لخفض معدل ضربات القلب وطاقم طبي محتشد، وتُدفع بكرسي متحرك إلى غرفة العمليات. تذكرت زوجها، باتريك، وهو يقبض على يديها وقد شحب وجهه من الخوف. لكن ما تذكره بوضوح أكثر، بجانب ذعرها حين نقلوا الطفلتين مباشرة إلى العناية المركزة قبل أن تتمكن من لمسهما، هو الارتجاف والتشنجات والغثيان بعد الولادة. لحسن الحظ، كانت الطفلتان على ما يرام، بصحة جيدة ووزن مثالي.

كان من الصعب مقاومة الشعور بالفشل في الأيام الأولى وهي تجاهد ضد الأرق وآلام العملية القيصرية، والإحباط المصاحب لإرضاع طفلتين طوال الوقت تقريباً... كان الأسبوعان الأولان بعد ولادة التوأمتين هما أصعب ما مرت به ستيفاني. لكن سرعان ما بدأت التوأمتان بالرضاعة جيداً، لكنها لم تنفك عن التفكير في الضغط الذي شعر به الجميع بسبب العملية القيصرية. «نحن لا نملك الخيار دائماً»، هذا ما قالت له لنفسها. الشيء الأهم أنها والطفلتين بصحة جيدة. يجول بخاطر ستيفاني هذه الأيام كم كانت ساذجة قبل الولادة. السيطرة هي مجرد وهم.

ثم جاء مغص الرضع⁽¹⁾... لم تتم الطفلتان جيداً منذ ولادتهما، ثم ازداد الوضع سوءاً عند بلوغهما ستة أسابيع؛ كانتا تبكيان وتصرخان ولا تخلدان للنوم أبداً. أخبرتها طبيبة الأطفال، الطبيبة براشاد، أن الأمور ستتحسن عند بلوغهما اثني عشر أسبوعاً. وقد بلغا ذلك بالفعل منذ شهر منصرم، لكن لم يتحسن أي شيء. الآن، يعتمد كلٌّ من ستيفاني وباتريك على عزيمةهما المجردة فقط للمُضيّ قدماً. لم يحظ الزوجان بليلة واحدة من النوم الهانئ منذ ولادة التوأمتين؛ فالطفلتان تبدآن بالهياج مع بداية المساء وتستمران حتى الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل، ثم تستيقظان مجدداً في السادسة صباحاً. «وحشي» هذه هي الطريقة الوحيدة لوصف الوضع.

هدأت أنفاس ستيفاني وفي غضون لحظات، غابت عن الوعي.

فجأة، أيقظها صوت صفير حاد وعالٍ ومُلِحٌّ من نومها؛ شعرت بالارتباك وتشوشت أفكارها. إنه صوت جهاز إنذار الحرائق، تشم رائحة دخان في المنزل. ترنحت حتى وقفت على قدميها وقد اتسعت عيناها بفرع؛ تنبعث الرائحة من المطبخ. فكرت في التوأمتين في الطابق العلوي وقد شلت أطرافها لوهلة، ثم هرعت نحو المطبخ. هناك مقلادة على الموقد وقد اضطربت بها النيران. للحظة، وقفت في مدخل الباب بذهول، لا تذكر أنها وضعت أي شيء على الموقد. بسرعة، دلفت إلى المطبخ، وبحثت بلهفة عن مطفأة الحريق الموجودة في الخزانة العلوية قرب الموقد. وجدتها لكنها لم تذكر كيف تستخدم المطفأة من هول الموقف. أدارت وجهها لتتنظر إلى النيران وقد

(1) مغص الرضع أو مغص الأشهر الثلاثة هو الصياح أو الصراخ المستمر لأكثر من ثلاث ساعات يومياً دون أي سبب معروف، عادةً يبدأ المغص بعد الولادة بأسبوعين ويختفي فجأة قبل أن يبلغ الطفل من العمر ثلاثة إلى أربعة أشهر. (المترجم)

ارتفعت ألسنتها محاولةً التهام السقف، لكنه ما زال في منأى عنها. تسمع صوت أزيز النيران، والحرارة من حولها لا تُحتمل. ينبض قلبها بجنون بينما تحاول أن تتخذ القرار السليم؛ هل تبقى هنا وتستنفذ اللحظات الثمينة في محاولة استخدام مطفأة الحريق، أم تسرع إلى الطابق العلوي حيث الطفلتان؟ هل لديها ما يكفي من الوقت للخروج بهما؟ هل تتصل بالنجدة أولاً؟ فجأة، أدركت ما ينبغي لها فعله؛ فتحت خزانة سفلية عنوة وسحبت غطاء معدنيًا وألقته على المقلادة. بعد انقطاع الأكسجين، هدأت النيران وخمدت تمامًا. التقطت قفازًا حراريًا ومدت يدها لتغلق الموقد.

وقفت ستيفاني وقد تراخت أوصالها. تفوح رائحة الدخان من الغرفة. عيناها تؤلمانها وتدمعان. اتكأت على منضدة المطبخ وهي ترتجف بعد زوال الخطر. ما زال صفير الإنذار مستمرًا، لكن هذه المرة لم يكن إنذار الحريق بالمطبخ بل كان الإنذار في الطابق العلوي. شغلت المروحة فوق الموقد وفتحت النوافذ فوق حوض المطبخ وهرولت إلى الطابق العلوي. عليها أن تحضر موطئ القدمين من غرفة النوم حتى تستطيع الوقوف عليه والوصول إلى إنذار الحريق الذي لا يهدأ في الردهة؛ أخيرًا، استطاعت إيقافه بيدين مرتعشتين. مكّنها الهدوء المفاجئ من سماع صوت الطفلتين تنتحبان، وقد أفرعهما صوت الإنذار.

أسرعت إلى غرفة الأطفال، وهي تهمس: «هش، هش». حملت الطفلتين واحدة تلو الأخرى وهدأتهما وقبلت وجناتهما الناعمة. لن تعودا إلى النوم الآن، فهما منزعجتان جدًّا. حملت جاكى ثم إيما إلى الطابق السفلي ووضعتهما مع قليل من ألعابهما المفضلة في مساحة اللعب المخصصة لهما في غرفة المعيشة ثم عادت إلى المطبخ.

أصبح الهواء صافيًا، لكن لا يزال المكان يفوح برائحة الدخان. حدّقت إلى المقلادة الموضوعة على الموقد بخوف. أمسكت بالقفاز الحراري ورفعت الغطاء المعدني، لم تكن المقلادة تحتوي إلا على قليل من الزيت، هل كانت ستقلي شيئًا؟ لا تستطيع أن تتذكر. كيف تضع المقلادة على الموقد وتنسى أمرها تمامًا وتدع نفسها تغفو؟ أربعها التفكير في احتمالية انتشار الحريق سريعًا.

عادت إلى غرفة المعيشة مضطربة وجلست على السجادة وأراحت ظهرها على الأريكة؛ احتضنت الطفلتين، قبلت رأسيهما الناعمين، ومسدت وجناتهما وهي تحبس دموعها.

همست: «أنا آسفة، أنا آسفة جدًا».

هذا المساء، عندما يعود باتريك يجب أن تتذكر إخباره بشأن فحص إنذار الحريق في المطبخ.

الفصل الثاني

يوم الاثنين، بعد الغداء مباشرة، كانت ستيفاني تحدد إلى حائط عيادة طبية الأطفال بجفون مثقلة بالتعب. كانت الليلة السابقة مرهقة بشكل لا يُحتمل. ما زالت الطفلتان تتلويان في عربتهما المزدوجة، إلا أن هذه هي الطريقة الأسهل لحملهما. تتمنى ألا تغيب الطبيب طويلاً؛ فأحد الدروس التي تعلمتها ستيفاني بعد أن أصبحت أمًا للمرة الأولى هي أهمية التوقيت. تأمل أن تبقى الطفلتان مستيقظتين حتى موعد الكشف، ثم تناما في السيارة خلال المسافة القصيرة التي تستغرقها للقيادة إلى المنزل؛ ستحملهما واحدة تلو الأخرى إلى داخل المنزل من أجل قيلولة الظهر وهما نائمتان، سترك إحدهما داخل السيارة وتغلقها بينما تحمل الأخرى إلى داخل المنزل...

فُتح الباب فجأة وابتسمت الطبيبة براشاد في وجهها. تعلم ستيفاني أن الطبيبة أم هي الأخرى، وأنها تفهم الأمر جيدًا، حتى وإن لم تكن أمًا لتوأمتين. سألتها الطبيبة بعطف: «كيف الحال؟».

من الطبيعي أن تسألها، فستيفاني قدمت دون ميعاد سابق، لكنها ليست المرة الأولى التي تزورها ستيفاني بهذه الطريقة. اعترفت ستيفاني وهي تبتسم بتعب: «سيئ».

اغرورقت عيناها على الفور. سحقا، لماذا ترغب في البكاء كلما أظهر لها أحدهم القليل من التعاطف هذه الأيام؟ إنه الحرمان من النوم، نعم، هذه هي المشكلة ببساطة شديدة. إن لم تحصل على قدر كافٍ من النوم في القريب العاجل، ستفقد صوابها.

أشاحت بنظرها بعيدًا عن الطبيبة ونظرت إلى الطفلتين.

نظرت إليها الطبيبة براشاد باهتمام بالغ وقالت: «مغص الرضع حالة صعبة جدًا، لا أستطيع أن أتخيل كيف تتعاملين مع طفلتين في نفس الوقت».

أجابت ستيفاني بابتسامة واهنة: «إنه الجحيم ذاته. تبدآن بالبكاء في السابعة مساءً تقريبًا وتستمران حتى الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل. كل يوم، بلا هوادة. أضطر أنا وباتريك إلى وضعهما في الأرجوحتين والاستماع إلى بكائهما وصراخهما حتى نحضر بعضًا من طعام العشاء. وفور انتهائنا، نحملهما وندور حول غرفة المعيشة لساعات».

دلكت عينيها بيديها وأضافت: «قرأت كتب تربية الأطفال كلها، جربنا كل شيء، لكن لم تأتِ أيُّ من محاولتنا بثمارها».

ترددت قبل أن تضيف: «هل أنتِ واثقة أنه لا يوجد خطب بهما؟ أعني... هل غاب عنا شيء ما؟».

لا تريد أن تنتهم الطبيبة بشيء لكنها...

تنهدت الطبيبة وقالت: «الطفلتان بصحة جيدة، وقد فُحصتا بالكامل. أدرك أن جهلنا بشأن المغص لا يسهل الأمور عليك، لكن أعدك أن الأمور ستتحسن».

استجمعت ستيفاني رباطة جأشها وسألتها: «لكن متى؟ إلى متى سيستمر هذا كله؟».

تسمع صوتها محملاً بالإرهاق واليأس إلى الحد الذي جعلها تبغض ذاتها؛ تبدو متدمرة لا تستطيع التأقلم، وهي تمقت هذا النوع من النساء. لطالما كانت امرأة قادرة على التأقلم، بل والتأقلم جيدًا.

هزت الطبيبة رأسها وقالت: «لا توجد طريقة لمعرفة ذلك، أنا آسفة. عادةً يتوقف المغص فجأة، ستتخطيان هذه المرحلة؛ كما أخبرتك سابقًا، يتخطى معظم الأطفال مغص الرضع بعد مرور ثلاثة أشهر، لم أسمع قط بطفل في الثانية من عمره يعاني مغص الرضع».

لم تستطع ستيفاني أن تحمل نفسها على إخبار الطبيبة بالسبب الحقيقي وراء هذه الزيارة المفاجئة. كادت أن تحرق المنزل وزوجها في العمل؛ اضطرب باتريك كثيرًا عندما أخبرته، لا تذكر أنها وضعت المقلادة على الموقد حتى، ماذا لو ظنت الطبيبة براشاد أنها أمٌ غير مسؤولة؟

لا تدري لِمَ تكبّدت عناء المجيء، بالطبع لن تستطيع الطبيبة أن تقدم لها أي معونة؛ سبق وأخبرتها بنفس الكلام اللطيف في آخر زيارة لها.

سألت ستيفاني بياس: «هل أرتكب أي أخطاء؟».

- لا، لا أجد أي أخطاء فيما تقولينه، أطلعيتني على روتينك اليومي، وأنت تقومين بكل شيء على أكمل وجه. تواجهين خطأ سيئاً فقط، هذا كل ما في الأمر.

ثم أضافت الطيبية براشاد بصوت لطيف: «سيتحسن الوضع». أومأت ستيفاني بوهن.

- أهم شيء الآن أن تعتني بنفسك خلال هذه الفترة، ألا يوجد أي شخص يستطيع مساعدتك؟ جليسة أطفال أو أفراد من العائلة يمكنهم مجالسة الأطفال في الليل أو لبضع ساعات حتى تحظي بقليل من النوم؟ - جربنا هذا كله، لكن لم أستطع النوم وسط الضوضاء.

يتسبب صوت انتخاب طفليتيها وهما تتألمان في شعور غريزي بداخلها لا تستطيع تجاهله ببساطة. نظرت إليهما؛ توقفت الطفلتان عن التملُّل داخل العربة المزدوجة الآن، كما بدا عليهما النعاس. عليها أن ترحل سريعاً حتى تتمكن من إيصالهما إلى المنزل والحصول على قيلولة، فالساعتان أو الثلاث ساعات التي تنامها في الظهيرة بالإضافة إلى الساعات الأربع بين الثانية والسادسة صباحاً هو كل ما يمكنها الحصول عليه من نوم. في أغلب الليالي، ترغب زوجها على النوم رغم اعتراضه الشديد بينما تحاول السيطرة على الطفلتين وحدها حتى يستطيع الذهاب إلى عمله في الصباح وممارسة يومه. بعد انتهاء الموعد، دفعت العربة المزدوجة خارج العيادة نحو سيارتها المتوقفة في الشارع. وضعت التوأمتين في مقاعد الرضع المخصصة لهما في السيارة وتساءلت إن كان ينبغي لها القيادة، هل القيادة آمنة لها؟ أصبحت ردود أفعالها بطيئة بشكل خطير مؤخراً. هي منهكة جداً؛ كادت تقود السيارة دون أن تضع عربة الأطفال المزدوجة في صندوق الأمتعة بعد ربط أحزمة الأمان للطفلتين، وغلق البابين الخلفيين. يا إلهي! هذا ما فكرت فيه عندما لاحظت العربة تقف وحدها على الرصيف في اللحظة الأخيرة. إنَّ ضياع العربة يعني إهدار ألف دولار، فبالطبع لن تظل العربة في مكانها و بانتظارها حتى تكتشف خطأها وتعود لإحضارها. «تماسكي!»، ذكرت نفسها.

بحرص شديد، قادت السيارة لمدة عشر دقائق من وسط مدينة ايلسفورد حتى الضواحي الهادئة حيث يقطنون. انعطفت نحو شارعهم ثم توقفت

عند مدخل السيارات وأوقفت السيارة، نظرت خلال المرآة الخلفية ووجدت الطفلتين نائمتين. حمدًا لله.

حملت الطفلتين إلى داخل المنزل ووضعتهما في مهدهما. كلاهما تغط في نوم عميق. لم لا تنامان هكذا في الليل؟ حاولت ذات ليلة أن تضعهما في السيارة وهما تبكيان ودثرتهما بالأغطية وجابت أرجاء المدينة حتى تناما، لكن الطفلتين استيقظتا بمجرد أن عادتا للمنزل. إنه لأمر محبط للغاية؛ لم يسبق وأن شعرت بكل هذا القدر من العجز في حياتها كما تشعر به في وجه طفل يبكي ولا يهدأ، أو بمعنى أدق، طفلتين.

أمسكت بجهاز مراقبة الأطفال وسارت باتجاه غرفتها بهدوء، تجاهلت أكوام الملابس المتسخة في سلة الملابس بغرفة الغسيل، والرائحة النتنة المنبعثة من سلة مهملات الحفاضات التي تمتلئ بسرعة. جُلُّ ما ترغب به هو النوم فقط؛ سمعت أن الحرمان من النوم لوقت طويل قد يصيب بعض الأشخاص بالجنون ومن الممكن أن يبدووا في تخيل أشياء غير حقيقية. ما إن وضعت رأسها على الوسادة، فكرت مجددًا في جهاز إنذار الحرائق في المطبخ ولم لم يتوقف ذلك اليوم، لم يجد باتريك خطبًا به. ثم نامت.

الفصل الثالث

عاد باتريك كيلجور إلى مكتبه بعد اجتماع غير موفق مع عميل جديد، توقع أن تسير الأمور بشكل أفضل، لكن يبدو أنه فقد لمستته الخاصة وبريقه المميز. شعر باتريك بعيني شريكه في العمل تراقبانه خلال عرضه التقديمي؛ رmqه «نايل» بنظرة فاحصة بعدها.

«تمالك نفسك»، أخبره ثم سار بعيدًا.

ألقي باتريك بجسده على كرسي مكتبه ودار إلى الراء ليحدق من خلال النافذة، بالكاد يرى ما أمامه: الجسران المقوسان الممتدان فوق نهر «هدسون»، ومن خلفهما تطل جبال «كاتسكيل» في الأفق البعيد. يشعر بعينه تحترقان من التعب ويجسده وقد تيبَّست أوصاله؛ لقد مضت أسابيع طويلة دون أن يحصل على قسط كافٍ من النوم، وها هو يتكبد خسائر الحرمان من النوم. ربما عليه أن يعاود الاتصال بالعميل مرة ثانية عندما تتحسن حالته ويشعر بِطَاقَةٍ أعلى ويصبح تركيزه أفضل.

لا تزال الساعة الرابعة عصرًا، لكنه يشعر بثقل جفون عينيه بالفعل؛ التفت مجددًا إلى مكتبه، وللحظة، نظر بشوق إلى الأريكة الجلدية التي تمتد بطول الحائط أمامه، ثم أعاد انتباهه إلى الحاسوب أمامه، حلَّ ربطة عنقه وفتح الزَّرَّ الأول من قميصه؛ عليه أن ينجز بعض الأعمال قبل العودة إلى المنزل، فمن المستحيل العمل هناك.

هو بحاجة إلى الكافيين، نهض وتوجه نحو غرفة الاستقبال ليحضر لنفسه كوبًا من القهوة. هناك امرأة تجلس، منكَّسة الرأس وتنصفُ مجلة، لمحها بطرف عينيه، لاحظ ملامحها وشعرها الأشقر ثم نظر سريعًا مجددًا؛ لحسن الحظ، لم تكن كيري موظفة الاستقبال ذات العينين الثاقبتين في

مكتبها لتلحظ أي شيء. وقف أمام ماكينة القهوة، وأدار ظهره إلى المرأة، لا يبدو أنها لاحظت وجوده.

إيريكافوس، يمكنه التعرف عليها في أي مكان؛ لكن رؤيتها هنا صادمة للغاية، ماذا تفعل هنا؟ لقد مضى أكثر من تسع سنوات منذ أن رآها لآخر مرة؛ فجأة، شعر بذكريات الماضي تتزاحم في عقله.

لم يعد يشعر بالنعاس، فالجرعة المفاجئة من الأدرنالين قد أيقظته تمامًا، يا ترى كيف سيكون الوضع إن أشاحت بنظرها بعيدًا عن المجلة وتعرفته؟

سمع نايل يقترب من قاعة الانتظار، سيضطر باتريك إلى مواجهتها حتى يعود إلى مكتبه، استدار ببطء، رفعت رأسها ونظرت إليه، لم يبدو أنها تعرفته على الإطلاق، ثم وقفت والتفتت نحو نايل؛ مد نايل يده إليها ليصافحها.

- أنا آسف، هل انتظرتني طويلًا؟ يبدو أن كيري ليست على مكتبها. لاحظ نايل أن باتريك يقف بجوار ماكينة القهوة، أشار نحو باتريك وأضاف: «أنا نايل فوت، وهذا شريك، باتريك كيلجور».

جف حلق باتريك فلم ينبس بكلمة، تسمر مكانه، ولم يخط خطوة واحدة ليصافح يدها؛ ارتسمت على شفثيه ابتسامة صغيرة وباردة، لا يبدو عليها أنها تعرفته حتى الآن، لكنه لن يُخدع بسهولة، فهي أفضل منه في إخفاء دهشتها؛ لطالما أعجبت به رباطة جأشها.

- ستجري السيدة فوس مقابلة من أجل وظيفة المساعد الإداري المؤقت. قال نايل، ثم اصطحبها خلال الرواق حتى مكتبه، غافلًا عن اضطراب باتريك الخفي.

سمع باتريك باب المكتب يوصد، وقد بدأ صوت نايل يتلاشى شيئًا فشيئًا. استدار مجددًا نحو ماكينة القهوة، وبدأ بإضافة اللبن والسكر إلى كوبه؛ لاحظ أن يديه ترتعشان.

ماذا تفعل إيريكافوس في ايلسفورد؟ آخر ما سمعه عنها أنها في دينفر. قرر العودة إلى منزله باكراً؛ ترك القهوة على المنضدة وأحضر حقيبته من مكتبه ورحل.

استيقظت ستيفاني من نوم عميق على صوت فتح الباب الأمامي؛ ارتبكت للحظة، نظرت إلى الساعة الموضوعة على المنضدة بجانبها، ما زال الوقت مبكرًا على الرابعة والنصف عصرًا. جلست سريعًا لتسمع؛ الغرفة معتمة والستائر منسدلة على النوافذ. سمعت شخصًا ما يتمشى في الطابق السفلي، نظرت إلى جهاز مراقبة الأطفال، لا تومض الأضواء، والطفلتان تغطان في نوم عميق حتى الآن.

نهضت من السرير سريعًا مما أصابها بالدوار، شعور ناتج عن مزيج من الإرهاق وانخفاض ضغط الدم. مشت بهدوء خلال الردهة حتى وصلت إلى أعلى الدرج، رأت باتريك واقفًا أسفلها وكان ينظر إليها. يبدو أن هناك خطابًا به لكنها لا تدري ما الأمر، ربما لأنه عاد مبكرًا إلى المنزل على غير عادته.

سألها بلطف: «هل أيقظتك؟ كنت أتمنى ألا أوقظك».

سألته وهي تهبط درجات الدرج: «ما الأمر؟».

أجابها: «لا شيء، غادرت الشركة مبكرًا، هذا كل شيء، أنا متعب فقط».

قالت وهي تمنحه عناقًا دافئًا وقبله: «أشعر بك».

ثم أضافت: «كيف سار الاجتماع؟».

قطب حاجبيه وهز كتفيه. انتابها شعور بالشفقة تجاهه.

أجاب: «سيئ».

تدرك كم يعاني مؤخرًا، لا يخفي الأمر عنها؛ يخبرها دائمًا بكل شؤون العمل. فهي لا تحب أن تبقى جاهلة بمجريات الأمور، تريد أن تعرف كل شيء.

هي قلقة بشأنه، بالنسبة إلى المهندس المعماري؛ فقد تكلفه الأخطاء ثمنًا فادحًا؛ عليه أن ينتبه لكثير من التفاصيل، وبما أنه لا يحصل على قسط كاف من النوم... تذكر نفسها بأن عليهما تحمّل الأمر قليلًا فقط؛ قريبًا ستبدأ الطفلتان بالنوم جيدًا، وسيحظيان بدورهما على قسط كاف من النوم وسيتاقلمان بشكل أفضل.

نظرت إليه من كتب؛ الآن تدري ما خطبه، إنه يضغط أسنانه كما لو أنه قلق بشأن شيء ما. يبدو منهكًا مثلها، إلا أن هناك اضطرابًا غير معتاد بالإضافة إلى كل هذا.

سألته بحنو: «ما الأمر؟ تبدو متوترًا قليلًا».

- متوتر؟ لا، أنا لست متوترًا، أنا فقط... لم أكن بكامل تركيزي في الاجتماع اليوم، ولم أظهر بطاقتي المعتادة. لا أعتقد أنني أبهرتهم بما يكفي.

هز كتفيه وأضاف: «ربما كان عليّ أن أخبرهم أن لديّ توأمتين تعانيان مغص الرضع في المنزل».

شعرت بحدّة في كلامه، لذا اعتدلت في وقفعتها قليلًا، بدا وكأنه يلومها؛ حاولت ألا تبدي أي ردة فعل، وأخذت نفسًا عميقًا.

قالت بعد لحظة: «اسمع، كلانا لا يقدر على العمل جيدًا هذه الأيام، نحن منهكان. وهذه هي طبيعة الأمور، لكننا سنتجاوز هذا الوضع».

وضعت يدها على كتفه ونظرت مباشرة في عينيه المتعبتين: «سيتحسن كلُّ شيء».

تذكرت كيف أخبرها بشيء مماثل منذ ليلتين؛ عليهما مساندةٌ ودعمٌ بعضهما بعضًا، هذا ما اعتادًا فعله خلال هذه الليالي الطويلة التي تعاني فيها التوأمتان المغص. أومأ لها، وارتسمت على شفثيه الابتسامة التي تحب. قبلها ثم أضاف: «أعلم».

- لم لا تستريح على الأريكة وتغلق عينيك قليلًا؟ سأجهّز العشاء قبل أن تستيقظ الفتاتان.

دلفت إلى المطبخ وبدأت بالتجهيز سريعًا، ستستيقظ الطفلتان قريبًا. عندما ألقت نظرة على غرفة المعيشة لاحقًا، توقّعت أن تجد زوجها نائمًا بالفعل، لكنه لا يزال مستيقظًا ويحدق إلى السقف. ثم سمعت صراخ الطفلتين، يجب أن تستعد لليلة طويلة ومرهقة.

الفصل الرابع

عندما وصل باتريك إلى مكتبه في الصباح التالي، فتح نافذة بريده الإلكتروني وتَفَقَّدَ الرسائل بعينه، ثم توقف فجأة؛ هناك رسالة من إيريكاً قوس. تسمرت أنامله فوق الفأرة، وفكر في مسح الرسالة دون أن يقرأها؛ لكنه يعلم أنه لن يكون تصرفاً حكيماً، لذا ضغطها ليقرأها.

مرحباً باتريك،

أتوقع أنك تفاجأت برؤيتي مجددًا. هل من الممكن أن نتقابل ونتحدث من أجل الأيام الخوالي؟ وربما نحتسي شرابًا معًا؟

بالتوفيق، إيريكاً.

تبدو الرسالة طبيعية، لكنه يشعر بعدم الارتياح؛ يفضل ألا ينبش في قبور الماضي، بالأخص هذا الأمر، لكنه لا يستطيع تجاهلها. تردد قليلاً ثم كتب رده.

مرحباً إيريكاً،

يمكننا أن نلتقي ونحتسي شرابًا سريعًا معًا. يا له من عالم صغير.
باتريك.

حذق إلى ما كتبه للحظات وتساءل إن كان يقترب خطأ ما، ثم ضغط إرسال؛ راقب الحاسوب بقلق لبضع دقائق، في انتظار الرد الذي لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى وصله.

رائع! في الواقع أنا أعيش بالقرب من هنا؛ في «نيوبورغ»⁽¹⁾،
يمكنني مقابلتك اليوم في ايلسفورد لاحتساء شراب بعد
العمل. هل يناسبك ذلك؟
إيريك.

سقط قلبه في جوفه؛ من المفترض أن تكون في دينفر. إلام تخطط؟ لم
كانت في مكتبه؟ لم ترغب في لقائه؟ ازداد ارتباك.

جلست إيريك في غرفة معيشة منزلها بنيوبورغ تحقق إلى شاشة
حاسوبها المحمول، بانتظار الرد. تتخيل باتريك وهو جالس أمام حاسوبه
في مكتبه بشارع «بليكر» وقد تلَوَّن وجهه الوسيم بلامح الدهشة؛ يتساءل
بماذا يجيب في هذه اللحظة بالضبط.

كانت ردة فعله ممتعة عندما رآته في مكتبه بالأمس. هو شريك في شركته
المعمارية الصغيرة حيث توجد المكاتب في الطابق الرابع من مبنى جديد
ولامع في وسط المدينة. يبدو أنه يُبلي بلاءً حسنًا، وهي غير متفاجئة بهذا
الأمر، لطالما كان طموحًا، لكن دهشته برؤيتها لم تخف عنها.

لقد مضى أكثر من تسع سنوات منذ آخر حديث لها مع باتريك. أشاحت
بنظرها بعيدًا عن حاسوبها وتفقدت منزلها المؤثت بتواضع. كان جليًا أنها
انتقلت لتوها. سمعت صوت وصول رسالة، فنظرت مجددًا إلى الحاسوب
وابتسمت.

(1) إحدى مدن ولاية نيويورك. (المترجم)

ما رأيك في «ذا بايلوت» في الخامسة مساءً؟ يقع في
شارع «بريستو».
باتريك.

رائع، أراك هناك.
إيريك.

لم تعتقد أنه سيرفض مقابلتها، فهناك تاريخ حافل يجمعهما معًا. تتساءل
كيف أصبح الآن وهل تغيرت شخصيته أم لا؛ لكنها لا تعتقد ذلك.

قبيل الخامسة مساءً، غادر باتريك مكتبه وتوجه نحو الحانة التي تقع في
شارع جانبي صغير بوسط المدينة. لا يتوقع أن يقابل أي شخص يعرفه، فـ
«ذا بايلوت» ليس من الأماكن الراقية التي يرتادها عادةً، ضبط ربطة عنقه
بتوتر وهو يسير في اتجاه الحانة؛ تأخر خمس دقائق عمدًا. جاب الحانة شبه
المظلمة بعينه بحثًا عنها.

وجدها تجلس وحيدة في إحدى الزوايا، تحتسي زجاجة من الجعة؛ لم
تتغير كثيرًا، إلا أنها فقدت قليلًا من رشاققتها المعهودة، كانت فاتنة في مقتبل
العشرين من عمرها؛ شعر أشقر طبيعي وملامح جميلة وبشرة رائعة. للحظة،
حرق إليها، لكنها التفتت ورأته، وبدا أنها توقفت قليلًا.
ابتلع ريقه ثم سار باتجاهها.

- إيريك.

حياها عندما وصل إلى طاولتها. التقط أنفه رائحة عطرها المثير والمربك؛
نفس العطر الذي كانت تستخدمه حينها، منذ سنوات عدة؛ للحظة، شعر
أنه عاد بالزمن إلى كولورادو، حيث يجلسون جميعًا في حانتهم المفضلة،
يضحكون ويحتسون الجعة؛ كلهم في مقتبل العمر، وأمامهم حياة طويلة
ليحيوها. تجلس ليندسي بجواره وتضع يدها بهدوء على بطنها الحامل، بينما
تنظر إيريك إلى من الجهة المقابلة من الطاولة.

«باتريك»، حيثه عندما جلس أمامها، «تبدو في حال جيدة».

تمنى لو أنه أحضر زجاجة جعة من بار المشروبات قبل أن يجلس، عوضاً عن انتظار مرور النادل حتى يُدَوَّن طلبه. حاول أن يبتسم لإيريكاً رغم انزعاجه. عادةً، لا يجد صعوبة في التعامل مع الناس؛ لكنه لا يستطيع قراءة الموقف الآن. جلسا في صمت مُربك.

اقترب منه نادل، لكن باتريك غيّر رأيه حول الجعة وقال: «أريد «سكوتش»⁽¹⁾ من فضلك».

لقد تغير ذوقه في عدة أشياء، يا ترى هل تغير ذوقها هي الأخرى ولا تثق بنظافة الكؤوس في هذا المكان بكل بساطة؟ هل تستطيع أن تشعر بتوتره؟

- إذاً، تقطنين في نيوبورغ الآن؟

- نعم، انتقلت مؤخراً من دينفر، شعرت أنه قد حان وقت التغيير.

أوماً برأسه، وحاول أن يبدو غير مبالي بالأمر.

أضافت: «المكان قريب من هنا، تحتاج إلى القيادة لمدة نصف ساعة فقط بالسيارة».

انتظر قليلاً، لكنها لم تُضِف أي شيء.

قال: «يا لها من مصادفة، أن تأتي إلى شركتي».

ساد الصمت المُربك مجدداً؛ وصل شرابه وبدأ بتجرعه سريعاً، لا يستطيع التفكير في أي شيء ليضيفه. فكَرَّ: «من بين كل الأماكن التي قد تنتقل إليها، لِمَ هذا المكان؟».

مالت إلى الأمام قليلاً، تُمسك زجاجة الجعة بأنامل دقيقة، نزعت الملصق عن الزجاجة، عادة قديمة ما يزال يذكرها.

- كنت أعلم أنك هنا في مكان ما. لذا بحثت عنك، وعندما وجدتك على مقربة مني، فكرت: لِمَ لا؟

حدق إليها: «أنتِ لا تعبتين بالعمل في شركتي، أليس كذلك؟».

ابتسمت: «بلى، لدي وظيفة بالفعل».

ابتلع جرعة كبيرة من شرابه، يزداد توتره شيئاً فشيئاً؛ ما الذي تخطط له؟

- إذاً لِمَ قدمتِ على الوظيفة؟

(1) السكوتش أو الويسكي الاسكتلندي هو مشروب كحولي يصنع في اسكتلندا. (المترجم)

- أردت التأكد أنه أنت فعلاً.
 - كان بإمكانك التواصل معي بطريقة عادية.
 - أنا واثقة أنك لم تكن لتجيب.
 - لا يدري كيف يجيب على كلامها.
 - عندما غادرت كولورادو، لم أعرف عنك سوى أنك تتحدث مع «جريج» بشأن العودة إلى نيويورك.
- هذا صحيح؛ لقد غادر كولورادو سريعاً بعد جنازة ليندسي دون أن يترك عنواناً للمراسلة؛ أراد الهروب من كل شيء، وتوقع ألا يرغب أحد في التواصل معه بمن فيهم إيريك. كان الوضع برمته قاسياً جداً، ورحيله كان الخيار الأفضل للجميع. كانت إيريك الصديقة المقربة لزوجته الأولى، ربما عادت حتى تعتذر إليه عن الطريقة التي عاملته بها في الجنازة، لقد حظيت بمتسع من الوقت حتى تجمع شتات أمرها؛ في الواقع، تصرف الجميع بغرابة حينها، كان وقتاً مريعاً.
- قرر أخيراً أن يتحدث: «نعم فعلت، كان ذلك للصالح العام».
- نظرت إليه باهتمام.
- أضاف: «بعد رحيل ليندسي، أردت أن أعود لموطني».
- ترك تدريب الهندسة المعمارية على الرغم من تبقي بضعة أشهر فقط في البرنامج وبدأ من نقطة الصفر في نيويورك، لكنه لم يكثر بالأمر. ابتلع جرعة كبيرة من شراب السكوتش مجدداً ولاحظ أنه قد أنهاه كاملاً بطريقة ما. مال إلى الأمام وخفض صوته.
- سكت قليلاً قبل أن يضيف: «كنت محطماً بالكامل عندما حدث ما حدث».
- أعلم، كنت مثلك تماماً.

عندما عاد باتريك للمنزل متأخراً قليلاً عن عادته، كانت ستيفاني في انتظاره بفارغ الصبر حتى يساعدها على التعامل مع الطفلتين. ساعدها فوراً إلا أن ذهنه كان يسبح بعيداً، ويفكر في لقائه مع إيريك. ظلت المحادثة سطحية بنسبة كبيرة، لم تتطوع بقول الكثير عن نفسها، لكنه لاحظ أنها لا

تلبس خاتم زواج، وأنها غازلته قليلاً دون أن تصرح بأي شيء. لم يبادلها المغازلة، أخبرها أنه سعيد في زواجه وأنه رُزق بطفلتين توأمتين. بعد نصف ساعة، تظاهر بالنظر في ساعته وأخبرها أن عليه الرحيل. فكَّر أن هذه ستكون النهاية، لكنها أصرت على تبادل أرقام الهواتف قبل رحيلها، الآن، ينتابه شعور أن الأمر... لم ينتهِ بعد، وهذا يقلقه.

الفصل الخامس

من جانب ملعب كرة القدم، لَوَّحت شيريل مانينج لابنها ديفين؛ سيبُلغ التاسعة من عمره قريبًا، وبحلول سبتمبر سيبدأ عامه الدراسي الرابع، لذلك يقضي شهر أغسطس في معسكر كرة القدم؛ هو يعشق هذه الرياضة ويمارسها جيدًا وهي فخورة به، لقد تبين أن ديفين رياضيٌّ ماهرٌ، لذا تشعر هي وزوجها بالفخر به.

تشاهده وهو يركض في أرجاء الملعب؛ تنفق هي وزوجها أموالًا طائلة من أجله، فتكلفة الانضمام إلى هذا المعسكر المتخصص مرتفعة للغاية، والمستلزمات باهظة الثمن كذلك، لكنهما يستطيعان توفير كل هذا بسهولة. سيبذلان كل ما في وسعهما حتى يحقق ابنهما كل ما يرغب به. هما يستمتعان بإنفاق الأموال عليه؛ لذا تتعجب عندما تتذمر الأمهات الأخريات، اللاتي تعلم جيدًا أنهن قادرات ماديًا، بشأن كمِّ الأموال التي ينفقنها على أنشطة أطفالهن.

تعتقد شيريل أنه لا شيء يضاهاي الشعور بالرضا الذي ينتاب المرء عندما يرى طفله يتفوق ويتحمل بعضًا من المسؤولية. وقفت على حافة الملعب لتراقبه قليلًا. إنه طفل وسيم؛ يتطاير شعره البني مع نسيم الهواء وهو يركض، يبتسم عندما ينجح في تمرير الكرة بمهارة بقدميه. يلوح لها، وتلوح له هي أيضًا. يروِّقها ثقته بنفسه، يعطي الأوامر للأطفال الآخرين في الملعب كقائد بالفطرة، كما يعقد الصداقات بسهولة. تعلم أن عليها الرحيل وألا تحوم حوله بهذه الطريقة، لكنها تقف للحظات لتستمع بشمس الصباح على وجهها، وتنعم برؤية طفلها وقدراته الباهرة.

سار المدرب باتجاهها.

- ديفين يبلي بلاءً حسنًا، إنه موهوب بالفطرة.

ابتسمت له، لا تريد أن تتفاخر، لذا قالت بتواضع: «يخبروننا بذلك كثيرًا». ابتسم المدرب لها ثم سار نحو الملعب وهو يصفر. سجل الحضور ثم بدأ بصف الأطفال من أجل التدريبات، حان وقت رحيلها. لقد رحل كل الآباء الآخرين بالفعل حيث يتوجب عليهم اصطحاب طفل ثان أو ثالث إلى معسكر مختلف في أماكن أخرى عادةً. لكن ديفين هو طفلها الوحيد وهي ربة منزل لذا ليست مضطرة إلى الذهاب إلى مكان آخر. تبدو دائمًا كأنها لا تستطيع الرحيل، لذا تبقى في الأرجاء لوقت أطول، كأنها لا تصدق بعد أن ديفين هو ابنها حقًا.

لو أنهما استطاعا الحصول على فتاة أيضًا فقط، لأصبح الوضع مثاليًا. كانت لتصبح واحدة من هؤلاء الأمهات اللاتي يتسابقن مع الزمن حتى يصلن في الموعد المناسب بين معسكر كرة القدم ومعسكر الباليه؛ لكن لديهما طفلًا واحدًا فقط؛ وهي وزوجها «جاري» في غاية الامتنان. فهي لا تستطيع الإنجاب. كانت الصدمة لا تحتمل عندما اكتشفت أنها عاقرة.

كان الخبر مأسويًا وصادمًا للغاية، ولم تؤت الجهود المضنية على مدار سنوات طويلة أيًا من ثمارها المرجوة، أودت بها خيبة الأمل المزمنة إلى الاكتئاب، شعرت بالفشل؛ كل النساء حولها كن قادرات على إنجاب الأطفال دون مجهود تقريبًا. أزعجها سرًا أن يرحل جاري ويتركها. كانت أوقاتًا عصيبة.

قرّرًا التبني بعد استنزاف كل الاحتمالات الأخرى، بما فيها التلقيح الاصطناعي؛ لكن حتى التبني لم يكن أمره يسيّرًا. أرادا تبني فتاة رضيعة، لكن الأم البيولوجية غيرت رأيها بمجرد ولادة الطفلة. تحطّم قلباهما وعادا فارغي الأيدي والجيوب بعد إنفاق أموال طائلة لتغطية تكاليف الأم البيولوجية. كان الوضع مزريرًا، لم يكن بوسعهما فعلُ شيء سوى تقبل الأمر والمحاولة مجددًا.

وبعد فترة، اختارتهما أمٌ بيولوجية أخرى عبر وكالة التبني الخاصة نفسها، كان تبنيًا مفتوحًا،⁽¹⁾ لذا كانا قادرين على مقابلتها. أبقيا تفاؤلها قيد الحيلة، بدت ذكية، وأعجبا بها على الفور، لم يبدُ عليها التردد، وكانت واثقة

(1) شكل من أشكال التبني تتواصل فيه العائلات البيولوجية والمتبناة ويتبادلون المعلومات الشخصية لبعضهم بعضًا. في التبني المفتوح، يحتفظ الوالدان المُتبنيان بكل الحقوق بصفتهما الوالدين الشرعيين، ويجوز لأفراد العائلة البيولوجية التواصل مع العائلة المتبناة بعد ولادة الطفل. (المترجم)

بما تريده؛ لم تكن تحتسي الكحوليات أو تتعاطى المخدرات، أخبرتهما أنها ليست مستعدة لإنجاب طفل وحدها، أرادت أن تُنهيَ دراستها، لم ترغب في أن ينشأ الطفل مع أم عزباء لا تمتلك أي نقود، أو عائلة لمساعدتها. أرادت الخيار الأفضل من أجله، وليس الحل المناسب لها.

علاوة على ذلك، كانت فاتنة؛ والأهم، تشبه شيريل إلى حد كبير: شقراء تمتلك عينين زرقاوين وطويلة ورشيقة، وذات بنية جسدية جميلة؛ لطالما أرادت شيريل أن تحظى بطفل يشبهها إلى حد ما. لم يطلعا على أي شيء بخصوص الأب، عدا أنه أبيض، حصل على تعليم جامعي، ولا يرغب في أن يصبح أباً.

لا بد من أن ديفين يحمل ملامح أبيه البيولوجي لأنه لا يشبه شيريل على الإطلاق.

نظرت شيريل إلى ديفين داخل ملعب كرة القدم لمرة أخيرة، ولوحت له مودعة إياه، لكنه لم يكن ينظر إليها ولم يلاحظها. عادت إلى سيارتها وقادت نحو المنزل، وهي تفكر في كم هي محظوظة. ديفين طفل رائع، حتى إنه يُبلي بلاءً حسناً في الدراسة. معظم الأمهات التي تخرج بصحبتهم يكتشفن أن أطفالهن لديهم صعوبات في التعلم أو يعانون الحساسية، أو يواجهون أنواعاً مختلفة من المشكلات؛ لكنها كانت واحدة من القلة المحظوظات.

لا يدري أي شخص في هذه الأنحاء أن ديفين ابنٌ بالتبني، لم يخبر ديفين حتى؛ قررا أن يخبراه عندما يبلغ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، يعتقد الجميع، عدا أفراد الأسرة المقربين، أنه ابنهم البيولوجي. في الواقع، هي لا ترغب أن يعرف أي أحد، فهذا الأمر ليس من شأنهم. بإمكان ديفين إخبارهم إن شاء بمجرد أن يعرف. لكنها تتمنى لو يُبقى الأمر سرّاً، وتأمل ألا يرغب أبداً في رؤية أمه البيولوجية؛ فالكثير من الأطفال المتبنين يرغبون في ذلك هذه الأيام، وتعتقد شيريل أنها خطوة لا تعود بالنفع أبداً. لِمَ نحرك المياه الراكدة؟ هو يحظى بكل الحب ويمتلك كل شيء يحتاجه في الحياة، هنا، في كنفهما. وصلت إلى المنزل ودلفت إلى الداخل، ممتنة للنسيم البارد الذي ينبعث من مكيف الهواء، فالرطوبة عالية جداً اليوم. يعيشون في منزل لطيف؛ يُدِرُّ زوجها دخلاً جيداً من عمله في مجال تطوير العقارات التجارية. ربما ستحضر لنفسها كوباً من القهوة المثلجة، وتجلس بالقرب من حمام السباحة الخاص بهم.

لكن لسبب لا تدري كنهه وجدت نفسها تفكر في الماضي، صعدت إلى الطابق العلوي نحو غرفة ديفين وفتحت الباب. لقد رأت بعضًا من غرف أصدقاء ديفين التي تصيبها بالقشعريرة. تتذمر الأمهات الأخريات من إهمال وكسل أبنائهن، لكن شيريل تعتقد أنهن لا يربين أبناءهن بصورة صحيحة على الأرجح. كي تربِّي طفلًا تحتاج إلى وضع الحدود والتوقعات؛ فالتربية الجيدة بالغة الأهمية، تَحُثُّ هي وجاري ديفين على تنظيف غرفته في نهاية كل أسبوع.

نظرت إلى سريره وإلى الغطاء ورسومات الطائرات المطبوعة عليه؛ لطالما أحب ديفين الطائرات، يحلم بأن يصبح طيارًا يومًا ما. ربما لا يوجد شيء لا يستطيع فعله، هي مفعمة بالتفاؤل بشأنه؛ لا تحب أن تعترف بهذا، لكنها مستنفدة إلى أخصص قدميها فيه، ربما لأنه ابنها الوحيد. تجد نفسها كثيرًا تفكر في وضوح النهار في مستقبله وما سيحمله هذا المستقبل له، وكيف سيكون الوضع بالنسبة إليهما كوالديه؛ سيمتلك كل الامتيازات. وقعت عينها على المنضدة، وعلى الجوائز الكثيرة الموضوعة عليها: جوائز حازها من ألعاب القوى وكرة القدم والهوكي، تُعْجُ خزائنه بمعدات الرياضة، وتوارت حوائط الغرفة خلف صور الرياضيين المفضلين له.

بحثت عن ألبوم الصور في رف الكتب، أخذته وجلست على سريره، لِمَاذَا تتفقد الألبوم اليوم؟ تعتقد أنها تعلم لماذا؛ فهي تفكر في الماضي لسبب ما. فتحت الألبوم الصغير الذي يحتوي على بضع صور لديفين في مرحلة الطفولة كانت قد اختارتها بعناية وطبعتها وألصقتها فيه. أصبحت الصور الفوتوغرافية كلها رقمية هذه الأيام، لكنها أرادت ألبوم صور ملائمًا لتوثيق مراحل ديفين العمرية المختلفة. نظرت بعناية إلى الصورة الأولى: صورة له في المستشفى بعد ولادته مباشرة؛ تلوَّن جسده بالأحمر وتداخلت ملامحه، وكان يرتدي غطاء رأس محيكًا أزرق اللون. لم يحضر شيريل وجاري الولادة في المستشفى، انتظرا في المنزل وهما يحترقان شوقًا للأخبار الجيدة، ويساورهما القلق من أن تحمل الأم طفلها بين ذراعيها للمرة الأولى وتغير رأيها كما حدث في المرة السابقة.

فعلى الرغم من إعجابهما الشديد بهذه المرأة، إيريكّا، في البداية فإنها أشعرتهما بعدم الارتياح مؤخرًا. في البداية، كانت أمورًا بسيطة: طلبت منهما تغطية تكاليف إضافية اضطرت إلى دفعها عند تصليح سيارتها حتى تتمكن

من الذهاب لموعد الطبيب. توقَّعا أنه سيتوجب عليهما دفع النفقات المعتادة بلا شك: أجرة المنزل والبقالة والملابس المخصصة للحوامل وما إلى ذلك. كانت إيريكّا قد استقالت من وظيفتها من أجل صحة الطفل؛ أخبرتهما أنها عملت بدوام جزئي في مغسلة للتنظيف الجاف وأنها قرأت أن الكيماويات قد تتسبب في حدوث تشوهات للجنين، لذلك قررت أن تترك الوظيفة عندما علمت بحملها.

لكن في أحد أيام حملها الأخيرة، زارتهما في منزلهما؛ كانت زيارة مفاجئة وغريبة. أشارت إلى حاجتها الماسة إلى الأموال، حيث «لا تعلم ما قد تفعله» إن لم تحصل عليها. ارتاب كل من جاري وشيريل من حديثها. سألاها بلطف عن سبب احتياجها إلى الأموال، وقالت إنها تريد المال من أجل تعليمها، أو ستضطر إلى التخلي عن حلمها في ارتياد كلية الطب وستربي طفلها بنفسها عوضًا عن ذلك؛ طلبت منهما ألف دولار.

ترك الزوجان إيريكّا في غرفة المعيشة مدهوشين وتواريا في المطبخ ليحضرا لها كوبًا من شاي الأعشاب ويناقشا الموضوع بصوت خفيض.

- ما الحل الآن؟

همست شيريل لزوجها بحزن وهي على شفا البكاء، بينما تجلس إيريكّا في غرفة المعيشة ببطنها الكبير الذي يحمل ابنهما، تنتظر بهدوء شاي الأعشاب بعدما ابتزَّتهما للحصول على مبلغ كبير من المال.

أجاب جاري: «دعينا ندفع لها، لدينا المبلغ».

شعرت شيريل بالدم يهرب من وجهها.

- لكن هذا غير قانوني، أنت تعلم ذلك! يجب ألا ندفع لها أكثر من التكاليف المعتادة، علينا أن نخبر الوكالة.

بدت الكآبة على وجه جاري وقال: «لا، لن نخبر الوكالة. هي لن تخبر أحدًا وإلا سيزج بها في السجن، لن يعرف أي أحد».

- لكن... ماذا لو دفعنا لها ثم منعتنا من الحصول على الطفل؟

بكت شيريل.

- هذه هي فرصتنا، وعلينا اغتنامها، أخبريني هل تريدين الطفل أم لا؟

- بالطبع أريده.

- وأنا أيضًا.

عادا حاملين أكواب الشاي، عرض جاري عليها كتابة شيك، أخبرتهما إيريكاً أنها ترغب في الحصول على الأموال نقدًا.

كان التزام إيريكاً بكلمتها بمثابة معجزة؛ أخذت الأموال وبعد ولادة الطفل وقَّعت طوعًا على أوراق إحالة كل الحقوق الأبوية لهما. أخبرتهما أنها لا ترغب في البقاء على تواصل معهما أو مع الطفل بعد الآن، فهي تعتقد أن ذلك سيسهل عليها الأمر. شعرا بالراحة عندما أخبرتهما بذلك، لكنهما بالطبع لم يخبراها بذلك. مضت الفترة المسموح لها خلالها بتغيير رأيها، وأصبح ديفين ابنتهما، واختفت هي من حياتهما. لكن قبل رحيلها، منحتهما نسخة من هذه الصورة التي تعتز بها شيريل كثيرًا.

نظرت إلى الصورة وهي تفكر في ذلك الوقت منذ تسع سنوات. هي تتذكر كل شيء الآن لأنها بعد كل هذا الوقت، تعتقد أن إيريكاً قد عادت. تظن شيريل أنها رأتها منذ أسبوعين في الحديقة، تشاهد ديفين وهو يركل كرة، كانت تحمل كاميرا حول رقبتها، لكنها رحلت قبل أن تتأكد شيريل من الأمر.

الفصل السادس

تحممت إيريك، وارتدت تنورة سوداء قصيرة وكنزة حريرية بلون زرقاء السماء، وضعت مساحيق التجميل بعناية وتفحصت مظهرها بسرور في المرآة؛ كانت تفكر في موعدها مع باتريك أمس. لم يكن لديها أي توقعات تجاه لقائهما فقد مر وقت طويل. ما يزال وسيماً، هي تعترف بذلك؛ كبر في العمر قليلاً بالطبع، إلا أنه كان واحداً من الرجال الذين يزدادون وسامة مع التقدم في العمر. امتلأ جسده الطويل بعض الشيء، قص شعره الداكن بشكل لطيف، وارتدى بذلة باهظة الثمن.

كان واضحاً عليه أنه لم يكن سعيداً برؤيتها في شركته، بدا قلقاً، وكان ذلك واضحاً أيضاً. تعتقد أنه خائف من عودتها إلى حياته على الأرجح، وخائف من استيقاظ مشاعر انجذابه القديم لها مجدداً، ما قد يؤثر في علاقته بزوجته الجديدة. من الأفضل له أن يظل خائفاً؛ لن يستطيع المقاومة أبداً. فلطالما كانت جاذبيتها سلاحها الأقوى.

لم يستطع باتريك التركيز طيلة النهار في مكتبه، لاحظ أن نايل يغمغم بشيء ما لنفسه، مما أثار انزعاجه. سمع نايل يغادر مكتبه بحلول وقت الغداء ويتحدث مع كيري في مكتب الاستقبال عند رحيله. حذق باتريك إلى النهر من خلال النافذة؛ يشعر بالخدر، لديه الكثير من الأعمال لينجزها، لكن عوضاً عن ذلك، يفكر في إيريك وظهورها في مكتبه، متظاهراً بأنها لا تعرفه، بينما كانت تعرف بوجوده في المكتب. وضعته في موقف مُحرج عمداً.

أمس، سأل نايل عرضاً عن المقابلة. أخبره نايل أنها ليست المرشحة الأفضل للوظيفة، ما أشعر باتريك بالراحة. لن تعود للمكتب، ولن يتوجب عليه

أن يشرح لأي أحد لم تظاهرا بعدم معرفتهما ببعضهما بعضاً، كما أنها ليست مهتمة بالوظيفة على أي حال؛ نهض من كرسيه وسار بتعب نحو طاولة الرسم؛ يعمل حالياً على مبنى فاخر جديد سيصبح منزلاً لطبيب مرموق، ويتوجب عليه التركيز جيداً.

نظر نايل إلى المرأة التي تقود السيارة في المقعد المجاور له؛ النوافذ مفتوحة، والرياح تعبت بشعرها ليتطاير حول وجهها. لاحظ أنها ترتدي نظارات شمسية من ماركة عالمية. مجدداً، وجد نفسه يتساءل عن سبب إجراءاتها لمقابلة لوظيفة الإدارية المؤقتة؛ ربما تركها زوجها مؤخراً، وربما سيكتشف الحقيقة قريباً.

أصابته الدهشة عندما هاتفته إريكا فوس في مكتبه هذا الصباح ودعته لتناول الغداء معاً؛ تصرف غير معهود وجريء قليلاً من شخص يأمل في الحصول على وظيفة. تردد للحظات حتى أخبرته أنها ستقله من أمام النافورة في وسط المدينة. يشعر بارتباك مألوف داخله، يعتقد أن لديه فكرة عن السبب وراء رغبتها في لقاءه؛ تبدو في غاية الجاذبية اليوم. عندما حضرت للمقابلة يوم الاثنين كانت ترتدي ملابس متواضعة وسروالاً. لكن اليوم، ترتدي تنورة ضيقة وكنزة حريرية، وتظهر أجزاء من ساقها وصدرها؛ تفحصها بسرور.

سألته وهي تنظر إليه بمرح: «ماذا هناك؟».

- أتساءل عن سبب دعوتك لي على الغداء.

لم يهاتفها مجدداً بشأن الوظيفة؛ في الواقع، لن يعرض عليها أي شيء، هي جميلة وجذابة لدرجة لا تناسب المكتب، ستثور زوجته «نانسي» إن وظفها في المكتب. يأمل ألا تعتقد أنها قد تحصل على الوظيفة، وإلا سيضطر إلى أن يخيب آمالها، فهو لا يجمع بين العمل ونزواته.

أخبرته: «إنه غداء بغرض الاحتفال».

- بم نحتفل؟

- حصلت للتو على وظيفة في مستشفى نيويورك.

اتسعت ابتسامته، لن تكون هناك مشكلة إذاً، والانجذاب المتبادل الذي شعر به خلال المقابلة لم يكن من وحي خياله.

أوقفت السيارة في ساحة وقوف السيارات بفندق «كونوت» بنهاية شارع
«ووتر ستريت».

أخبرته وهي تغادر السيارة: «حجزت مسبقًا».

صعدًا معًا درجات الفندق الأمامية وتخطيا حراس الباب، وسارا نحو قاعة
الطعام الفاخرة في الطابق الأول. بينما اصطحبا إلى طاولتهما، كان يلحقها
بعينيه وهي تمشي برقة بين الطاولات. جلسا بجوار النافذة، تفقّد المكان من
حوله سريعًا ليتأكد أنه لا يوجد أي شخص يعرفه، فايلسفورد مدينة صغيرة.
لم يرَ أي شخص يعرفه، لذا بدأ يسترخي؛ إن تعرّفه أحدهم، بالأخص أصدقاء
زوجته، سيقدّمها لهم على أنها عميلة محتملة ترغب في تصميم مبنى خاص،
فهي تحمل هذه الهيئة على أي حال.

ابتسمت له وطلب هو نبيذًا.

- إذا نايل، أخبرني عن نفسك.

سألته.

مر الغداء كما توقع. هي مهتمة به وهو مهتمٌ بها. السؤال هنا هو كيف
ينتقلان من قاعة الطعام إلى غرفة النوم دون أن يلاحظهما أحد، وكيف
سيدفعان للغرفة؟ من غير المعقول أن يدعها تدفع، وفي نفس الوقت، لا
يستطيع ترك معلومات حجز غرفة في فندق في ايلسفورد في بيانات بطاقته
الاثتمانية. ستتحقق نانسي من الأمر، هي تتحقق من كل شيء منذ أن عرفت
بأمر خيانتها الأولى والوحيدة.

استطاع أن يظل مخلصًا خلال زواجهما الذي استمر ثماني سنوات،
حتى إنه كسر لعنة السنوات السبع⁽¹⁾؛ إلا أنه خلال الخريف المنصرم، كان
على علاقة قصيرة ومثيرة بامرأة قابلها في نادي الجولف. اكتشفت زوجته
كل شيء، وكان هناك دموع واتهامات متبادلة؛ كان الوضع مريعًا واستمر
الخلاف لأسابيع. أصرت على الذهاب إلى استشاري إرشاد زوجي؛ وافق على
الذهاب لأنه لم يرد إنهاء زواجه، فهو يحب نانسي وابنتها الصغير، «هنري»،

(1) لعنة السنوات السبع هي اعتقاد شائع بأن السعادة في الزواج أو العلاقة الرومانسية
أو العلاقات عامة تنخفض بعد قرابة سبع سنوات وقد تنتهي بالطلاق أو الانفصال في
هذه الفترة. (المترجم)

ولا يستطيع تخيل حياته من دونهما. علاوة على ذلك، الطلاق خيار متعب ومكلف ماليًا، لطالما كان كذلك. لذا، أنهى علاقته ونفذ كل ما طلبته نانسي، ووعدها ألا يعود لمثل هذه الحماقات مجددًا. التزم جيدًا بوعده لها، لكن هناك امرأة فاتنة تغازله الآن، وهو لا يستطيع مقاومة الإغراء.

في النهاية، لم يكن الأمر بالقرار الصعب؛ كل ما يشغل باله هو ألا يُكتشف أمره. يخبر نفسه أن ما تجهله نانسي لن يؤذيها، أي ضرر سيلحق به ما دامت نانسي لن تكتشف شيئًا؟ نظر عبر بهو الفندق، وتساءل إن كانت هناك ماكينة صرف آلي للنقود، عليه أن يحصل على بعض الأموال نقدًا. تبادل النظرات، وكلاهما علم ما سيحدث لاحقًا.

ابتسما لبعضهما ثم دفع حساب الغداء بواسطة بطاقته الائتمانية وغادرا المطعم. سحب بعض النقود من الصراف الآلي، وحجز غرفة تحت اسم مستعار بينما ذهبت هي إلى مرحاض السيدات. أرسل إليها رسالة برقم الغرفة عندما دلف إلى المصعد. في الطابق التاسع، دخل إلى الغرفة بواسطة بطاقة المفتاح الإلكتروني، وخلع معطفه وأرخی ربطة عنقه. أرسل رسالة سريعة إلى كيري وأخبرها أن موعد الغداء سيطول قليلًا، وعليها إعادة جدولة موعد الثالثة مساءً، ثم سمع صوت نقر لطيفًا على الباب.

إنه يفعلها مجددًا، وعلى نانسي ألا تكتشف هذا الأمر أبدًا. فتح الباب، ونسي أمر زوجته تمامًا.

إنه يوم صيفي جميل، مثالي للخروج في نزهة إلى حوض سباحة الأطفال في الحديقة المجاورة للمكتبة العامة. خططت كل من ستيفاني وهانا للخروج معًا، ودعت ستيفاني بعضًا من الأمهات من مجموعة الأمهات الخاصة بها، حضرت «إيمي» و«جين» مع طفليهما، وحضرت «بارب» مع صغيرتها.

حركت ستيفاني أصابعها العارية في المياه الضحلة الدافئة وهي تجلس على حافة المسبح. تجلس هانا على مقربة منها وتتبادل رش المياه مع تيدي، وتغرغر كل من جاكى وإيما بسعادة في وجه بعضهما أمامهما. يرتدي الأطفال جميعهم حفاضات السباحة وقبعات لحمايتهم من الشمس. وضعت ستيفاني طفليتها في حلقة السباحة لمساعدتها على حملهما، فهي لا تستطيع حمل الاثنين في نفس الوقت. تحدثت السيدات معًا عن الأطفال؛ كنَّ جميعًا في

المكتبة وأحضرن كتبًا للأطفال ليأخذوها معهم إلى المنزل، كان هناك جموع من عربات الأطفال. تناولوا الغداء معًا في الحديقة، تشاركت ستيفاني وهانا ساندويتشات التونة. تعتقد ستيفاني أن بعد عودتها بالتوأمتين إلى المنزل، ستستطيع أن تضعهما في مهدهما من أجل قيلولة الظهر، وستحصل على بعض النوم هي الأخرى.

- أليس هذا رائعًا؟

تساءلت هانا وهي تبتسم وتشاهد تيدي يضحك.

على ستيفاني أن توافقها الرأي، هي تشعر بالهدوء اليوم وهذا يحسن من صفو مزاجها كثيرًا. شعرت أنها قادرة على التواصل مع هؤلاء السيدات اللاتي لا تعرفهن جيدًا؛ من الصعب أن تكون اجتماعيًا وأنت منهك. نظرت إلى طفليتيها بعيونهما الواسعة الدائرية الزرقاء، تبدوان لطيفتين جدًا وهما تتبادلان رش المياه في حلقة السباحة، وتتمتتان بسعادة. تعلم كم هي محظوظة؛ محظوظة جدًا لأن لديها باتريك، وإيما وجاكي، طفلتين رائعتين وبصحة جيدة. هي تحظى بكل شيء أرادته يومًا. سيمر مغص الرضع.

- انظري، يبدو أن إحداهن تشعر بالنعاس.

أخبرتها هانا وهي تبتسم في اتجاه جاكي التي تتنأب.

بدأ الجميع في حزم أمتعتهم للرحيل.

الفصل السابع

قبيل انتهاء ساعات العمل، تلقى باتريك اتصالاً هاتفياً من إيريك؛ وعلى الرغم من توقعه لهذه المكالمة، اضطرب قلبه عند رؤيته لرقمها.

- هل نتقابل لاحتماء شراب بعد نصف ساعة في نفس المكان؟
سألته إيريك.

خطر له أن يرفض، لكنه يعلم أن عليه مقابلتها.
- حسناً.

من ناحيته، على الأقل، لقد انطفأ لهيب الانجذاب؛ في الواقع، هي تخيفه قليلاً. سيوضح لها مما لا يدع مجالاً للشك أنه مخلص لزوجته ثم سيرحل، لن يرتكب نفس الخطأ مرتين، وعليها أن تدرك ذلك. في طريقه من المكتب إلى الحانة، ذكّر نفسه بأن الوضع مختلف هذه المرة؛ هو متزوج من ستيفاني الآن ولديه عائلة.

وجدها تجلس في زاوية اليوم السابق؛ حاول أن يهدئ من روعه، فلا يوجد ما يستدعي القلق، سيوقفها عند هذا الحد ويمضي في طريقه. جلس قبالتها، تفوح منها رائحة العطر نفسها مجدداً، وهذا يزعجه. من وراء زجاجة الجعة، رمقته بنظرة تحمل في طياتها التآمر والإغراء؛ ولبرهة من الزمن لم ينبس أيُّ منهما بكلمة، أخيراً قررت أن تتحدث.

- أعتقد... أنك تتساءل بشأن ما أفعله هنا.

ابتسم على مضض.

- في الواقع، نعم.

مالت برأسها نحوه: «هل تعلم، باتريك، يمكننا أن نستأنف ما تركناه عالقًا...».

ابتسم، متظاهرًا بالندم، وهز رأسه بحزم: «لا، لقد مضى وقت طويل».

ثم زفر بعمق وأضاف: «لن أخون ستيفاني».

أراح ظهره للوراء، واضعًا مسافة بينهما.

- حقًا؟

رفعت حاجبها كأنها لا تصدقه.

- نعم، حقًا.

- لم لا؟ لم تمنع في خيانة ليندسي.

أصابه كلامها كالصاعقة.

- كان الوضع مختلفًا حينها.

- حقًا؟ كيف كان مختلفًا بالضبط؟

بدت متفاجئة كما حمل صوتها نبرة من المكر.

تردد قبل أن يضيف: «كنت يافعًا حينها، كنت في الثالثة والعشرين فقط،

بحق الله، كنت طفلًا؛ كنت أفكر في نفسي فقط».

سألته: «ألن تطلب مشروبًا؟».

لم يخطط لطلب أي شيء، لكنه غير رأيه الآن وطلب من النادل أن يقترب؛

طلب سكوتش، ثم انتظرا حتى ابتعد النادل عن مسامعهما.

فكرت قليلاً قبل أن تسأله: «هل تحبها؟ أعني زوجتك الجديدة».

- نعم، أحبها، ومن أعماق قلبي.

- إذاً هذا هو مربط الفرس؛ لم تحب ليندسي.

- هذا غير صحيح!

قال سريعاً ثم وأضاف: «بالطبع أحببتها».

راقبته من كئيب ثم قالت: «لا أذكر ذلك».

نظر إليها وشعر برعشة تسري في جسده.

أقام علاقة حميمة مع الصديقة المقربة لزوجته؛ تصرف بدناءة، لكن إيريك لا تختلف عنه شيئاً. هو أقدم على خيانة زوجته، وهي خانت صديقته

المقربة. تفحص إيريكا التي تجلس قبالته في ضوء الحانة الخفيض؛ عليه أن ينهيَ هذا الأمر إلى الأبد.

- اسمعي، إيريكا...

حاول أن يستشف ما تحمله تعابير وجهها وهي تنظر إليه؛ لقد تجاهلته بعد الحادث، اعتقد أن تصرفها نابع من الندم تجاه ما ارتكبه بحق ليندسي، تذكر كيف نظرت إليه من الجهة المقابلة من الغرفة، وبينهما تابوت ليندسي، لكنه أبعد الذكرى عن ذهنه.

- أنا متزوج، ورزقت لتوي بتوأميتين؛ لا أبحث عن علاقات عابرة، كان ينبغي لي أن أوضح هذا الأمر لك بالأمس، لذلك جئت اليوم كي أبين لك حقيقة الوضع.

- فهمت.

أجابته، وبدا أن مزاجها قد تعكر قليلاً.

للحظة، نظر إليها فقط؛ لا يعقل أنها تأمل حقاً في إحياء علاقتهما. ماذا تفعل هنا؟ ازداد قلقه.

قالت: «لقد مضى عشر سنوات تقريباً، وقت طويل للتفكير».

- التفكير فيم؟

- في الحادثة.

نظرت إليه باهتمام بالغ وأضافت: «هل ما زلت تفكر في الأمر؟».

- أحاول منع نفسي، لكنني أفكر أحياناً.

- أنا أفكر، دائماً.

ساد الصمت بينهما. ثم أضاف أخيراً: «أنتِ تفتقدين ليندسي بالطبع، أنا أيضاً أفتقدها».

نظرت إليه: «لا أعني هذا، أنا أفكر في طريقة موتها».

حدق إليها بقلق: «أنتِ تلقين اللوم علي».

- بالطبع ألومك. الجميع يلومونك.

كانت كلماتها كصفعة على الوجه.

- أنا ألوم نفسي أيضاً. كل يوم، لكن موتها كان حادثاً.

قال بصوت محملاً بالمرارة.

بعد صمت مشحون بالتوتر قالت إيريكّا: «لأنهم قالوا إن موتها كان حادثاً، لا يعني ذلك أنها كانت حادثة بالفعل».

تراجع مندهشاً، يخفق قلبه سريعاً.

- ماذا؟

لم تجب، لذا أضاف بصوت منخفض: «هل تقولين... أنتِ تتهميني بقتل زوجتي عمداً؟».

- خطرت لي الفكرة.

- لماذا؟ لماذا تفكرين في ذلك بحق الجحيم؟

سألها وقد تسارعت ضربات قلبه. أصدرت المحكمة حكماً بأنها توفيت جراء حادث، كان ذلك جلياً، ولم يكن هناك أي شكوك؛ كان حادثاً كثيباً ومأسوياً. حينها، هز الجميع رأسهم، ونظروا إليه بشفقة مريعة، لكن لم يشك أحد أنه ارتكب الحادث عمداً، أو أنه قتل زوجته عمداً.

لكن هذا ما تقوله الآن، وهناك نبرة باردة في صوتها.

- تذكر عندما أخبرتني أنك تشعر بأنك محاصر وبائس، اعتقدت أنك واقع في حبي؛ تخيل كيف كان شعوري عندما ماتت. اعتقدت... فكرت أنه ربما فعلتها عمداً وأرعبتني الفكرة.

ثم أضافت:

- كان عليّ أن أحمل العيش مع هذه الفكرة منذ ذلك الحين.

شعر باتريك برأسه يدور، من أين أتت هذه الأفكار؟ لم يخبرها بأي شيء من هذا القبيل وكلاهما يعلم ذلك. تذكّر مجدداً كيف نظرت إليه بازدراء في الجنازة وأدارت ظهرها له.

- لقد فقدت صوابك.

قال باقتضاب.

- حقاً؟

نظر إليها بذعر متزايد؛ إذّا هي هنا لهذا السبب. أخذ نفساً عميقاً محاولاً أن يحافظ على صوته هادئاً وقال:

- أَنْتِ مَخْطِئَةٌ، كُنْتَ زَوْجًا سَيِّئًا وَأَنْتِ كُنْتِ صَدِيقَةً سَيِّئَةً أَيْضًا، لَكِنْ هَذَا هُوَ كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.

ثم أضاف مطمئنًا: «لَمْ أَقْتُلْهَا كَيْ أَكُونَ مَعَكَ، وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ ذَلِكَ جَيِّدًا».

- هَلْ مِنَ الْمَفْتَرَضِ أَنْ أَصْدُقَ كَلِمَاتِكَ؟
كَانَ صَوْتُهَا مَازِرًا.

تَفَاقَمَ اضْطِرَابُهُ، شَعَرَ بِقَلْبِهِ يَغْرُقُ فِي جَوْفِهِ، قَالَ مُحَاوَلًا الْحِفَافَ عَلَى رِبَاطَةِ جَأَشِهِ:

- لَا أَعْلَمُ مَاذَا أَقُولُ لَكَ إِيْرِيكَ! كَانَ حَادِثًا، وَالشَّرْطَةُ قَالَتْ إِنَّهُ حَادِثٌ، وَالصَّحَافَةُ قَالَتْ إِنَّهُ حَادِثٌ. أَنْتِ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَفَكَّرُ فِي احْتِمَالِيَّةِ أُخْرَى، وَكُلَّانَا يَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَظَاهَرِينَ فَقَطْ.

ذَكَرَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ الْقَلْقُ بِشَأْنِ أَيِّ شَيْءٍ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَخْبِرْ سَتِيفَانِي بَعْدُ بِحَقِيقَةِ مَا حَلَّ بِزَوْجَتِهِ الْأُولَى؛ أَرَادَ أَنْ يَخْبِرَهَا، لِطَالَمَا أَرَادَ أَنْ يَخْبِرَهَا، وَسَيَفْعَلُ بِالتَّأَكِيدِ. لَقَدْ أَخْبَرَ سَتِيفَانِي أَنَّ زَوْجَتَهُ الْأُولَى تَوَفَّيَتْ فِي حَادِثِ سَيَّارَةٍ، لَكِنْ إِيْرِيكَ تَعْلَمُ مَا حَدَثَ فَعَلًّا، مَاذَا لَوْ أَخْبَرْتَ سَتِيفَانِي؟ هِيَ الْآنَ مَتَعَبَةٌ وَمَنْهَكَةٌ بِسَبَبِ التَّوَامَتَيْنِ؛ لَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَقْتُ الْمُنَاسِبَ، بَلْ سَيَكُونُ الْوَقْتُ الْأَسْوَأُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَنْ تَسْتَطِيعَ سَتِيفَانِي التَّعَامُلَ بِعَقْلَانِيَّةٍ مَعَ الْوَضْعِ؛ لَنْ تَفْهَمَ.

لَمَّاذَا جَاءَ الْيَوْمَ إِلَى هُنَا بِحَقِّ الْجَحِيمِ؟ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقَيِّمَ الْوَضْعَ بِشَكْلِ أَفْضَلِ.

- هَلْ تَعْرِفُ زَوْجَتَكَ بِمَا حَدَثَ؟

سَأَلَتْهُ وَكَأَنَّهَا تَقْرَأُ مَا يَجُولُ بِخَاطِرِهِ.

شَحِبَ وَجْهُهُ، يَجِبُ أَنْ يَبْدُو طَبِيعِيًّا، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْلَحْ فِي ذَلِكَ.

- إِذَا، فَهِيَ لَا تَعْلَمُ.

عَلَقَتْ إِيْرِيكَ، مُؤَكَّدَةً عَلَى مَخَاوِفِهِ.

- أَنْتِ لَمْ تَخْبِرْهَا قَطْ.

هِيَ تَحَاوَلُ اسْتَفْزَازَهُ الْآنَ.

- أَعْنِي، مَنْ هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي قَدْ تَتَزَوَّجُ بِرَجُلِ خَانَ زَوْجَتِهِ الْأُولَى؟ رَجُلٌ

قَتَلَ زَوْجَتَهُ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ حَادِثًا؟!

حدق إليها بجمود ولم ينبس بكلمة.

- هل يجب أن أخبرها؟

- لِمَ قد تفعلين ذلك بحق الجحيم؟

- أعتقد أن لها الحق في أن تعرف أي نوع من الرجال قد تزوجت، ماذا لو

كنت تفكر في ارتكاب شيء من هذا القبيل في حقها؟

استشاط غضبًا فجأة.

- أيتها العاهرة البائسة! لديك عقل منحرف ولعين.

تبادلًا النظرات في صمت، وشعر بالإعياء.

سألها ببرود: «ما الأمر إيريكا، لِمَ أنتِ هنا؟ ماذا تريدان؟».

- المال.

حدقت إليه بعينيها الزرقاوين ببرود وثبات.

شعر وكأنه قد تلقى لكمة؛ هذا ما تريده إذًا، هي تبتزّه، تريده أن يدفع لها الأموال كي تُبقيَ فمها مغلقًا ولا تخبر زوجته بأي شيء. كيف لم يتوقع أمرًا كهذا؟ كيف كان ساذجًا لهذا الحد؟

قال بسخرية: «حسنًا هذا أمرٌ مؤسفٌ جدًّا، لا أمتلك أي أموال».

- رجل ناجح مثلك لا يمتلك المال؟

إذًا هذا ما كانت تقوم به؛ كانت تجمع المعلومات عنه وعن حياته في الخفاء، حضرت إلى مكتبه حتى تُكوّن فكرة عما يمتلكه، شعر بنفسه يتصبب عرقًا.

قال محاولاً أن يبدؤَ منطقيًا: «اسمعي، في الآونة الأخيرة، تدهور العمل كثيرًا، لا أمتلك أي نقود إضافية كي أعطيك إياها حتى لو رغبت بذلك».

مالت نحوه: «هل لديك أدنى فكرة عن تتعامل معها؟ بحثت بطريقتي الخاصة: أعلم أن عملي يسير على خير حال. كما أعلم أن زوجتك تمتلك أموالًا طائلة».

أراحت ظهرها إلى الوراء ونظرت إليه وقالت بصراحة: «لا تعاني أي مشكلات بسبب المال».

شعر بقلبه يسقط في جوفه؛ كيف تعلم بشأن ذلك كله؟ هو الآن خائف بحق. يرى كل شيء بوضوح؛ يرى ما سيؤول إليه مستقبله، إلا أنه سيأخذ مجرى مختلفًا تمامًا عما خطط له. عليه أن ينهي هذا الأمر فورًا. استجمع كل ما تبقى له من رباطة جأش وقال بوضوح:

- أنا لن أدفع لك أي شيء، عليك أن تفهمي ذلك.

- حقًا؟

- نعم. سأخبر ستيفاني بكل شيء.

سيخبرها بكل شيء بمجرد أن يصل إلى المنزل اليوم، وبهذه الطريقة لن تمتلك إيريكا أي شيء ضده. عليه أن يأمل، بل ويؤمن، بأن ستيفاني ستقف في صفه، حتى بعد أن يعترف لها بخيانتته لزوجته الأولى، وبعد معرفتها بطريقة موتها بالضبط.

- كل شيء؟

نظرت إليه، لا تصدقه.

قال باتريك: «سأخبرها بالحقيقة، وسأخبرها عنك وعن أكاذيبك وعمّا تريد أن تفعله، لأن علاقتي بزوجتي ليست قائمة على الأكاذيب».

مال إلى الأمام حتى أصبح مواجهًا لوجهها الجميل وقال: «أنا لست خائفًا منك، ولن أعطيك سنتًا لعينًا واحدًا».

قالت: «ربما معرفة زوجتك بالأمر هو آخر شيء يستدعي القلق بشأنه».

- ماذا؟

- قد أذهب أخيرًا للسلطات وأخبرهم بأن يعيدوا التحقيق في موت زوجتك الأولى.

- لمَ قد تفعلين ذلك بحق الجحيم؟

- لأنني أستطيع فعل ذلك.

حدّق إليها مشدوّهًا، أنهى شرابه دفعة واحدة ثم نهض وألقى بعض النقود على الطاولة، ورحل دون النظر إلى الوراء.

الفصل الثامن

وضعت ستيفاني التوأمتين في مقاعدهما المرتفعة بينما تطعمهما معالق صغيرة من حبوب الأطفال الممزوجة بحليب الأم. لم يعد باتريك من العمل بعد، حاولت ألا تجعل الأمر يشعرها بالاستياء؛ شمت رائحة السكوتش في فمه البارحة، من الواضح أنه خرج لاحتساء الشراب بعد العمل، لكنها لم تذكر له ملاحظتها، وحاولت ألا تلومه. تتوقع عودته في أي لحظة الآن، هي بحاجة إلى المساعدة، لقد وضعت المقعدين على جانبيها وتطعم طفليتها واحدة تلو الأخرى الحبوب بالحليب في فوهيهما الصغيرين. عصافيري الصغيرة، فُكِّرت بحب.

تسمع صوتًا قادمًا من الباب الأمامي، لكنها تعطي الطفلتين كامل اهتمامها. سمعت باتريك يدلف إلى المنزل، لكنه يتلصق في الردهة الأمامية للحظات، أطعمت إيما ملعقة أخرى، انتهى الحال بمعظمها على ذقنها، لكن ستيفاني أزالَت الطعام من وجه الطفلة بالملعقة. تساءلت عما يفعله باتريك؛ لِمَ لا يأتي إلى المطبخ ليساعدها؟

نادته: «باتريك».

أجاب: «أنا قادم».

- ما الخطب؟

سألته بمجرد أن خطا قدمًا في المطبخ، كان يبدو عليه أنه يحمل أخبارًا مريعة. انقبض قلبها؛ لا بد أن الأمر أسوأ من مجرد مشكلات في العمل، ربما كان يخفي عليها بعض الأمور لأنها منشغلة تمامًا بالتوأمتين. استشاط غضبًا، كما ازداد توترها. سحب كرسيًا من كراسي المطبخ وألقى بجسده عليه.

- هناك أمرٌ ما عليك معرفته.

توقعت كل ما هو سيئ: مشكلة خطيرة، دعوى قضائية أو شيئاً من هذا القبيل، أو خطأ؛ الهندسة المعمارية مهنة محفوفة بالمخاطر ومجال صعب، وهي لم تثق بنائيل قطُ تمام الثقة، على الرغم من وثوق باتريك به.

- هل الأمر متعلق بالعمل؟

نظر إليها، متفاجئاً.

- لا.

كان دورها لتندهش هي الأخرى؛ إن لم يكن الأمر متعلقاً بالعمل، فما المشكلة؟

- يا إلهي، لا أدري من أين أبدأ.

نسيت تمامًا أمر حبوب الأطفال، لذا بدأت إيما وجاكي بالتذمر. عادت لإطعامهما، وهي تحاول الحفاظ على هدوئها، تتصنّع الابتسامة في وجه الطفلتين.

- إليكما، يم، يم.

قالت بصوت رخيم، ثم التفتت إلى باتريك.

- فقط أخبرني، أستطيع تحمّل الأمر.

قال بصدق: «تعلمين أنني أحبك ستيفاني».

أشاحت بنظرها بعيداً عن الطفلتين والتفتت لتحقق إليه، الآن، يلتهمها القلق حقاً. على وجهه تعابير شخص مُعذب على وشك الاعتراف بخطاياها، ماذا فعل يا ترى؟ لم يقيما علاقة حميمة منذ ولادة الطفلتين، هل هذا هو الأمر؟ انتظرت.

قال وقد اغرورقت عيناه: «أخبرتكَ أن زوجتي السابقة، ليندسي، قد توفيت في حادث سيارة».

- نعم.

بدا صوتها متردداً، لا تملك أدنى فكرة عما ينوي قوله.

- لم أخبرك بكل شيء.

تسمرت تمامًا وهي تحقق إليه وقد شحب وجهه.

- لم أخبرك لأنها... كانت غلطتي.

يا إلهي! تقلصت أوصالها، كأنها على وشك تلقّي لكمة. لم تتوقع شيئاً كهذا، هي ليست مستعدة أبداً. غاصّ في كرسي المطبخ.

- عليّ أن أخبرك بما حدث.

- حسناً.

- حدث كل شيء في الشتاء. هبت عاصفة وانهمرت الثلوج بغزارة، كنا زاهبين لزيارة أمها، لم أرغب في الذهاب، لكنها أصرت...

بدا الكرب على وجهه، وتوقف كأنه لا يستطيع التحدث أكثر. يشق عليها أن تنظر إليه وهو في هذه الحالة من الألم العميق والواضح.

- كنت تفقد السيارة؟

همست. حتى الطفلتان التزمتا الصمت الآن، كما لو أنهما تستطيعان الشعور بالتوتر في الغرفة. هزّ رأسه نافياً.

- لا، لم نصل إلى الشارع حتى.

لا تفهم شيئاً، كلامه غير منطقي.

- استقلت ليندسي السيارة كي تتدفأ، لطالما كانت نافذة الصبر. أخبرتها أن تنتظر داخل المنزل، لكنها خرجت قبل أن أنتهي، لم أكن أعلم أن الأمر خطير.

مكتبة

t.me/soramnqraa

ابتلع ريقه.

- ما هو الخطير؟

سألته بحيرة. وأخذ نفساً عميقاً.

- كنت أجرف الثلج بعيداً عن السيارة، استغرق الأمر وقتاً طويلاً لأن الثلج كان غزيراً ويصل إلى سقف السيارة تقريباً؛ لكنها كانت تتوق لزيارة أمها وأختها.

تردد قبل أن يضيف: «لم تتحمّل الابتعاد عن أهلها، وكانت حاملاً في الشهر الثامن، وأنا كنت أعمل لساعات طويلة».

شعرت ستيفاني بانقباض أحشائها؛ لم تكن تعلم بحمل زوجته عند وفاتها، هيأت نفسها لما هو قادم.

- لم ترد البقاء في الداخل، وكان الطقس بارداً جداً، أخبرتها أن تنتظر في المنزل، لكنها استقلت السيارة وأنا تابعت جرف الثلج... لم أكن

أعلم أن أنبوب العادم مسدودٌ بالثلوج، وأن أول أكسيد الكربون الذي عبأ السيارة... سيقتلها.

اختلف صوتُه وهو يبتلع نحيبه. فغر فم ستيفاني برعب، لكنه لم ينظر إلى عينيها.

- عندما... عندما انتهيت، وضعت المحراث بعيداً، وذهبت لإحضار الحقائب من المنزل، وأغلقت الأبواب؛ وضعت الحقائب في صندوق السيارة، ثم فتحت باب المقعد المجاور للسائق.

صمت، وبدا لستيفاني أنه لا يستطيع التقاط أنفاسه.

- في البداية ظننت أن ليندسي نائمة...

نظر إليها ثم أشاح بنظره بعيداً وسريعاً.

- لكنني شعرت فجأةً أنها لا تبدو طبيعية، لا تبدو بخير نوعاً ما. أمسكت بكتفيها وهزتها فمال رأسها إلى الأمام... عرفت أنها ماتت. بدأت أصرخ، فقدت صوابي للحظة. ابتعدت عن السيارة وصرخت طالباً المساعدة، بحثت عن هاتفني المحمول، واتصلت بالنجدة. أتى بعضُ الجيران راكضين نحوي؛ كنت في حالة هysterية، لا أذكر مما حدث بعد ذلك غير أن بعض الأشخاص كانوا يُخرجون ليندسي من السيارة ويضعونها على الثلوج، أحدهم قام بعمل تنفس صناعي لها، وصل رجال الإسعاف سريعاً، لكن كل هذا كان متأخراً بالفعل، أعلنوا موتها هي والجنين.

وضع رأسه بين يديه وقال: «لو كنت أعلم بما يحدث في السيارة، لو أنني تفقدتها قبل إبعاد المحراث وصعود الدرج لإحضار الحقائب...

انفجر في نوبة من النحيب المتلاحق.

انتشلت ستيفاني نفسها من الصدمة واقتربت من باتريك، وضعت ذراعيها حوله، لا تدري ماذا تقول، شاهدته ينهار ووجهه بين يديه. بدأت الطفلتان بالبكاء أيضاً. تشعر بالخدر؛ لم تكن تعرف، لم يكن لديها أدنى فكرة أنه يحمل على عاتقه هذا الحمل الرهيب منذ أن عرفتَه. ضمته بين ذراعيها بينما استمر في الانتحاب، وجسده يهتز بشدة.

- هش.

همست وهي تحتضنه بقوة؛ هذا هو أكثر شيء مأسوي سمعته في حياتها؛

لا تستطيع أن تتخيلَ حتى...

- كان حادثًا.

همست له وهي تضمه بقوة حتى توقف جسده عن الارتجاف، لم يسبق لها أن رأته في هذه الحالة الكئيبة التي يرثى لها من قبل، بدا كأنه تمزق إلى أشلاء. أخيرًا نظر إليها بعينين حمراوين تفيضان بالدموع.

- أنا آسف، أنا آسف لأنني لم أخبرك.

كانت الطفلتان تصيحان الآن؛ معًا، مَسَحَ باتريك وستيفاني وجهيهما وأيديهما، وحملهما من المقاعد المرتفعة، ثم ذهبا بهما إلى غرفة المعيشة كي يضعاهما في الأرجوحتين حتى يستطيعا التحدُّث؛ تحب الطفلتان الأرجوحتين، فهي تشتت انتباههما للحظات.

سقط باتريك على الأريكة وقد خارت قواه، وجلست ستيفاني بجوار زوجها والتفتت لتنظر إليه.

- لِمَ لم تخبرني؟

سألته بلطف؛ ونظر إليها مُنْهَك القوى.

- كنت أشعر بالعار، لا أستطيع أن أصف لك كم الذنب الذي أحمله على عاتقي. لم أكن أعلم، لم أكن أعرف حتى أن أول أكسيد الكربون مسممٌ إلى هذا الحد.

أومأت، لم تكن تعلم هي الأخرى؛ خطأ بسيط لكن مأسوي.

- كنت في الثالثة والعشرين فقط من عمري، كاد الشعور بالذنب أن يقضِي عليّ، تركت كولورادو بعد الجنازة وعدت إلى نيويورك. استغرقت وقتًا طويلاً حتى عدت لطبيعتي، ما زلت أفكر في الأمر وفي كل ما حدث، كل يوم.

نظر إليها، يبدو وجهه منهكًا.

- ثم قابلتك منذ ثلاث سنوات، وشعرت أنني أحيًا مجددًا.

ثم نظر بعيدًا.

- أنا آسف، هذا غير عادل بالمرة، أنا ألقى بكل هذا عليك دفعة واحدة.

- ليس عليك الاعتذار لي، أتمنى لو أنك أخبرتني سابقًا، لكنني ممتنة لأنك تخبرني الآن.

تساءلت لماذا اختار اليوم ليخبرها.

- لم أرد أن يصبح هذا الأمر جزءًا من حياتنا معًا، لم أرغب في أن أضع على عاتقك هذا الحمل أنتِ أيضًا، هذا حملي وحدي، وعليّ تحمله وحدي.
- مدت يديها ولمست وجهه بكفيها.
- باتريك، أنا أحبك وسأحبك دائمًا، لدينا طفلتان جميلتان؛ ما حدث كان مروعًا، أنا آسفة جدًا.
- صمتت قليلًا ثم أكملت حديثها.
- لا أرغب في التقليل من شأن ما حدث، لكنه أصبح من الماضي وعليك أن تتخطى الأمر، سامح نفسك، نحن نبني مستقبلنا معًا.
- نظر إليها، لا يزال وجهه كئيبيًا، أشاح بنظره بعيدًا عنها ونظر إلى الأرض.
- أريد أن أترك كل هذا ورائي، يعلم الله كم عانيت.
- تستطيع تركه وراءك، هل طلبت المساعدة من أحد، كاستشاري تخطي الألم على سبيل المثال، حتى يساعدك في هذا؟
- هز رأسه نافيًا، وتنشَّق..
- لا.
- قالت بلطف: «ربما من الأفضل لو فعلت ذلك».
- التقط نفسًا عميقًا، وما زال ينظر إلى الأسفل.
- هناك مشكلة ما عليك معرفتها.
- انتظرت بقلق.
- كان لدى ليندسي صديقة تدعى إيريكّا، انتقلت حديثًا للعيش بالقرب من هنا، تقطن في نيوبورغ، تواصلت معي منذ يومين وطلبت رؤيتي لاحتساء الشراب.
- حسنًا.
- قالت ستيفاني؛ وهي تتذكر رائحة الكحول في فم زوجها، وتساءلت إلى أين سيصل بهما هذا الأمر، بينما تشعر بعدم الارتياح.
- هي تهددني.

الفصل التاسع

أراحت إيريكاً ظهرها إلى الوراء داخل حوض الاستحمام؛ تغمرها المياه الساخنة حتى رقبتها، وتستنشق رائحة اللاندر؛ تفكر في نايل، هو رجل وسيم، استمتعت كثيراً بالوقت الذي قضياه معاً.

قدمت على الوظيفة في شركة «كيلجور وفوت» حتى تثير الرعب في باتريك فقط؛ أرادت أن تأتيه من حيث لا يحتسب. لكن كان هناك انجذاب لا يمكن تجاهله بينها وبين نايل خلال المقابلة؛ كما لاحظت أن نايل متزوج ولديه طفل، رأت خاتم الزواج والصورة على مكتبه. إن غالبية الرجال المتزوجين، بالأخص أولئك الذين لديهم أطفال، لا يرغبون في إطلاع زوجاتهم على نزواتهم خارج الزواج.

فكرت مجدداً في باتريك؛ قال إنه لن يدفع لها بالطبع، لكنه لا يعني ذلك.

حدقت ستيفاني إلى زوجها بدهشة.

- تهددك، كيف؟

تنهد بعمق ويأس.

- هددتني بأنها ستخبرك بما حدث، أخبرتها أنني سأخبرك بنفسني، ليس لديّ ما أخفيه.

صمتت ستيفاني، يتفاهم الفزع بداخلها.

قال أخيراً: «تريد المال، وإلا ستخبر السلطات في كولورادو بأن يعيدوا فتح القضية مجدداً، وإعادة التحقيق».

- ماذا؟

سألت ستيفاني، وهي لا تستطيع أن تصدق.

- تحاول ابتزازك!

أوما: «نعم».

- ماذا تقصد بالضبط بفتح القضية مجددًا؟

صرخت ستيفاني، إنها تشعر بارتياح مريع يجتاحها. لكنه لا ينظر إليها، إنه يحدق إلى الأرض مجددًا.

- كان حادثًا، والمحكمة أصدرت حكمًا بذلك؛ لم يكن هناك دليل واحد على أي شيء خلاف ذلك مطلقًا! لكنها تقول إنها ستذهب إلى السلطات وستطلب منهم فتح القضية مجددًا؛ أخبرتني أنها ستخبرهم بأنني قتلتها عمدًا.

تشعر ستيفاني بالذهول، بالكاد تفهم ما يخبرها به.

- لِمَ قد تفعل ذلك؟

- من أجل المال! هي تحاول إخافتي كي أدفع لها.

- لكنها لا تستطيع فعل ذلك، أليس كذلك؟ لا يمكنها أن تذهب بكل بساطة وتطلب منهم فتح القضية مجددًا؛ هذا سخيف.

- هذا سخيف بلا شك، لقد فقدت صوابها اللعين! وهذا ما قلته لها.

نظر باتريك إليها.

- لكن...

لا تدري ستيفاني كيف تصيغ الأمر.

- لكن... هل تستطيع فعل ذلك؟ هل لدينا ما نخشاه؟

- لا أعلم.

بدا متوترًا بصورة لا تروقها.

- تفعل ذلك لأنها تعلم أن لدينا المال، علمت بأمر ميراثك بشكل أو بآخر، لم تكن لتأتي إلى هنا لولا ذلك.

أبقت ستيفاني أمر ميراثها سرًا، كيف عرفت تلك المرأة؟

- ألا ينبغي أن يكون لديها بعض الأدلة على هذا الادعاء؟

اعترضت ستيفاني، بينما طال صمته، ما زال يتجنب النظر إليها.

- ليس لديها أي دليل، أليس كذلك؟

- بالطبع، لكن... تقول إنها تمتلك دليلاً.

- ماذا؟

تشعر ستيفاني أنها لا تستطيع التنفس.

- الأمر سخيّف جداً.

- أخبرني.

هز رأسه، كأنه لا يصدق سخافة الأمر برمته.

- تقول إنها ستخبرهم بأني رغبت في إبعاد ليندسي عن طريقي.

بدا قلقاً بشدة الآن، نظر إليها بتوتر.

- لمَ قد تقول ذلك، باتريك؟

تشعر ستيفاني بالإعياء في جوفها.

ابتلع ريقه وقال: «تقول إنها ستخبرهم بأني كنت مغرماً بها، وهذا محض هراء؛ هي تعلم ذلك وأنا كذلك، لكنها قد تتفوّه بأي نوع من الأكاذيب حتى تحصل على أي شيء». نظر إليها بئأس، «أنا أعتقد أنها معتلة اجتماعياً⁽¹⁾، ستيفاني، ليس لديها أيُّ مبادئ أو ذرة ضمير على الإطلاق. من يعلم ماذا ستقول، ماذا ستخترق؟ واضح أنها تريد المال فقط، لكن عندما تتحدث، تبدو مقتنعة تمام الاقتناع بأكاذيبها، هي ممثلة بارعة».

جف حلق ستيفاني، حاولت أن تبتلع ريقها.

- كيف تعرّفتها؟

- كانت صديقة ليندسي المقربة.

- وإلى أي مدى وصلت معرفتكما ببعضكما؟

نظر في عينيها وقال: «كنت يافعاً، كنت مجرد طفل، وكنت غيباً جداً؛ لا أريدك أن تعتقدي...» تردد.

- أعتقد ماذا؟

(1) الاعتلال الاجتماعي هو اضطراب في الشخصية يتسم بممارسة السلوك المعادي للمجتمع، افتقار التعاطف والندم، والتصرف بجرأة وأنانية دون قيود. (المترجم)

تشعر بتوتر الآن، تخشى ما سيلقيه على مسامعها؛ تعتقد أن لديها فكرة.
لم يجيبها، سألته بحدة: «هل أقمت علاقة حميمية مع هذه المرأة؟».
كان صمته هو الرد الذي تحتاجه.

- يا إلهي!

نهضت عن الأريكة، ووقفت أمامه، تنظر إليه بذعر.

- أقمت علاقة حميمية مع صديقة زوجتك المقربة، والآن هي تقول إنك
كنت مغرمًا بها، هل هذا صحيح؟ هل كنت مغرمًا بها؟

كان صوتها محملًا بالاتهامات. بدأت جأكي بالبكاء في الأرجوحة، وفورًا
انضمت لها إيما، لا يروقهما الاستماع إلى أمهما تتحدث بهذه الطريقة.

«أقمت علاقة حميمية معها بضع مرات»، اعترف باتريك. «لكن الأمر لم
يتعد ذلك، كنا مخمورين، وكنا أطفالًا، لم يكن لتلك العلاقة أي معنى، لا شيء!
هي تعتقد أنه يمكنها استغلال تلك العلاقة ضدي الآن لأنها ترغب في المال».

وقف باتريك، ومرَّر يده في شعره بعنف وقال: «ظللت صامته من قبل لأنها
كانت متأكدة أن العلاقة لم تعنِ أي شيء لأي منا، تعرف أنه كان حادثًا، وتعلم
كم دمرني ما حدث».

حاول أن يلمسها وهو يتوسل: «يجب أن تصدقيني ستيفاني، لن أخونك
أبدًا؛ إن كان هذا ما تخشيه، فأنا شخص مختلف الآن».

لكن الأفكار تدور في رأسها بعنف، لقد خان زوجته الأولى، لا تصدق ما
تسمعه، لكن كان هذا منذ عشر سنوات تقريبًا؛ هل يتغير الناس فعلًا؟ قالت
بحزم، نبرتها هادئة وحازمة: «إن خنتني، سأتركك وأخذ التوأمتين معي».

نظر إليها مدهوشًا، يشعر بالذهول من نبرة صوتها.

- حسنًا، أنا أعلم. لن أخونك أبدًا، أقسم لك؛ لم أفعل ولن أفعل، دعينا لا
نخوض هذا الأمر لأنني لن أفعله أبدًا. ما علينا التعامل معه الآن هو...
هذا الوضع.

أخذت نفسًا عميقًا؛ من الصعب التفكير بوضوح والطفلتان تبكيان
وتصرخان؛ كان عليهما رفع صوتهما حتى يسمعا بعضهما فوق صوت
الصراخ. سارت نحو الأرجوحة وضبطت المؤقت مجددًا حتى تبدأ بهز
الطفلتين مرة ثانية؛ هدأتا قليلًا. ثم جابت غرفة المعيشة جيئةً وذهابًا،
يجتاحها التوتر، وشعور بعدم الارتياح، لم تعد تشعر بالإجهاد.

- ماذا سنفعل؟ إن ذهبنا إلى الشرطة وأخبرتهم بأكاذيبها، سيكون...
- لا تستطيع ستيفاني أن تتخيل الوضع.
- هي تتهمك بالقتل!
- قالت ستيفاني بنبرة متوترة: «فكر في آثار هذا الأمر علينا، آثاره على كل منا وعلى سمعتك...».
- سيكون هذا في كولورادو وليس هنا.
- قال باتريك باقتضاب: «سيتطلب السيناريو الأسوأ عودتي إلى كولورادو، حيث سأخبرهم بالقصة من ناحيتي، وقد فعلت ذلك بالفعل، وصدقوني حينها. لن يصدقوها ولن يفتحوا القضية مجددًا، لن يعرف أي شخص هنا بما يحدث».
- قالت ستيفاني: «تفكيرك سطحي، باتريك».
- تكرر وجهه.
- اللعنة!
- بدأ يجوب الغرفة جيئةً وذهابًا هو الآخر.
- يجب ألا يسمحوا لها بالنجاة بفعلتها تلك! هذا كله كذب وافتراء!
- هل علينا استشارة محام في هذا الأمر؟
- هز باتريك رأسه نافيًا.
- ليس بعد، ربما ستتخلى عن الفكرة عندما نرفض أن ندفع لها.
- فكرت ستيفاني قليلًا، وأنفاسها تتسارع وتتلاحق.
- قلت إنك تعتقد أنها معتلة اجتماعيًا، هل تظن ذلك حقًا؟
- لا أعلم.
- إن كانت مجنونة، لن يصدقها أحد.
- زفر بعمق: «لكنها لا تبدو مجنونة، تبدو طبيعية تمامًا، لكنني أعلم أنها كاذبة». ثم أضاف مترددًا: «لا أدري، ربما علينا الدفع لها بشيء ما حتى ترحل».
- «مستحيل!»، اعترضت ستيفاني، «إن دفعنا لها مرة، ستطلب مجددًا وستطاردنا بطلب الأموال طيلة حياتنا، ستستنزف كل ما نملك».

عليهما مجابتهما؛ ليأتي ما سيأتي. كانت تشعر بالسقم عند التفكير فيما قد يحل بهما.

- لن ندفع ما أدخره أبواي من خلال العمل الشاق لامرأة تحاول ابتزازك بشيء لم تفعله؛ فكر في الأمر باتريك! هذا ضرب من الجنون. لا أصدق أنه خَطَرْتُ لك فكرة دفع أي شيء لها.

قال باتريك وهو يومي: «أنتِ مُحِقَّة».

قالت ستيفاني فجأة: «ربما عليّ التحدث معها».

بدا باتريك مصدومًا.

- لِمَ؟

- لأخبرها بأنني أصدقك وأقف بجوارك، قد يفسد هذا كل ما ترمي إليه، ربما أستطيع التفكير بمنطقية معها.

هز باتريك رأسه نافيًا.

- لا! لا يوجد أي منطق مع هذه المرأة لا أريدها أن تقترب منك أو من الطفلتين؛ هذه المرأة سامة، وخطيرة على الأرجح.

ثم أضاف: «أعني، هل يوجد شخص عاقل سيفعل ما تفعله هي؟».

الفصل العاشر

وضعت «نانسي فوت» ابنها في فراشه، وبدأت بجمع الملابس المتسخة لتضعها في الغسالة خلال الليل. التقتطت القميص الذي ارتداه زوجها ذلك اليوم، لقد ألقاه على السرير؛ لا يكثرث أبداً بوضع الملابس في سلة الغسيل، فجأة، شعرت برائحة عطر بسيطة تنبعث من القميص؛ تسمرت مكانها.

لا، لن يفعل، ليس بعد ما حدث في المرة الأخيرة.

في لحظة من الذهول، قربت القميص من أنفها واستنشقت؛ بالكاد تشم رائحة عطر أنثوي مثير وبرائحة الورد. تخبر نفسها أنه ليس من الضروري أن يعني ذلك ما تعتقده هي؛ ربما وضعت إحدى السيدات في المكتب العطر بغزارة ذلك اليوم...

لكن نانسي لا تتحمل أن يكذب عليها أحد، ولذلك لن تكذب على نفسها هي الأخرى؛ لم تَشْمَ أي شيء من هذا القبيل ينبعث من زوجها أو من ملابسه منذ أن أجبرته على قطع علاقته مع «آن أودود».

جلست على سريرهما، تغوص داخل الفراش، يدق قلبها بجنون خوفاً من الخيانة. لم تثق به منذ أن اكتشفت خيانتها، كانت تضعه تحت الملاحظة، تفتش في جيوب سراويله ومعاطفه في الليل بحثاً عن أي إشارة؛ فاتورة، مندبل كوكتيل⁽¹⁾، رسالة... لكنها لم تجد أي شيء. لا تعلم كلمة مرور هاتفه للأسف.

(1) الكوكتيل أو الخليط الكحولي، هو نوع من أنواع المشروبات الكحولية المخلوطة، يحتوي عادة على أحد أو عدة أنواع من المشروبات الكحولية وغير الكحولية والنكهات والفواكه والصلصات والعسل والحليب أو القشطة والبهارات. (المترجم)

جلست على السرير، ينتابها شعور بأن الهواء قد نضب من رئتيها؛ لا تريد أن تخوض هذا مجددًا، هل ينبغي لها مواجهته؟ تعلم من تجربتها السابقة أنه سينكر كل شيء، سيستمر في الإنكار حتى تواجهه بدليل لا يمكن إنكاره، تمامًا كما حدث سابقًا.

أخبرته أنها سامحته على علاقته مع آن، لكن هذا غير صحيح، لم تسامحه، لكنها تريد الحفاظ على زواجهما؛ ما زالت تحبه، كما أن لديها طفلًا صغيرًا عليهما التفكير في شأنه؛ يبلغ هنري أربعة أعوام فقط. لا ترغب في أن تصبح أمًا عزباء، تضع الخطط لبقائه معها أسبوعًا ومع والده أسبوعًا، وتظل تذكر نايل بالمصاريف؛ هي تعلم، لديها أصدقاء مطلقون، وتعلم جيدًا كيف يكون الوضع.

سيكون أكثر حكمة وأكثر حرصًا هذه المرة، فهو يرغب في استمرار هذا الزواج أيضًا؛ كان مدمرًا تمامًا في المرة السابقة عندما أدرك أن هذه العلاقة العابرة قد تكلفه زواجه وعائلته، كان محطمًا؛ لم يكن يكذب بشأن ذلك. إذا لماذا فعلها؟ لماذا يخونها؟

خلد باتريك إلى فراشه بعد منتصف الليل، حثته ستيفاني على ذلك بينما جلست على الأريكة مع التوأمتين، تضع كل واحدة منهما على أحد ثدييها. تعلم أنهما تهدآن وهما تأكلان، إلا أنهما ستبدآن بالبكاء بعد فترة وجيزة، وسيكون لديها الكثير لتتولى أمره قبل أن تناما من كثرة البكاء. هذا هو روتينهما اليومي؛ يحظى بساعات نوم إضافية في الليل بينما تحظى هي بقبولة الظهر، فيمارس كلٌ منهما يومه بست ساعات من النوم في الليل منذ عدة شهور. ومع ذلك، يجافيه النوم الآن.

لقد جاب غرفة المعيشة ذهابًا وإيابًا، حاملًا الطفلتين الباكيتين طيلة الليلة، وكان يتوق إلى فراشه، لكن بعد أن استلقى فيه، لا يستطيع أن يوقف عقله عن التفكير. دفع ما تطلبه إيريكا هو أغبى قرار ممكن؛ عليهما التصدي لها، فهي مخادعة. لكن ماذا لو لم تتراجع؟ ماذا سيحل به إن ذهبت إلى السلطات وأخذوا كلامها على محمل الجد؟ هل سيفعلون بعد كل هذا الوقت؟ بالطبع سيَشْكُون في الأمر، لماذا استغرقت كل هذا الوقت حتى تتحدث إلى

السلطات؟ سيخبرهم أنها حاولت ابتزازه، بالطبع سيضع هذا حدًا لكل ذلك؛ لا يوجد ما يستدعي القلق.

لكن حتى لو لم يحدث أي شيء من هذا القبيل، لقد تسببت إيريكا في ضرر كبير بالفعل؛ يمكنه رؤية الشك في عيني زوجته، ليس بشأن الحادث ولكن الشكوك حوله هو، خان زوجته الأولى؛ يمكنه رؤية ما يدور في رأس ستيفاني: هل سيخونها هي الأخرى؟

أصابه الذعر عندما اقترحت ستيفاني مقابلة إيريكا، عليه أن يضمن أنهما لن تتقابلا أبدًا. لطالما شعر بالخطر ينبعث من إيريكا؛ ربما كان هذا جزءًا من جاذبيتها حينها، لكن الآن، لديه الكثير الذي يخشى خسارته. ماذا لو قدمت إلى المنزل وألقت بأكاذيبها؟ قد تكون مقنعة جدًا؛ عليه أن يثق بـستيفاني، ويثق بأن حبها له سيمكّنها من التفرقة بين الكذب والحقيقة. أخيرًا، غطّ في نوم مضطرب.

في الصباح التالي، حضّرت نانسي لنفسها كوبًا من القهوة، وقررت ألا تضع نفسها في موقف المغفلة؛ إن كان زوجها على علاقة بشخص ما، عليها أن تعلم ما يحدث. عندما غادر نايل للعمل هذا الصباح كان يصفر، وهذه إشارة سيئة، كان يصفر وهو على علاقة مع آن.

جلست حول منضدة المطبخ، ممسكة بهاتفها المحمول؛ لم تكن ماهرة في التعامل مع التكنولوجيا، تتعلم ما تحتاجه فقط، وتتجاهل ما عدا ذلك. لا تستخدم التطبيقات، يمكنها استخدام حاسوبها، وقادرة على التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، لكنها لا تستطيع التعامل مع التكنولوجيا الحديثة؛ على خلاف زوجها الذي يملك تطبيقًا من أجل كل شيء، ومغرم بسيارته اللامعة والجديدة «تيسلا موديل إكس»، ذات الأبواب المجنحة والمميزات العصرية. هي تخشى قيادتها؛ تجدها مرعبة، كما أن لديها سيارتها الخاصة على أي حال. لكن، عندما اشتراها، كان مفعماً بالحماس وأعطاهها نسخة من مفاتيح السيارة السوداء لتحفظ بها في محفظتها، وحمل التطبيق على هاتفها وحاول أن يشرح لها كيف يعمل كل شيء؛ لكنها تفقدته مرة ولم تنظر إليه مجددًا منذ ذلك الحين.

فتحت هاتفها وضغطت تطبيق سيارة التيسلا؛ تفقدته ووجدت بعض المعلومات القيمة؛ ترى سيارة زوجها متوقفة في 111 «شارع بليكر»، حيث يقع مكتبه. اكتشفت أنه يمكنها فتح التطبيق في أي وقت وترى أين هو بالضبط؛ سيكون هذا مفيدًا.

غادرت إيريك شقتها المتواضعة واستقلت سيارتها، فعلى الرغم مما قاله، لا تعتقد إيريك أن باتريك سيخبر زوجته؛ لطالما كان من النوع الكتوم. نعم، لا تعلم زوجته شيئًا بالطبع. لا تدري ماذا سيحل بها إن اكتشفت كل هذا؛ تعتقد إيريك أنها ستكون ممتنة لها على الأرجح، ربما كان يفكر في قتلها وقتل طفلتيها يومًا ما. تذكر إيريك نفسها بأنها تقدم لزوجته معروفًا، فهو يبدو كهذا النوع من الرجال.

انعطفت تجاه الطريق السريعة لايلسفورد، يتملكها الفضول حول باتريك وعائلته الجديدة الصغيرة. هي تعلم بالفعل أين يقطن وكيف يبدو الجميع؛ كانت هناك، حتى إنها تفقدت أحد المنازل المعروضة للبيع على بُعد بضعة منازل عن منزل كيلجور في «دانبري درايف»، واحد من أرقى الأحياء في ايسلفورد طبقًا لمواقع العقارات. تعلم أنهم يمتلكون المال الكافي. ستذهب إلى دانبري درايف مجددًا اليوم وستلقي نظرة ثانية على زوجته الجديدة.

استيقظت ستيفاني فزعًا؛ لا تدري كم استغرقت من الوقت في النوم؛ قد تكون دقائق وساعات. نظرت إلى الساعة الرقمية لتستبين الأمر، إنها الثانية وسبع وثلاثون دقيقة مساءً. تسمع شخصًا ما يناديها؛ من هذا؟ جلست وهي تفكر أنها تتخيل.

- ستيفاني؟

إنه صوت هانا، تناديها من الطابق السفلي، ما الذي تفعله هانا في منزلها؟ هل هناك خطبٌ ما؟ تذكرت ستيفاني الحريق في مطبخها ونهضت من سريرها وهرعت إلى الدرج؛ لا توجد رائحة دخان. كانت تهبط منتصف الدرج عندما رأت هانا تقف في الردهة الأمامية، والباب مفتوح على مصراعيه وراءها.

- ماذا تفعلين هنا؟

سألته ستيفاني بحيرة. نظرت هانا إليها، والقلق جلياً على وجهها.

- رأيت الباب الأمامي مفتوحاً، جئت لأتفقدك.

سارت ستيفاني نحو الردهة الأمامية، تعتقد أنها أوصدت الباب عند عودتها من متجر البقالة، لكن ربما لم تفعل. لا تذكر شيئاً.

- ربما نسيت أن أغلقه.

قالت بقلق وهي تضع يداً على رأسها: «أنا أفقد صوابي على الأرجح».

هزّت رأسها وعبست قائلة: «في الواقع، إن لم تبدأ الطفلتان بالنوم قريباً، سأجن تماماً».

لم تخبر هانا بشأن الحريق، لم تخبر أحداً سوى زوجها. لدى هانا طفل واحد، ولديه نظام نوم ممتاز؛ لا تستطيع ستيفاني كبخ نفسها عن المقارنة، رغماً عنها.

قالت هانا وهي تغلق الباب: «أسفة لإيقاظك، شعرت بالقلق عليك».

قالت ستيفاني وهي تبتسم لها بلطف: «لا، لا بأس»، ونظرت بهدوء إلى جانب الباب. تركت حقيبة يدها في هذا المكان على الأرض بجانب الطاولة الصغيرة في مدخل المنزل، هي واثقة من ذلك.

- أين حقيبتي؟

سألت وهي تنظر حولها بحثاً عن الحقيبة السوداء الكبيرة. بحثت هانا في المدخل بعينيها اللتين تتبعان عيني ستيفاني القلقتين.

- تركتها هنا بالضبط.

قالت ستيفاني، لكن من الواضح أنها ليست هناك الآن؛ دلفت إلى المطبخ وتفتقد طاولة المطبخ والمنضدة والأرض؛ لا ترى الحقيبة في أي مكان. دخلت هانا إلى غرفة المعيشة لتبحث عن الحقيبة، ثم خرجت مجدداً.

- ربما هي في الأعلى؟

اقتрحت هانا. هزت ستيفاني رأسها نافية، لكنها صعدت الدرج على أي حال، بحثت في غرفة النوم، ثم عرجت إلى نهاية الردهة لتتفقد الطفلتين النائمتين، لكن الحقيبة غير موجودة، بدأت تشعر بالاستياء الآن. فجأة، استوعبت ما يحدث؛ لقد اقتحم أحدهم المنزل وسرق حقيبتها، كان من

الممكن أن يأخذ التوأمتين أيضًا دون أن تلاحظ، وهذا هو خطؤها اللعين، أنها لم توصل الباب الأمامي بإحكام، كما تركت حقيبتها أمام الباب الأمامي على الأرض.

قالت: «كيف لي أن أكون بهذا الغباء؟».

ثارت نحو هانا وهي تهبط الدرج مجددًا وقالت: «الحقيبة بها محفظتي وبطاقة هويتي، وكل شيء! عليّ استبدال كل شيء».

مجرد التفكير في المجهود الذي سيتوجب عليها بذله لتعويض الأمر أصابها بالاكنتاب.

علقت هانا: «لا تلومي نفسك، من الطبيعي أن تتركي بابك دون أن توصله ولا تخشي أن يدخل أحدهم ويسرق حقيبتك».

- قلت إنه كان مفتوحًا على مصراعيه.

ردت هانا: «هذا عندما رأيته».

- سيستاء باتريك؛ هو يقلق بشأنني، فأنا لا أستطيع التركيز هذه الأيام وأنسى كثيرًا.

- سأساعدك على تبديل بطاقة هويتك، فعلتها مرة من قبل، عندما سُرقت مني حقيبتني في نيويورك.

تمكنت ستيفاني من ابتلاع خبيبتها وقالت: «شكرًا هانا، لا أدري ماذا كنت لأفعل لولاك»، ثم تذكرت شيئًا آخر، «كان لديّ مفتاح إضافي للمنزل في الحقيبة، علينا تغيير القفل».

ترغب في دعوة هانا إلى الداخل لاحتساء كوب من القهوة وكي تخبرها كل شيء عن ماضي باتريك والمرأة التي تهددهم، لكنها لا تستطيع؛ عليها حمل هذا العبء وحدها، حتى ولو كان لا يُحتمل.

الفصل الحادي عشر

واجهت ستيفاني صعوبة بالغة حتى وضعت عربة الأطفال المزدوجة في صندوق السيارة. أمطرت السماء الليلة الماضية، لكن الغيوم انقشعت الآن ويبدو أنه سيكون يومًا لطيفًا. لم تدق عقارب الحادية عشرة صباحًا بعد، لكنها مستيقظة منذ ساعات، واحتست كوبين من القهوة كي تُصَفِّي ذهنها. لكن ما يزعجها اليوم ليس فقط الحرمان من النوم الذي يجعلها مشتتة الذهن وكثيرة النسيان وهي تحضر الأمتعة من أجل نزهة مع التوأمتين، بل لأنها وباتريك في حالة من التوتر، ينتظران أن تتواصل معهما إيريكا فوس مجددًا. كان باتريك مستاءً للغاية عندما أخبرته بشأن سرقة الحقيبة ليلة أمس؛ أكد عليها أن تصبح أكثر حرصًا، واتصل بصانع أقفال على الفور.

إن الإرهاق الذي تعانيه يُشعرها بأن كل شيء من حولها أصعب من أن تتعامل معه أو تسيطر عليه. كيف أخذتها الحياة على حين غرة هكذا؟ هي مجرد أم وزوجة طبيعية فقط؛ لكن الآن، ينبغي لها ولزوجها التعامل مع عملية ابتزاز. استيعاب حقيقة أن باتريك خان زوجته الأولى كان أمرًا بشعًا بما يكفي، بالكاد تصدق ما حدث. والباقي..

ناقشًا الذهاب إلى شرطة ايلسفورد بالأمس؛ لم يَرُقْ باتريك هذا الاقتراح، لكن بالنسبة إليها، كانت هذه هي الخطة الأفضل، ربما كانا قادرين على توجيه بعض التهم إلى تلك المرأة أو على الأقل إخافتها للابتعاد عنهما. لكن في الوقت الراهن، اتفقا على أنه إذا تواصلت معهما إيريكا، سيخبرها باتريك أن ستيفاني تعلم كل شيء، وأنهما لن يدفعا لها سنًا واحدًا. ربما ستركهما وشأنهما حينها. تبقي ستيفاني هاتفها بالقرب منها دائمًا، في انتظار أن يتواصل معها في أي وقت.

ترتدي الطفلتان ملابس متطابقة ولطيفة. عليها أن تغادر المنزل؛ الخيار الأفضل الآن هو التنزه في الهواء الطلق، كي ترى جاكى وإيما الفراشات والزهور، سيذهبن إلى الحديقة القريبة، وسيجلسن فوق ملاءة بجوار الصندوق الرملي حيث ستلعب الطفلتان بالألعاب التي أحضرتها، وستفعل ما بوسعها لتجعلهما تستمتعان بوقتتهما. عادةً تقابل أشخاصًا تعرفهم في الحديقة، وغالبًا تتطلع إلى الأمر، لكنها لا ترغب في رؤية أي شخص اليوم. لا تستطيع أن تخبر أي أحد بما تمر به، ولا حتى هانا، صديقتها المقربة.

وضعت الطفلتين في العربة، وأحكمت إغلاق أحزمة الأمان، ثم أغلقت باب المنزل. ابتسمت في وجه الفتاتين ونقرت ذقنيهما بلطف، وتحدثت معهما وهي تدفع العربة على الرصيف؛ ثم أخرجت هاتفها والتقطت صورة لطيفة للفتاتين في العربة، وأرسلتها إلى زوجها. لم يُجب على الرسالة، على الأرجح هو في اجتماع؛ لا تستطيع أن تتخيل كم هو صعب عليه أن يركز على العمل في خضم كل هذا.

عندما وصلت أخيرًا إلى الحديقة، كان هناك عدد من الأمهات يجلسن مع أطفالهن الصغار على ملاءات تحت الشجر، بينما يلعب أطفالهن الأكبر سنًا داخل الصندوق الرملي. لا تعرف أيًا منهن معرفة تامة، لكنها تستطيع التعرف عليهن. أخرجت الطفلتين من العربة ووضعتهما على الملاءة، يجب أن تبقى عينيها عليهما، لكنها تفقدت هاتفها سريعًا؛ لم يرسل إليها باتريك أي شيء بعد وهذا يزيد من توترها. هل تواصلت معه إيريك؟ هددته يوم الأربعاء، واليوم هو الجمعة، هل تحاول العبث بأعصابهما؟ أخيرًا، سمعت هاتفها يرن، نظرت إلى الهاتف سريعًا.

لم تصلني منها أي أخبار، سأبقىك على اطلاع بما يحدث.

وضعت هاتفها بعيدًا، لا يروقها الأمر، تظن أن عليهما الذهاب إلى الشرطة، فهما مواطنان تحت حماية القانون، وضحايا جريمة متعمدة؛ لن تهتم الشرطة هنا بإعادة التحقيق في قضية من كولورادو، تعتقد أن الشرطة هي الخيار الأفضل.

- يا للطافة!

قالت امرأة تجلس بالقرب منها على حافة الصندوق الرملي. نظرت ستيفاني إليها، وقد قطعت السيدة حبل أفكارها.
- شكرًا.

قالت وهي تبتسم دون تركيز؛ تسمع هذا التعليق كثيرًا، عادةً بسبب التوأمتين، لكن لا توجد امرأة تشعر بالضجر من سماع تعليقات الغرباء عن لطافة أبنائها. تبدو المرأة مألوفة.

سألته ستيفاني: «هل نعرف بعضنا؟».

- لا أعتقد ذلك... لا، انتظري، أعتقد أنني رأيتك بالأمس في المتجر، كنت واقفة في الصف أمام المحاسب.

ردت ستيفاني: «أوه، هذا صحيح، أذكر الآن».

قالت المرأة: «كنتِ تبتاعين حفاضات وشوكولاتة داكنة».

وشعرت ستيفاني بالدهشة قليلًا حيث لاحظت المرأة ما اشترته بالضبط.
- كم عمرهما؟

- تقريبًا أربعة شهور ونصف.

أجابت ستيفاني، وهي تتساءل عن أطفال تلك المرأة، أين هم؟ لا يبدو أن بصحبتهما أي أطفال؛ إذاً لماذا هي بجوار الصندوق الرملي؟ نظرت إليها ستيفاني من كتب؛ إنها فاتنة، تمتلك شعرًا أشقر معقودًا كذيل حصان، ترتدي جينزًا ضيقًا، وبلوزة ظريفة. فجأة، لاحظت ستيفاني شعرها غير المرتب، وآثار ألعاب الطفلتين على قميصها، والجينز المخصص للأمهات الذي ترتديه. تستغرق وقتًا طويلًا قبل أن تستعيد رشاقته المعهودة؛ انتابها شعورٌ عابرٌ بالغيرة، بل والندم، وهي تنظر إلى السيدة الجذابة والجميلة أمامها. ثم نظرت إلى التوأمتين؛ هي لا تهتم بمظهرها، فإيما وجاكي تستحقان كل ذلك، هما عالمتها بأسره، ما الضير إن اكتسبت بضعة كيلوجرامات إضافية؟

قالت المرأة: «أمر لطيف أن يحظى المرء بتوأمتين».

أومأت ستيفاني، وأضافت بحزن: «نعم، لطافة مضاعفة، لكن مجهود مضاعف أيضًا».

- لدى أختي توأمتان، زوجها محام ويقول إن الأمر أشبه بأن تقضي سنوات عقوبتك كلها في آن واحد، بدلًا من قضائها بالتوالي.

قالت لها المرأة، وضحكتنا معًا.

تساءلت ستيفاني بفضول: «هل تعيشين بالقرب من هنا؟».

- ليس بعد، أبحث أنا وزوجي عن مسكن؛ لذا فكرت في التمشي وتفقد الحي والمحلات والتسكع في الحدائق ومحلات القهوة قبل أن نشترى. لا أعتقد أن عليك الوقوع في حب منزل ما من النظرة الأولى، وتقررين شراءه دون معرفة كل شيء حوله.

- نعم.

وافقتها ستيفاني، رغم أن هذا هو ما فعله تمامًا؛ تفقّد المنزل ووقعها في حبه من أول نظرة واعتبرا كل ما قاله وكيل العقارات حقيقة لا يمكن دحضها. لحسن الحظ، يشعران بالسعادة في هذا الحي.

سألت المرأة: «كم مضى على بقاءكما هنا؟».

- قرابة سنتين، انتقلنا إلى هنا بعد زواجنا مباشرة.

أخبرتها ستيفاني، وقد لاحظت أن المرأة لا ترتدي خاتم زواج.

- هل يعجبك العيش هنا؟

- نعم، نحن نحب المكان هنا، كل شيء رائع.

في هذه اللحظة تفقدت المرأة هاتفها، واختفى التعبير المرح عن وجهها وهي تكتب رسالة.

سألتها ستيفاني بلطف: «هل هناك مشكلة؟».

قالت المرأة: «لا، لا توجد مشكلة»، ثم نظرت إليها مجددًا وهي تبتسم، حيث رن هاتفها، «لا شيء لا أستطيع التعامل معه».

لا ينفك باتريك عن التفكير في إيريك والوضع القائم حاليًا؛ يتسلل الموضوع إلى عقله كل لحظة، حتى وهو يتحدث مع العملاء. يتفقد رسائله كالمهووس، لكن لم تصله أي رسائل من إيريك؛ عليه أن يتعامل مع هذا الأمر بل ويتخطاه. أخيرًا، وصلته رسالة من إيريك.

اتصل بي

حدّق إلى هاتفه، لاحظ أنه يقبض على فكّه، وقد توتر جسده بالكامل؛ هل هذا هو الخيار الأفضل؟ هل يجرؤ على أن ينعتّها بالمخادعة؟ مر بلحظة مريّة من التردد؛ إنها كلمته مقابل كلمتها، وهي كاذبة بارعة.

اتصل بها.

- إيريك.

- نعم.

- أخبرت ستيفاني بكل شيء وهي توافقني الرأي؛ لن ندفع لك فلسًا واحدًا.

انتظر ردها، لكنه كان غير متوقع بالمرّة.

الفصل الثاني عشر

أنهت إيريكالمكالمة، ثم سُمع صوت وصول رسالة جديدة.

أنا في الحديقة، أتحدث مع زوجتك، التوأمتان تشبهانك.

شعر باتريك بالدوار، وكأن الدم قد انسحب من رأسه؛ للحظة، لم يستطع التفكير على الإطلاق، ثم هدأ، وفكر سريعًا. هل ستؤدي إيريكاستيفاني والطفلتين؟ طبقًا لما يعرفه عنها، هي لا تلجأ إلى العنف، لكنها مخادعة، تعلم أن هذا التصرف سيربكه، ولذلك أقدمت عليه. لا بد أنها تتبع ستيفاني منذ أن غادرت المنزل؛ لاحظ أن أنفاسه تتلاحق، حاول أن يهدئ من روع نفسه، أخذ نفسًا عميقًا؛ شهيق، زفير، ثم شهيق وزفير وهو يحدق إلى الرسالة، محاولًا الوصول إلى حل. فَرَنَ هاتفه مجددًا.

أعتقد أنني وزوجتك قد نصبح أصدقاء.

والحقت بالرسالة صورة لستيفاني والتوأمتين يجلسن على ملاءة، تنظر ستيفاني في جهة أخرى وتحمل إحدى الطفلتين المبتسمتين، على الأرجح لا تدري أن إيريكاتلتقط لها صورة، هل تعلم ستيفاني مع من تتحدث؟ عليه أن يرسل زوجته في الحال.

هذه هي، أنتِ تتحدثين إلى إيريكاء؛ أرسلت إليّ صورة لك للتو، خذي الطفلتين وابتعدي عنها!

لم يتلقَ ردًا وكاد هذا أن يصيبه بالجنون، أكد على ستيفاني أن تُبقي هاتفها بالقرب منها، هل انشغلت بالتوأمتين أم أن خطابًا ما قد حل بهما؟ طمأن نفسه بأن الحديقة تكون ملأى بالبشر في هذا الوقت من اليوم؛ لن يصيب عائلته أي مكروه في وضح النهار.

لكن الصمت المطبق من كليهما يدفعه إلى الجنون؛ أخيرًا، فتح قائمة الاتصال السريع ليتصل بـستيفاني، سمع رنين الهاتف، وبدأ يهلع. عندما أجابت زوجته بدت منقطعة الأنفاس.

سألها بعنف: «ماذا يحدث؟».

أجابته: «ماذا؟ ما المشكلة؟».

تبدو طبيعية، لكن في موقف دفاعي.

- كنت أضع الطفلتين في العربة.

- هل المرأة التي معك ما زالت بصحبتك؟

سألها بصوت خفيض.

- لا، رحلت منذ دقيقة، كيف علمت بشأنها؟

أغلق باتريك عينيه.

- تلك هي إريكا.

التفت ستيفاني لتتأمل حيث اختفت المرأة الشقراء منذ لحظات فقط، لا تراها ستيفاني الآن. بينما شرح باتريك كل شيء لها، شعرت ستيفاني برعشة تسري في جسدها.

سألها باتريك: «ألم تخبرك من هي؟».

أجابته ستيفاني بصوت هادئ: «لا، تحدثت معي فقط، ثم تلقت اتصالًا هاتفيًا».

يثير ريبتها أنها كانت تجلس مع جاكى وإيما بينما يتحدث زوجها مع من تبتزه ولم تعلم شيئًا.

أخبرته ستيفاني، على وشك الانهيار: «بدت لطيفة جدًا».

- هي ليست لطيفة، ستيفاني؛ هي تريد العبث بنا.
- رأيتها من قبل؛ في المتجر، كانت تقف ورائي في الصف، هي تذكر حتى ما اشتريته.

- يا إلهي.

زفر باتريك.

قالت ستيفاني بوهن: «يجب أن آخذ الطفلتين للمنزل وأطعمهما، أنا مضطرة إلى الذهاب».

- حسنًا، سأعلمك إن تواصلت معي مجددًا.

وضعت ستيفاني الطفلتين في العربة، وهي تتلفت حولها بتوتر؛ المرأة التي يقول باتريك إنها إيريك بدت مسالمة تمامًا، لكن قد يبدو البشر مسالمين وهم لا يعرفون شيئًا عن السلم؛ لذلك لا يمكنك الحكم على البشر من مظاهرهم، فهم قادرون على خداعك. دفعت عربة الأطفال بسرعة فوق الرصيف، تتوق للعودة إلى المنزل حيث ستغلق الأبواب بحرص. تشعر بالتوتر عندما تفكر فيما يحدث حولها؛ باتريك أخبر إيريك أنهما لن يدفعها لها، بينما كانت تجلس على بُعد ستة أقدام من زوجته وأطفاله. تعتقد ستيفاني أن عليهما الذهاب إلى الشرطة قطعًا.

عادت إلى المنزل وأطعمت الطفلتين وبدلت ملابسهما، وهياتهما للقيامولة، لكنها متوترة جدًا ولا تقدر على النوم. لذلك، ذهبت إلى غرفة المعيشة وشغلت حاسوبها المحمول وفعلت شيئًا لم تكن قادرة على حمل نفسها عليه حتى الآن. فتحت بحث جوجل، ولم تستغرق وقتًا طويلًا حتى وجدت ما تبحث عنه؛ هناك مقالة في صحيفة دينفر.

حادث مأسوي يؤدي بحياة امرأة حامل.

10 يناير، 2009

أودى حادث مأسوي بحياة ليندسي كيلجور هذا الصباح؛ الضحية تبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا، وتعيش في

المدينة الجبلية كديمور بكولورادو. أكد القاضي الشرعي⁽¹⁾ بالمقاطعة أن الضحية كانت حاملاً في شهرها الثامن وتوفيت إثر التسمم بأول أكسيد الكربون. كانت تجلس في السيارة، ومحركها يعمل، بينما كان زوجها، باتريك كيلجور، يجرف الثلج بعيداً عن السيارة بعد العاصفة الثلجية الأخيرة؛ كان الزوجان يخططان لزيارة العائلة في جراند جانكشن. لاحظ الزوج أن زوجته لا تستجيب له، لذا اتصل بالطوارئ، حاول فريق الطوارئ إنقاذ الضحية في محل الحادث إلا أن محاولتهم باءت بالفشل.

تم الإقرار بأن الوفاة كانت حادثة؛ أول أكسيد الكربون هو غاز بلا رائحة أو لون، ويمكن أن يتسبب في الوفاة خلال دقائق. تحذر السلطات مجدداً من الجلوس داخل سيارة تعمل محاطة بالثلوج، خاصة عند هطول الثلوج بكثافة. يجب اتخاذ الحيطة والتأكد من أن أنبوب العادم غير مسدود، حيث يمكن للغاز المميت أن يتسرب من أسفل ألواح السيارة الأرضية.

تشعر ستيفاني بالخدر؛ الأسوأ من هذا كله، أن هناك صوراً. هناك صورة للسيارة الصغيرة وسط الثلوج، توجد طبقة سميكة من الثلج على سطح السيارة؛ حدثت إليها، زوجة زوجها الأولى توفيت في هذه السيارة. شعرت برعشة تسري في جسدها. لكن الصورة الثانية الأكبر حجماً هي ما استوقفتها لوقت طويل؛ هناك صورة لزوجها، مشوشة، لكنها صورة مقربة، والألم جلياً على وجهه. يبدو أصغر سناً وأنحف، وشعره أطول قليلاً؛ لكنه هو بلا شك. شعرت بالارتباك للحظات، تحاول استيعاب الألم الظاهر عليه.

(1) القاضي الشرعي أو محقق الوفيات هو موظف رسمي يحقق في أسباب الوفيات المشتبه فيها، المفاجئة، مجهولة الأسباب؛ عادةً ما يحوّل الجثة إلى الطبيب الشرعي لتسريحها، حيث يضع تقريره الخاص عنها ويرفع للقاضي الشرعي بعد ذلك ويتخذ فيها قرار الحكم.

أراحت ستيفاني ظهرها إلى الوراء؛ لم تكن تعلم؛ لم تكن مهتمة بوسائل التواصل الاجتماعي كثيرًا، لكنها بحثت عن اسم زوجها على جوجل في بداية مواعدهما؛ لكن كان هناك الكثير من باتريك كيلجور، لذا استسلمت على الفور. الآن تبحث عن اسمه مجددًا، كان عليها البحث في أكثر من صفحة حتى وجدت هذا التقرير مجددًا.

نظرت إلى صورة زوجها ثانية؛ ذلك التعبير على وجهه وتلك الصورة بالأبيض والأسود المشوشة ستلاحقها لبقية حياتها. لا تستطيع أن تكبح رغباتها لذا بحثت أكثر، ووجدت قصصًا أكثر بنفس الصورة لزوجها. لكن بعض المقالات، ألحقت صورًا لزوجته الأولى، كانت تبتسم للكاميرا. لكن ما صدم ستيفاني بشأن الصورة، أنها بدت سعيدة جدًا.

الفصل الثالث عشر

يشعر نايل بشيء ما على غير عادته؛ شيء ما يؤرق شريكه باتريك، كما يعتقد أن الأمر أكثر تعقيدًا من حالة المغص التي تعانيها الطفلتان؛ تذكر محادثتهما الأخيرة. ألقى باتريك بجسده على الكرسي أمام مكتب نايل؛ بدا متوترًا ومنهكًا في نفس الوقت واعتذر عن أدائه السيئ مؤخرًا، خاصةً خلال المقابلة غير الموفقة مع أحد العملاء في وقت سابق من ذلك الأسبوع. أرجع السبب إلى حرمانه من النوم، وقال إنه يشعر وكأنه يسير في الضباب طوال الوقت من التعب.

- ألا تستطيع ستيفاني الاعتناء بالطفلتين؟ ألم تتخلَّ عن وظيفتها وتمكث معهما في المنزل؟

سأله نايل، فرمقه باتريك بنظرة حادة، لم يكثرث نايل بفهم مقصدها. حسنًا، ربما كان قاسي القلب، وقد تركه زوجته نفسها إن سمعته يتفوه بمثل هذه الكلمات. لكن لا مجال للخطأ. يثير أداء باتريك قلق نايل هذه الأيام؛ استطاعًا تأسيس عمل جيد في السنوات الأربع الماضية، ولا يرغب في خسارة كل شيء الآن.

- أنت لا تعلم كم هو صعب التعامل مع توأمتين، بالإضافة إلى ما يعانيه طفلك من مغص الرضع.

أخبره باتريك؛ كان محققًا. لدى نايل طفلٌ في الرابعة من عمره ولا يخططان للحصول على طفل آخر. كان هنري طفلًا هادئًا؛ مكثت نانسي في المنزل وتولت أمره حتى يتمكن هو من التركيز على العمل. لكن من الواضح أن الوضع أكثر تعقيدًا في منزل باتريك، كما شعر نايل بالإحباط لأنه لا يستطيع فعل شيء تجاه الأمر.

حاول نايل أن يتعامل بلطف أكثر.

- تعلم كم أنت مهم للشركة، باتريك؛ كلانا بحاجة إليك في أحسن حال ممكن.

- أعلم، سأحاول... سأحاول أن أجد حلاً ما.

قال باتريك. وانتهت المحادثة عند هذه النقطة؛ دون خطة حقيقية حول كيفية التعامل مع هذا الوضع.

يقف نايل الآن جامداً بجوار طاولة الرسم، لقد سمع باتريك يتحدث بصوت عالٍ عبر الهاتف، بدا كأنه يتجادل مع شخص ما، سمعه بوضوح يقول: «ماذا يحدث؟». تسمر نايل وهو يستمع، لكن باتريك خفض صوته، ولم يسمع كلمة أخرى.

دلف إلى مكتب باتريك وسأله: «هل كل شيء على ما يرام؟».

- نعم، بخير.

أجابه باتريك الذي بدا مرتبكاً، يحاول إخفاء أمر ما.

- ظننت أنني سمعتك تتجادل مع شخص ما عبر الهاتف.

أجاب باتريك: «أوه، نعم»، وابتسم قليلاً في وجهه، «كنت أتحدث إلى ستيفاني، لكن الطفلتين كانتا تبكيان ولم أسمعها جيداً، يثير الأمر أعصابي أحياناً».

- حسناً.

قالها نايل، ثم عاد إلى مكتبه. وتساءل مجدداً عما يجري في حياة باتريك؛ وهل هناك شيء آخر يحتفظ به باتريك لنفسه.

كان نايل يرى أن باتريك ليس الشخص الوحيد هنا الذي يحتفظ بالأسرار لنفسه؛ سرعان ما بدأ يفكر في إيريك، وكيف بدت وهي نائمة على ظهرها، عارية فوق الملاءات؛ يرغب في رؤيتها مجدداً. تعلم أنه متزوج، لكنها لا تمنع. عليه أن يحرص فقط ألا تكتشف نانسي أمره؛ لقد اكتشفت علاقته بأن لأنه كان متهوراً، عليه ألا يقع في نفس الخطأ مرتين.

أخذ باتريك سترة بذلته وغادر المكتب، يشعر بعيني نايل تراقبانه من كُتب، وهو لا يستطيع تحمل الأمر حاليًا. يجتاحه القلق والتشتت، ولا يستطيع التركيز على أي شيء سوى المشكلة التي بين يديه الآن. عليه أن يتفقد عائلته؛ فجأة، شعر برغبة عارمة في رؤيتهم والتأكد من أن جميعهم بخير. اتجه سريعًا نحو موقف السيارات حيث توجد سيارته التي من طراز أودي.

أعتقد أنني وزوجتك قد نصبح أصدقاء؛ هذه الفكرة تجعل الدم يغلي في عروقه. كانت تجلس على بُعد بضعة أقدام من زوجته والتوأمتين عندما أرسلت إليه رسالة تطلب منه أن يتصل بها. توقعت أنه سيرفض أن يدفع لها، لذلك قررت اللجوء إلى أساليب الضغط الأخرى؛ يمكنها الكذب على ستيفاني، وإخبارها أنها وزوجها يتطارحان الغرام في غرفة فندق. إن إيريكا تعبت به الآن، تريه أنه بإمكانها العصف بحياته متى شاءت. يذكر باتريك نفسه بأن إيريكا ترغب في المال فقط ولن تؤذي عائلته.

غادر موقف السيارات وقاد سيارته باتجاه المنزل بأسرع ما يمكنه. فجأة، رَنَ هاتفه، نظر إليه؛ إنها رسالة أخرى من إيريكا. تشنجت يداه فوق عجلة القيادة على الفور، أوقف السيارة عند أول فرصة له في محطة بنزين. جلس للحظة ليتنفس بعمق قبل أن يفتح الرسالة؛ هو خائف بحقٍّ منها ومما ستقوله الآن، سيخبرها أن تذهب إلى الجحيم، سيخبرها أنه سيذهب إلى الشرطة. قرأ الرسالة.

لنتقابل، الآن.

يبلغض نبرتها الأمرة تلك، يريد أن يخبرها أن تغرب عن وجهه، أجب.

لا أستطيع. أنا مشغول..

أجابت على الفور.

**سأكون في الحديقة أسفل جسر «سكاي واي بريدج»،
خلال عشرين دقيقة.**

هذا مريع، مريع جدًا؛ ضرب عجلة القيادة بيديه، وشعر بالألم ينتشر في ذراعيه، ماذا سيفعل الآن؟ لم يتعرض للابتزاز من قبل؛ هل لديه اختيارات؟

يمكنه أن يذهب إلى الشرطة ويخبرهم أن إريكا تهدده وتتربص به وبزوجته،
يمكنه أن يتصل بهم حالاً، وستلقي الشرطة القبض عليها في الحديقة. ماذا
سيحدث حينها؟ رن هاتفه مجدداً.

هناك شيء ما عليك معرفته.

ما إن قرأ الرسالة حتى عرف أن عليه لقاءها.

الفصل الرابع عشر

وضعت إيريكا هاتفها جانباً وتفقدت مظهرها في المرآة العاكسة، هي واثقة من قدوم باتريك، ولذلك تريد أن تبدو في أفضل حال؛ حلت ربطة شعرها وشففته، ووضعت أحمر شفاه، تبدو أجمل من زوجته الحالية. هذا ليس خطأ ستيفاني بالطبع، لقد وضعت طفلتين للتو، ويستغرق الأمر حيناً من الوقت حتى تستعيد مظهرك السابق بعد الولادة؛ تثق بأن ستيفاني امرأة مثيرة، هي ليست كذلك الآن فقط.

تذكرت حينما ذهبت لرؤية طفلها قبل أن تغادر دينفر وتنتقل إلى نيويورك، لم تره لسنوات، منذ أن أنجبته، لكنها كانت بحاجة إلى صورة حديثة له. راقبت المنزل ثم تتبعت العائلة عن بُعد ذات ليلة عندما ذهباً إلى الحديقة. لحسن الحظ، يشبه والده كثيراً؛ التقطت صورة جيدة له، وطبعتها ووضعتها في محفظتها. قادت باتجاه سكاي واي بريدج، ثم أوقفت سيارتها وسارت نحو النهر. جلست على مقعد حيث يسهل رؤيتها عليه، تعلم جيداً ما ستقوله.

قاد باتريك سيارته بلا هدف محدد لبضع دقائق محاولاً تضييع الوقت. لا يرغب بالعودة إلى المكتب وإيقاف السيارة هناك ثم الرحيل مشياً على الأقدام، سيتساءل نايل عما يجري معه، سيقود نحو الجسر وسيترك السيارة في مكان قريب.

أوقف باتريك سيارته في شارع جانبي ثم سار نحو النهر؛ تنقلص أوصاله من التوتر. هناك حديقة صغيرة في نهاية جسر سكاي واي المخصص للمشبي الذي يلتف حول مدينة «هدسون» حتى جبال كاتسكيل على الجانب الآخر.

جلس هو وستيفاني عدة مرات هنا على هذه المقاعد ليستمتعا بالمنظر، ويتناولوا الآيس كريم. سيفسد ما هو مقبل عليه هذه الذكرى.

عندما وصل إلى الحديقة، رآها على الفور، تجلس على مقعد وتنظر إلى النهر، لا تترقبه، وكأنها تعلم أنه سيأتي ويجلس بجوارها، ككلب مطيع؛ شعر بالدم يغلي في عروقه، أخبرها أنه لن يدفع لها، ماذا تريد الآن؟

سار بحركة آلية نحوها وجلس بجوارها على المقعد، لا يتحمل النظر في وجهها، لذلك نظر إلى النهر أيضاً، كأنهما نوعان من البشر يتظاهران بعدم معرفتهما ببعضهما بعضاً لكنهما على وشك إبرام عمل معاً؛ يبدو الوضع برمته كحلم غريب.

- أنا سعيدة لأنك استطعت المجيء.

وأخيراً التفت إليها؛ تبدو بريئة جداً ببشرتها الفاتحة وشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين وابتسامتها البريئة؛ تبدو كالملاك تقريباً. لكنه يعلم الحقيقة، لمعت في ذهنه ذكرى لحدث شهواني ودار في رأسه.

استجمع قواه أخيراً وقال: «لا أعلم كيف أقنع رأسك الغبي بهذا، لكني لست خائفاً منك؛ لن ندفع لك شيئاً، وهذه هي المرة الأخيرة التي سننتقابل فيها». لكنها ابتسمت له فقط، فقال: «إن لم تتوقفني عما تفعلينه، سأخبر الشرطة وسيقبضون عليك بتهمة الابتزاز».

- لا أعتقد ذلك، لن تفعل بعدما تسمع ما أنا على وشك قوله.

التفت إليها وقال باستهجان: «ماذا لديك ضدي؟ ماذا لديك تعتقدين أنه سيجعلهم يعيدون فتح قضية انتهت دون مجال للشك؟ كان حادثاً! الجميع يعلم أنه كان حادثاً؛ لا يمكنك تغيير هذه الحقيقة، بغض النظر عن مدى رغبتك في تغييرها، لم يكن هناك أي شكوك حول أي شيء».

فقالت: «لكنهم لا يعرفون كل شيء؛ لا يعلمون أن لديك دافعاً لقتل زوجتك».

- دافع! ما هو الدافع؟ هل أنت جادة؟

فقالت بصوت خفيض: «أنا جادة جداً».

كان قلبه ينبض بجنون؛ هي مصممة على الاستمرار في هذا، وهو لا يصدق ما يحدث.

- هل تعتقدين حقًا أنه لأنني أقمت علاقة بلا معنى معك فسأقتل زوجتي عمداً! لن يصدقك أحد.

صوته منخفض لكنه يستطيع سماع كم هو يائس؛ يعلم أن عليه أن يهدأ. يجب ألا تشعر بتوتره.

- ربما لم تكن علاقتنا بلا معنى كما تقول.
قالتها بخبث جعله يشعر برعشة تسري في جسده؛ وتظاهرت بأن الأمر كان أهم مما كان.

فقال محمومًا: «أيتها العاهرة الكاذبة، إنها كلمتك مقابل كلمتي». بحثت في حقيبة يدها، وأخرجت محفظتها، التقطت منها صورة صغيرة. - ما لا تعرفه أن لدي طفلًا، طفلنا.
أرته صورة طفل حديث الولادة، يرتدي قبعة زرقاء محيكة. نظر إلى الصورة بذعر، ثم أشاح بنظره عنها، بدا مصدومًا.
قال: «ماذا؟! هذا مستحيل».

لا يستطيع أن يصدق الأمر، لا بد أن هذه كذبة أخرى، «هذا مستحيل».
- لماذا مستحيل؟ أقمنا علاقة حميمة أكثر من مرة...!
ثم مالت نحوه أكثر وقالت: «إن كنت تذكر جيدًا، كان الأمر ممتعًا جدًا، جدًا». ابتعد عنها، وصرخ «أنت تكذبين، لم يكن هناك طفل».
- لماذا أنت متأكد؟ لقد رحلت من كولورادو بأسرع ما يمكن؛ لكنني صديقة، هذا صحيح، وضعت طفلًا بعد ثمانية شهور.
- ليس طفلي.

- أنا أعلم أنه طفلك.

- لا تستطيعين إثبات ذلك.

قالها، ثم أدرك على الفور غباء ما قاله؛ بالطبع يمكنها إثبات بنوة الطفل، يمكنها أن تجبره على إجراء اختبار أبوة. ازدادت مخاوفه، يشعر أنها ستطبق عليه تمامًا.

- يكاد يبلغ من العمر تسعة أعوام الآن.
أخذت صورة الرضيع ووضعتها في محفظتها، ثم أخرجت صورة أخرى وأعطتها له. أخذها منها مترددًا؛ إنها صورة لطفل بعينين داكنتين، وشعر

قاتم، وابتسامة مائلة؛ يبدو لطيفًا. وصل توتره إلى أشده؛ الولد يشبهه تمامًا عندما كان في مثل هذا العمر. ابتعد عنها مرتعدًا، هذه أخبار مريضة، بل الأخبار الأسوأ على الإطلاق. لديه طفل على الأرجح، طفل في التاسعة من العمر، طفل من تلك العاهرة الكاذبة المتلاعب؛ هذا إذا صدقت وكان هذا الطفل ابنه حقًا، ولماذا لا تصدّق؟ إنه يعلم أن هناك احتمالية كبيرة أنه ابنه. التوقيت مثالي، والصورة مقنعة، لكن ماذا لو لم يكن هناك طفل، لو أن هذه كذبة أخرى؟

- لِمَ لَمْ تخبريني حينها؟

نظرت إلى النهر.

- كنت خائفة؛ بعد موت ليندسي، كنت، وما زلت، أعتقد أنك قتلتها عمدًا حتى نكون معًا، تكلمنا بخصوص هذا الأمر، أتذكر؟

- لا.

قال وهو يهز رأسه، لا يصدق ما يحدث، لم يتكلما قط عن هذا الأمر؛ كانت العلاقة الحميمة هي كل ما جمعهما معًا.

- هذا محض هراء.

- تحدثنا عن كيف سنصبح معًا، لكن لم نتحدث عن قتلها، ظننت أنك تعني الطلاق.

أكدت له. شعر بطنين غريب في رأسه، كما شعر أنه لا يستطيع التنفس. قال بحزم: «لا لم نفعل.. أنتِ تختلقين الأمر برمته!».

نظرت إليه بعينين ضيقتين وقالت: «بالطبع ستقول هذا الآن».

كان قلبه ينبض بجنون؛ ويكاد يموت رعبًا.

- ظننت أنك قتلتها كي تبقى معًا، كان لذلك أثره عليّ؛ عبث برأسي، فقدت للتو صديقة مقربة، لم أتحمل النظر إلى نفسي ولا إليك، كنت أشعر بالسقم والذنب تجاه ما فعلته.

قالت مجددًا ولاحظ أنها تبدو مقنعة جدًا؛ حدّق إليها برعب. سيصدقها أي شخص، ستصدقها هيئة المحلفين؛ هو مذعور تمامًا الآن.

ابتلع ريقه وقد جفّ حلقه وقال: «لم أقتلها قطعًا، كان حادثًا، وأنتِ تعلمين ذلك! أنتِ تختلقين الأمر برمته، لماذا تشعرين بالذنب تجاه أي شيء».

استدارت نحوه بعينين واسعتين، ابتمت له وقالت بمكر: «لكنني لا أصدقك، كما ترى، وهذا الأمر ظلَّ يؤرقني كل هذا الوقت».

- هراء! إذا لماذا انتظرتِ كل هذا الوقت؟ لقد ظهرتِ الآن فقط لأنك تريدين المال. سيعرف الجميع ذلك.

هزت رأسها نافية: «كنت صغيرة وغبية وخائفة مما حدث؛ خشيت من أن يعتقدوا بأني متورطة في الحادث، أنت تعلم ما كنا نفعله، وكنت قد علمت لتؤي بأمر الحمل، كنت خائفة مما ستفعله بي لأنني أعلم ماذا فعلت أنت. وأعلم أنك ذكي، أعني استطعت أن تفلت من جريمة قتل».

بدت مقتنعةً تقريبًا بأكاذيبها، وجد نفسه يطبق على يديه ويجبر نفسه على فتحهما، كم يتمنى لو يلوي رقبتهما.

أكملت حديثها: «لذلك انتقلت بعيدًا ووضعت الطفل، لكنني الآن أكبر عمراً، ولست غبية، كان لديّ متسعٌ من الوقت لأفكر. عندي مميزات وأريد استغلالها جيداً، ولست خائفة منك الآن».

- لستِ خائفة؟ ربما من الأفضل أن تخافي.

لم ينو تهديدها، لكنها زلّة لسان فقط.

نظرت إليه، وكأنها تستوعب تهديده: «نعم، ربما من الأفضل أن أخاف».

- إذا هل هذا كل شيء؟ تريدين نفقة الطفل؟ لِمَ لمَ تقولي هذا بحق الجحيم؟ كنا سنعمل على إيجاد حلٍّ ما، لست بحاجة إلى تلفيق كل هذه الأكاذيب حول موت ليندسي.

- أنا لا أخلق أي شيء، أنا أقول الحقيقة.

فرَدَّ عليها بنبرة لاذعة: «أنتِ لا تتفوهين سوى بالترهات».

- إذا ستكون السلطات ممنونة لك لأنك وحدك من يملك الحقائق، أليس كذلك؟

حدّقا إلى بعضهما بعضاً للحظات؛ عليه أن يوقفها عند هذا الحد: «أخبرتكم أننا لن ندفع لك شيئاً، ستيفاني تعلم الأمر برمته، وتعلم أنني لن ألحق الضرر بأي شخص كان، كما أنها حريصة جداً على أموالها».

أخذ نفساً عميقاً ثم زفر وقال: «اسمعيني»، قالها محاولاً أن يحدثها بالمنطق، لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة وهو غاضب لهذه الدرجة، «للطفل

وضع مختلف، لو كان طفلي، وتستطيعين إثبات ذلك، سأدفع النفقات المطلوبة من أموالِي الخاصة».

نظرت إليه: «هل ستخبر زوجتك بشأن ابنك؟».

إقشعرَّ جسده عندما قالت «ابنك»، حاول أن يكبح نفسه عن أي رد متهور: «أخبر ستيفاني بكل شيء».

أطلقت صوتًا ساخرًا لكنه تجاهلها.

قال بياس: «لا أعلم لماذا تفعلين كل هذا.. أنا لم أقتل ليندسي عمدًا. وحتى لو أردت أن أعطيك المال، لن أستطيع أن أدفع لك دون أن تدري ستيفاني، وهي لن توافق أبدًا».

- عليك أن تجد طريقة، أريد مئتي ألف دولار، نقدًا.

فغر فاه، مصدومًا، وهزَّ رأسه: «لن يحدث هذا أبدًا، للمرة الأخيرة، أنا لم أقتلها، كان حادثًا!».

كان صوته أشبه بالفحيح، يتطاير اللعاب من فمه.

انتظرت حتى هدأ، ثم قالت بهدوء: «لو ماتت زوجتك، سيكون لديك الكثير من المال».

حدق إليها مذعورًا، وساد الصمت.

ثم قال بصوت خفيض: «هل تقترحين أن أقتل زوجتي؟».

أجابته ببرود: «فعلتها سابقًا.. لا تنكر أنك تفكر في الأمر».

- لقد فقدت صوابك تمامًا.

قالها، وهو يقبض على يديه مجددًا، ثم أردف «أنتِ مختلة عقليًا لعينة».

- لا يتعرف على المختل العقلي سوى المختل العقلي أيضًا.

فأطبق فمه تمامًا، وحدق إليها في فزع. بعد لحظات، قالت بصوت عقلاني: «إن لقيت حتفها في حادث مأسوي، سيصبح كل شيء سهلًا، بالنسبة إلى كلينا».

استمر باتريك في التحديق إليها دون أن يطرف له جفن. تحدث أخيرًا بصوت يهتز بالغضب والخوف: «ابتعدي عنها وإلا سأذهب إلى الشرطة».

- لا، أنت لن تذهب.

ساد الصمت بينهما، وهو يستوعب ببطء فظاعة الموقف الذي وضعته فيه.

قالت أخيرًا: «حصلت على مبلغ التأمين، ماذا؟ أعتقد أنني لم أعلم بشأن ذلك؟ مئتي ألف دولار. منذ تسع سنوات، كان هذا مبلغًا كبيرًا بالنسبة إلى شاب في مقتبل العشرينيات، كان كافيًا جدًا لبداية جديدة في نيويورك، كافيًا لتبدأ عملًا جديدًا، على الأرجح».

همس ووجهه يتلوى: «أيتها العاهرة!».

- أعتقد أن السلطات ستجد الأمر مثيرًا للاهتمام، ألا تظن ذلك؟ وسيجدون علاقتنا مثيرة للاهتمام أيضًا.

زفر بغضب، وسألها: «كيف علمت بشأن التأمين؟».

عوضًا عن إجابة سؤاله، قالت: «أخبرني، من يؤمن على حياة زوجة يافعة بكل هذا المبلغ؟».

اعترض بغضب: «كنا ننتظر طفلًا، أبي كان لديه تأمينٌ على حياته، ولطالما أخبرنا أن أي عائلة في مقتبل العمر يجب أن تؤمن على حياتها».

- صحيح.

حاول أن يهدئ من روعه، وأن يستعيد رباطة جأشه: «اسمعي، إن كنتِ تقولين الحقيقة بشأن الطفل، سأجد حلًا ما»، ثم نظر إليها بحنق، وواصل: «لكن ابتعدي عن زوجتي».

لم تجبه، نهضت عن المقعد وأدارت ظهرها له، وسارت بعيدًا. راقبها وهي ترحل، شعر بالسقم في أحشائه. أدرك أنه بين خيارين، أحلاهما مرًّا، وإيريكاً هي السبب في كل هذا.

الفصل الخامس عشر

لا تزال الطفلتان تحظيان بقبولتهما بينما تتمدد ستيفاني في سريرها في غرفتها المظلمة؛ يجافيهما النوم على الرغم من تمكن الإرهاق منها. يدور عقلها بلا توقف؛ تفكر في الصور وتستحضرها في ذهنها: السيارة المدفونة تحت الثلوج، المرأة اليافعة المبتسمة ذات الشعر الداكن، وزوجها الذي في ريعان شبابه مضطرب وحزين. لقد مر وقت طويل على كل هذا، لكنها تعلم بشأنه الآن؛ كانت الأخبار موجودة طوال هذا الوقت، على الإنترنت، وفي ذهن زوجها، «ما زلت أفكر في الأمر، وفيما حدث كل يوم»، وهي لم تدرِ مطلقًا. وجدت نفسها تفكر، هل يوجد المزيد لا تعرف عنه شيئًا أيضًا؟

لم تجبره على التحدث بشأن وفاة زوجته الأولى؛ كانت تعلم أنها توفيت في حادث، أخبرها أنها توفيت في حادث سيارة، لكنه لم ينبس بشيء آخر؛ شعرت أنه لا يرغب في قول المزيد، لذلك تركته، سيخبرها حين يكون مستعدًا. لم يخبرها قط أنه خان زوجته الأولى، ولماذا يخبرها؟ لا تعلم سوى القليل جدًا عن حياته قبلها. كيف كان زواجه بزوجته الأولى؟ هل عليها أن تسأله؟ أصبحت فضولية جدًا بشأن زواجه الأول الآن؛ هل ما حدث في الماضي يرسم ملامح شيء ما في المستقبل؟ هل سيخونها هي الأخرى؟

فكرت في لقاءها مع إيريك في الحديقة هذا الصباح؛ كانت فاتنة، بالطبع كانت جذابة جدًا ولذلك أقام باتريك علاقة حميمة معها. فجأة، تمنّت لو أنها كانت تدري أن المرأة التي تتحدث معها بالقرب من الصندوق الرملي هي إيريك، عشيقة زوجها في الأيام الخوالي، كانت لتطرح عليها الأسئلة، هذه المرأة تعرف أشياء عن زوجها هي لا تعلم عنها شيئًا.

هي حانقة على باتريك لأنه جلب كل هذا فوق رؤوسهم؛ لم يكن عليه أن يخون زوجته الأولى، فخيانتته هي ما وضعتهم في هذا الموقف المريع. من يعلم أي نوع من الأكاذيب ستقولها إيريك؟ يبدو البشر هذه الأيام مستعدين لتصديق أي شيء، بل كلما كانت الكذبة صارخة أكثر، صدقها الناس أكثر وأكثر.

تقلبت في سريرها، تشعر بالمرض؛ سيحب الإعلام قصة كهذه: علاقة غرامية خارج إطار الزواج، وجريمة قتل تتخفى أسفل قناع الحادثة، وعملية ابتزاز... لن يدعوهم وشأنهم أبدًا. حتى بعد أن يثبتوا مجددًا أنه كان حادثًا، لن تختفي وصمة العار. سيعلم الجميع أن زوجها خان زوجته الأولى وسيعلمون كيف توفيت زوجته الأولى. والفتاتان، ستكبران لتصبحا ابنتي ذلك الرجل، الذي شوّهت سمعته في الأخبار.

ستمر بوقت عصيب حتى تسامح زوجها على مطارحته الغرام لامرأة أخرى وهو رجل متزوج؛ لم يسبق وشعرت بالسخط تجاه زوجها، فلم يكن لديها سبب لذلك قط، تعلم أن مشاعر السخط سامة ويمكن أن تدمر الزواج؛ وهي لا ترغب في ذلك. تذكر نفسها بأن كل هذا حدث منذ زمن بعيد، وهو لن يخونها هي، لن يجرو؛ ففي نهاية المطاف، هي من تمتلك المال.

أغلق نايل باب مكتبه وتناول هاتفه كي يتصل بإيريك؛ لقد مر يومان منذ موعدهما في الفندق، ولا يزال عاجزًا عن التوقف عن التفكير فيها، يتوق شوقًا للقاءها مجددًا.

- مرحبًا نايل.

قالت إيريك؛ إن مجرد سماع صوتها المثير يمنحه جرعة من المتعة. ابتسم وهو يتحدث، وقال بصوت خفيض: «أريد أن أراك.. لكن في مكان أكثر خصوصية».

اقتربت عليه: «يمكنك أن تأتي إلى منزلي، إن لم تكن لديك مشكلة في القيادة».

- لا مشكلة أبدًا.

ثم كتب عنوانها. وحددا ميعادًا بعد ساعات العمل هذا اليوم، ثم أنهى المكالمة. أخذ نفسًا عميقًا واتصل بزوجته.

- مرحبًا عزيزتي.

- مرحبًا، ما الأمر؟

- آسف جدًّا، لكن يجب أن أتفقد موقع عمل بعد مواعيد العمل الفعلية، مشكلات يجب التعامل معها.

- أوه.

يمكنه سماعُ خيبة الأمل في صوتها؛ اليوم هو الجمعة، اليوم الوحيد الذي تعلم أنه سيعود فيه مبكرًا إلى المنزل بعد العمل.

سألته نانسي: «متى ستعود؟».

- لست متأكدًا؛ سأستغرق بضع ساعات على الأرجح، يتوقف الأمر على كيف هو الوضع هناك.

عندما وصل باتريك إلى المنزل بعد انتهاء العمل ذلك المساء، مستاءً ومنهكًا، قابلته زوجته بعينين قلقتين. تجلس إحدى الطفلتين في منطقة اللعب بينما تحمل الأخرى بين ذراعيها.

- مرحبًا.

قالت، والقلق ظاهرٌ على وجهها المتعب، وجاكي تمسك بشعرها.

هل يخبر ستيفاني بشأن الطفل المحتمل من إيريك؟ قد تكون كاذبة، قد لا يكون الأمر صحيحًا على الإطلاق. أخذ الطفلة من بين ذراعي ستيفاني، وقبلَ كليتهما. يعلم أن ستيفاني تريد الذهاب إلى الشرطة، خاصةً إثر ما حدث هذا الصباح في الحديقة. لكن لو كانت إيريك قد وضعت طفلها حقًا، سيكون في موقف صعب، بغض النظر عمَّا سيقول. لن يكون قادرًا على إنكار إقامة علاقة حميمة معها. لا يريد الذهاب إلى الشرطة، ليس الآن.

عليه أن يفكر في الأمر مليًا وبمفرده؛ ربما لن تستطيع إقناعهم بفتح القضية للتحقيق مجددًا، على الأرجح، هذه كلها تهديدات فارغة، وكل هذا الخوف بلا داع، ربما لا يوجد طفل من الأساس. لكن كيف سيكتشف ذلك؟

سيكون معنوهاً حقيقياً إن وافق على إجراء اختبار أبوة حال طلبت منه إريكا ذلك؛ لكن ماذا سيحدث إن كانت مُحَقَّة؟

حملت ستيفاني إيماناً وأخرجتها من منطقة الألعاب، وألقت بجسديهما على الأريكة، ووضعت طفلة على كل رجل.

سألته ستيفاني بتوتر: «هل من أخبار جديدة؟».

هزَّ باتريك رأسه نافيًا، متحاشيًا النظر في عينيها، واستمر في اللعب مع جاكبي لعبة الإخفاء؛ لا يريد أن يخبرها بما قالته إريكا في الحديقة.

قالت ستيفاني: «أعتقد أن علينا الذهاب إلى الشرطة».

أجاب باتريك دون النظر إليها: «لا.. ليس بعد؛ أعتقد أنها كاذبة. لا أريد أن أثير غضبها، ربما ستركنا وشأننا».

قالت ستيفاني: «انظر إليَّ باتريك»، التفت لها أخيرًا، كانت عيناها قلقتين، وواصلت: «لا أعتقد أنها ستركنا وشأننا. أخبرتها أننا لن ندفع لها، هل تعتقد أنها ستذهب إلى الشرطة في كولورادو؟».

كان صوتها متوترًا.

- لا أعلم، ستيفاني.

كان منهكًا، ترك رأسه يميل إلى الوراء على الأريكة وأغلق عينيه. «أنت أقمت علاقة حميمية معها»، أصرت ستيفاني ثانية، «يمكنها أن تبالغ في هذا الأمر، وتخلق العديد من الأكاذيب حولكما وعن علاقتك بزوجتك الأولى، يمكنها أن تخلق أي شيء تريده».

شعر بالعرق يتصبب على ظهره وكتفيه.

سألته: «هل يعلم أي شخص آخر بعلاقتكما؟».

رفع رأسه من على الأريكة وفتح عينيه وهزَّ رأسه نافيًا: «لا».

لا يستطيع حمل نفسه على إخبارها بشأن الطفل المحتمل، على الأقل حتى يتأكد من وجوده حقًا؛ أخبر نفسه أن إريكا تكذب، وكاد يصدق أفكاره تلك.

- هل كان... هل كان زواجك الأول جيدًا؟

إنها تستجوبه كأنها لا تصدقه، كأن لديها بعض الشكوك، فاقترب منها.

- ستيفاني، نعم، كنت أحبها؛ تشاجرنا قليلًا لأننا كنا يافعين، ونحاول العيش بقليل من المال. ما حدث لها كان مأسويًا.

ثم تحدث بلهجة أكثر جدية: «عليك الابتعاد عنها؛ إيريكا كاذبة يا ستيفاني، لكنها محترفة وذكية جدًا».

قالت بتوتر: «أعلم، لكن ما أخشاه هو.. لو كانت كلمتك ضد كلمتها فمن الذي سيصدق الناس؟».

طافت نانسي بالمنزل بينما أبلقت عينيها على تطبيق سيارة تيسلا. في تمام الساعة الخامسة، رأت السيارة تتحرك، تبدو كنقطة زرقاء صغيرة تتحرك على الخريطة على شاشة هاتفها. جلست على الأريكة في غرفة المعيشة، يجتاحها القلق، تشاهد النقطة الزرقاء وهي تتحرك كأنها تراقب حياتها تنهار أمام عينيها. ربما سيذهب حقًا إلى موقع عمل، وانتها فكرة أن تعلم أين تقع كل مواقع العمل الخاصة بهم، بالطبع لا يوجد الكثير، لم لم تنتبه أكثر؟

شاهدت النقطة تبتعد وتتوجه نحو نيويورك؛ هي لا تعلم أي شيء بخصوص عمل نايل في هذه المنطقة قطعًا. قررت أن تترك هنري في منزل والدتها وتخبرها بأن نايل دعاها للانضمام إليه في عشاء عمل مع أحد العملاء فجأة. أحضرت هنري وجمعت بعضًا من ألعابه، ثم أخبرته أنها سيزوران جدته. ما إن تركته في منزلها، ركبت سيارتها مجددًا، ونظرت إلى التطبيق في هاتفها، لقد توقفت السيارة الآن، العنوان هو 884 شارع «ديفيشن».

يمكنها أن تتبّعهُ إلى حيث ذهب دون أن يلحظها أحد وهذا يناسبها. أدخلت العنوان إلى جهاز تحديد المواقع (GPS)، وبعد خمس وعشرين دقيقة وصلت إلى مبنى سكني متواضع، فكّرت: موقع عمل! هراء! لكن كيف ستعرف أيًا من الشقق هي المقصودة. أوقفت السيارة في الجهة المقابلة من الشارع وخرجت من السيارة، وهي تتمشى نحو المبنى رأت سيارة زوجها اللامعة تيسلا في موقف السيارات. هذا الوغد. اقتربت من سيارة زوجها الغالية، تغمرها رغبة في تدميرها؛ لا يوجد مخلوق حولها، ربما يجب أن تخدشها بمفتاح، لن يعلم أبدًا أنها الفاعلة، ربما إن شوهدت السيارة في كل مرة يأتي إلى هنا، سيتوقف عن القدوم.

ضغطت مقبض باب مقعد السائق وفتحت الباب، حيث فتحت بطاقة المفتاح في محفظتها السيارة وسمحت لها بالدخول أوتوماتيكيًا، دون الحاجة إلى إخراجها من محفظتها. جلست في مقعد السائق للحظات، هي

غاضبة جداً؛ تتلاحق أنفاسها وتتسارع. اشتغلت السيارة تلقائياً، حذقت إلى شاشة الحاسوب للحظة، ثم ضغطت زرَّ التنقل، عُرِضَتْ لها شاشة تُظهِر آخر عنوان أدخله إلى جهاز تحديد المواقع. أوه، انظر إلى هذا: عنوان ورقم شقة حبيبته الجديدة؛ هذا جيد، الشقة رقم 107. استخدمت هاتفها حتى تلتقط صورة للعنوان من الشاشة.

غادرت السيارة وصفعت الباب وراءها، التقطت صورة لسيارته في موقف السيارات والمبنى في الخلفية وراءها. ثم دلفت إلى المبنى، حيث يطارح زوجها الخائن سيدة أخرى الغرام بينما تقف هي وراء الأبواب المغلقة، وتبحث عن الاتجاه الصحيح، ها هي: رقم 107 إي. قوس. على الأقل هي تعلم الآن، التقطت صوراً بهاتفها للباب أيضاً.

ماذا بعد؟ هل تبقى هنا حتى تواجهه عندما يخرج؟ هل تفضحهما؟ هل تنتظر في سيارته؟ ألن يكون ممثعاً أن ترى وجهه عندما يفتح سيارته ويجدها تجلس في المقعد المجاور للسائق؟ أم عليها أن تنتظر بعيداً عن ناظره حتى يخرج وترى هذه الـ أي. قوس؟ وتلقي نظرة عليها؟

لا تستطيع أن تقرر. أخيراً، قررت العودة إلى سيارتها الخاصة، وهي تحارب دموعها. أخبرت أمها أنها قد تتأخر. وخلصت إلى أنها لا تريد أن تكون في المنزل عند عودته؛ عليها أن تهدأ أولاً. لذلك عادت إلى ايلسفورد ودخلت السينما.

تجلس وحدها في صالة السينما ليلة الجمعة، وفي الظلام، مسحت دموعها سراً بمنديل، وأبقت عينيها على التطبيق. بعد فترة، تحركت النقطة الزرقاء وعادت إلى الطريق السريعة، شاهدته يعود إلى منزلهما، ويتوقف. السافل! فكرت نانسي. أرسلت إليه رسالة.

**أنا أشاهد فيلمًا مع صديقتي، سأقل هنري من منزل
والدي عندما أعود.**

الفصل السادس عشر

تلك الليلة، وهما يحاولان تهدئة الطفلتين، ظل ذهن باتريك يعمل بلا توقف، عليه أن يقيّم ما هو بصدده، يجب أن يكتشف الحقيقة. سار بعقل شارد حول غرفة المعيشة، يحمل رضية باكية بين ذراعيه. فقد كلٌّ من ستيفاني وباتريك الأمل في أن يتحدثا بشكل طبيعي مع كل هذه الضوضاء؛ كما لم يعد هناك ما يقال، الآن، يتعايش كلٌّ مع بؤسه الخاص.

تذكر باتريك أيامه الأولى في كولورادو، عندما تزوّجا حديثاً وكانت ليندسي حاملاً. انتقلا إلى مدينة كريمور السكنية كي يستطيع الالتحاق ببرنامج التدريب في دينفر. وهناك تعرفا «جيرج ميلر» وكان متدرباً أيضاً في برنامج «وريت آند فراسير» التدريبي للهندسة المعمارية؛ كانا يعملان ويتسكّعان ويشربان معاً. كما توطدت صداقة إيريك و ليندسي بعد لقائهما في دروس التصوير على الرغم من اختلافهما الظاهري، فلم يبدُ أنه قد يجمعهما شيء؛ ليندسي حامل وتضع كل جهدها في الاستعداد لولادة الطفل، وتشعر بالتوق لموطنها في جراند جانكشر، بينما تعمل إيريك بدوام جزئي في صيدلية، وتطمح لما هو أكثر من ذلك.

بالنسبة إلى باتريك، كان كل ما يرغب به هو أن يعيش على الكفاف؛ حَظِيَ للتو بوظيفته الأولى الحقيقية، ويحاول تغطية مصاريف زوجته والطفل المنتظر أيضاً. يسعى للتكيف مع الحياة، ويتساءل عما تخبئه له الأقدار. لم يخطط للزواج والحصول على عائلة في تلك السن المبكرة؛ لكن ذات ليلة بدأت إيريك تنظر إليه من الجهة المقابلة من الطاولة في الحانة، وهامت عيناه وكذلك أفكاره، فخان ليندسي؛ والآن هو يدفع الثمن.

لم يعد على تواصل مع جريج؛ عملاً معاً يوماً بعد يوم، لكن لم يكونا على علاقة وطيدة مع بعضهما بعضاً بالقدر الكافي كي يخبره عن علاقته مع إيريك؛ يسره ذلك الآن. تساءل باتريك، وهو يحاول تهدئة جاكى التي احمرَّ وجهها من الصراخ، إن كان عليه أن يتواصل مع جريج. لقد بحث عنه بالفعل ويعلم أنه يعيش في دينفر الآن، كما وجد محل عمله وحصل على رقمه، هل من الصواب أن يتحدث مع جريج؟ هل سيكون لديه علم إن وضعت إيريك ابناً؟ هل عليه أن يخبر جريج بما تفعله إيريك؟ أم يعيّن محققاً سرّياً؟ حاول بالفعل أن يبحث عن حساب إيريك الشخصي على «الفيس بوك»، لكنه لم يجد أي شيء.

كيف ستكون ردة فعل جريج تجاه ما تفعله إيريك؟ بالطبع سيصدمه الأمر. لكنه سيقف في صف باتريك، لطالما كان جريج داعماً له بعد الحادثة. جريج هو الشخص الأول الذي اتصل به باتريك بعد الاتصال بالنجدة... ربما سيكون من الأفضل ألا يعلم الكثير من الأشخاص ما يحدث. فكر باتريك في هذا القرار لساعات؛ وما إن ترك الطفلتين لستيفاني ووضع رأسه على الوسادة، قرر أن يتصل بجريج رغم مخاوفه.

جلست ستيفاني على الأريكة تُرضع الطفلتين، ستنامان قريباً، وستستطيع أن تخلد هي للنوم؛ إنها متعبة جداً، وهذا يؤثر في قدرتها على التفكير وعلى مواكبة أتفه الأشياء حتى. تذكرت زيارتها لطبيبة الأطفال. هل كانت تلك الزيارة من بضعة أيام فقط؟ والآن... كيف ستتعامل مع ما اكتشفته عن ماضي زوجها والمرأة التي تهدده بحق الجحيم؟

ذهنها قلق ومضطرب؛ تشعر أن زوجها يخشى إيريك، وهو يخشاها اليوم أكثر من البارحة، ترى ذلك بوضوح؛ لكن ماذا تغير؟ هل لأنها قابلت إيريك عند الصندوق الرملي وفي المتجر؟ أم أن هناك شيئاً ما يخفيه عنها؟ أخبرها أن زواجه الأول كان جيداً، إذًا لماذا أقام علاقة حميمية مع صديقة زوجته المقربة.

صبيحة اليوم التالي، يوم السبت، وهو عادةً اليوم المفضل لهم في الأسبوع، حضّر باتريك الكعك المحلى، واسترخى مع التوأمتين كما يفعلون عادة. لكن هذا السبت يحمل شعورًا مختلفًا تمامًا عن السبت السابق؛ لقد تغير الكثير منذ أن ظهرت إيريكّا في مكتبه الاثنين الماضي.

في منتصف النهار، بعدما استلقت الطفلتان لأخذ قيلولة صغيرة، أخبرته ستيفاني أنها ستخرج لتقضي بعض الأمور، بينما اختلى باتريك مع نفسه في غرفة المكتب في الأعلى. فتح حاسوبه المحمول، المنزل هادئ؛ هل عليه أن يهاتف صديقه القديم جريج؟ أم يرسل إليه بريدًا إلكترونيًا؟ خلص إلى أن الخيار الأفضل هو م هاتفه. اتصل برقم جريج المنزلي، وانتظر الرد.

- مرحبًا.

حيّاه صوتٌ ما، وعلى الرغم من تغير الصوت عبر الهاتف ومرور السنوات، استطاع باتريك أن يتعرف صوته مباشرةً. أفزعه كم بدا الصوت مألوفًا؛ كأنهما في كولورادو مجددًا، يتحدثان عبر الهاتف، كأن السنوات العشر المنصرمة لم تمرّ قط. شعر فجأةً بخليط من المشاعر المدفونة ينبش قبره ويدهامه؛ لم يتحدث لوقت طويل، طويل جدًا لدرجة أن جريج قال مجددًا:

- مرحبًا؟

قال باتريك محاولاً أن يبدو هادئًا ومسترخيًا: «جريج، أنا باتريك كيلجور». وانتظر ردة فعله.

الصمت على الجانب الآخر من المكالمة كان دليلًا على المفاجأة، بالطبع سيفاجئه اتصال باتريك، فهي مكالمة غير متوقعة تمامًا.

- باتريك! يا إلهي! لقد مر وقتٌ طويل!

ارتاح باتريك لسماع السعادة الحقيقية في صوت صديقه القديم... ماذا توقع بالضبط؟ في الواقع، لم يكن متأكدًا؛ تساءل إن كانت إيريكّا على تواصل معه بعد كل ما حدث أو تواصلت معه مؤخرًا.

- أعلم أنه قد مر وقت طويل؛ كيف حالك؟

- أنا بخير، كيف حالك أنت؟ سمعت أنك أنشأت شركتك الخاصة منذ بضع سنوات، هل يسير العمل على ما يرام؟

- لا يوجد ما يستدعي التذمّر بشأنه، كيف حال عائلتك؟

سأله باتريك، وكان قد تحقق من الأمر مسبقًا؛ جريج متزوج الآن ولديه طفل وطفلة.

- بخير حال، حقًا، وأنت؟

- تزوجت ورزقت بتوأمتين تبلغان من العمر أربعة أشهر.

- توأمتان! يا إلهي! كيف هو الوضع؟

- أنت تعرف، كالجحيم!

ضحك كلاهما.

- إذًا، هل ستعود إلى دينفر؟

سأله جريج؛ شعر باتريك بالذعر على الفور، لماذا قد يسأله جريج عن عودته إلى دينفر!

- لا، لماذا؟

- فقط... توقعت أن هذا السبب وراء اتصالك.

- لا، ليس لدي أي خطط للعودة إلى دينفر، لكن لا تعلم ما قد يحدث.

قال باتريك.

- إذًا، ما الأمر؟ أنا سعيد لاتصالك بي لكن هل هناك ما أستطيع فعله من أجلك؟

تعرقت يد باتريك حول الهاتف، يستمر بالنظر أليًا نحو باب المكتب الموصد بإحكام. هل يطلع جريج على الحقيقة؟ لطالما وثق به، لم يكن هناك أي شيء مزيف حوله أو مخططات سرية. عندما استجمع شجاعته أخيرًا، شعر وكأنه يقفز من فوق قمة جبل نحو البحر في الأسفل.

- تذكر إيريك؟

ساد صمتٌ مقلق، ثم قال: «نعم بالطبع».

ولم يقل جريج أي شيء آخر.

شعر باتريك بالتوتر، ماذا يعرف جريج؟

- هل أنت على تواصل بها؟

- لا، لم أتواصل معها بعد... بعد ما حدث.

سكت باتريك، وأغلق عينيه، هذا صعب.

- أنا آسف، أنا رحلت فجأة ولم أتواصل قط...

قاطعه جريج بصوت خفيض: «لست بحاجة إلى الاعتذار.. كان وقتاً عصيباً، لا أدري كيف تخطيت الأمر».

- شكراً.

- لماذا تبحث عن إيريكا؟

سأله جريج، تردد باتريك قبل أن يقول: «هي هنا في نيويورك، في ايلسفورد».

«حقاً؟»، يبدو جريج مصدوماً، «لماذا؟».

أخذ باتريك نفساً عميقاً؛ لا يجد الكلمات المناسبة، وطال الصمت.

قال جريج: «كانت قاسية عليك قليلاً في الجنازة».

- كان خطئي، كان حادثاً بالطبع لكن أنا الملوم، كان عليّ أن أكون أكثر حرصاً.

وجفّ حلق باتريك الذي بالكاد يستطيع أن يتحدث.

- على أي حال، هي هنا الآن، وتتفوه بأشياء غير معقولة.

- أي نوع من الأشياء؟

زفر بعمق.

- تقول إننا كنا على علاقة، وإنني تخلصت من ليندسي كي أكون معها، تقول إنني قتلت ليندسي عمداً.

ثم أردف: «كما قلت لك.. أشياء غير معقولة».

- هذا جنون حقاً.

وافقه جريج ببطء، وبدا مصدوماً.

- نعم.

- يا إلهي.

- أعلم، أعتقد أنها فقدت صوابها، تبدو... مختلفة.

- لا أدري، لم أرها منذ ذلك الحين؛ انتقلت بعيداً ولم نتواصل بعدها.

صمت لبرهة ثم أردف قائلاً: «سحاً، باتريك، بالطبع كان حادثاً، هذا ما خلصت إليه التحقيقات، وأنا واثق أنه كان حادثاً، لطالما اعتقدت ذلك».

- شعر باتريك بالارتياح لسماعه يقول ذلك؛ كان هناك صمت طويل قبل أن يتحدث جريج مجددًا، وعندما تحدّث بدا محرّجًا.
- أنا لا أشك ولو للحظة في أنك قد تقتلها عمدًا، لكن باتريك...
- لكن ماذا؟
- قبل أن ترحل إيريكّا قالت إنها حامل... بطفلك.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل السابع عشر

شعر باتريك بقلبه يضطرب في صدره؛ يتمنى ألا يكون هذا حقيقياً، يشعر بالسؤال عالقاً في صوت كريج، يريد أن يعرف إن كان الطفل ابن باتريك حقاً، ربما أراد أن يعرف لسنوات.

سأله باتريك: «هل أنت متأكد أنها كانت حاملاً حقاً؟».

سكت كريج للحظة، ثم تنهّد وقال: «لست متأكداً من أي شيء، قالت إني الشخص الوحيد الذي يمكنها الوثوق به، ربما كانت تكذب، لا أدري. لكنني أعلم أنه عندما صدّقت أنها حاملٌ حقاً رحلت سريعاً ولا أدري أين ذهبت».

- تحاول ابتزازي، جريج، إنها تلاحق زوجتي وأطفالي، أعتقد أنها غير طبيعية. أنا... أنا أخشى أن تكون خطيرة.

- يا إلهي، ربما عليك الذهاب إلى الشرطة.

يعلم أن جريج يرغب في معرفة إن كان قد أقام علاقة حميمة مع إيريك؛ أخذ نفساً عميقاً، وزفر ثم قال: «طارحت إيريك الغرام بضع مرات؛ كنا ثملين، أنت تعلم كيف كانت في ذلك الوقت. لكن لم يعنِ الأمر أي شيء، لم يعنِ لي أي شيء مطلقاً».

كان هناك صمت على الجانب الآخر من المكالمة، ثم قال جريج أخيراً: «حسناً، أنا لست متأكداً».

- لكن بقية ما تتحدث عنه... هي متوهمة، كانت مجرد علاقات عابرة. أحببت ليندسي، لم أكن لأضرها عمداً.

وابتلع ريقه بصوت عال.

- أعلم.

- بطريقة ما عرفت أن زوجتي ورثت مبلغًا ضخماً، وتريدنا أن ندفع لها أو ستذهب إلى الشرطة في كريمور وتخبرهم أن لدي دافعاً لقتل ليندسي، هذا عبثي!

وجد نفسه يمرر يده في شعره، وواصل: «هل تعتقد... هل تعتقد أنها قادرة على ذلك؟».

أخبره جريج بنبرة غير مرتاحة: «لا أدري، لكن أعتقد أنك بحاجة إلى مساعدة خبير يا صديقي».

لم تتواصل إيريك مع باتريك بعد أن رآها في حديقة سكاي واي يوم الجمعة. يصيبه سكوته بالتوتر؛ يعلم أنها لم ترحل، هي تكسب وقتاً فقط. تريد أن يطبق عليه الخوف، تريد أن ترى ما سيفعله، ومدى تأثيره على زوجته.

بعد أن استلقت الطفلتان لأخذ قيلولة الظهرية يوم الأحد، دثر باتريك ستيفاني بالأغطية في سريرهما، وأخبرها أنه سيقضي بعض العمل في مكتبه لبعض من الوقت. استقل سيارته، لكن عوضاً عن القيادة نحو وسط المدينة، أي نحو مكتبه، قاد في اتجاه الطريق السريعة، نحو نيوبورغ. لقد بحث بالفعل عن عنوان إيريك، ووجده في استمارة تقدمها للوظيفة.

لا يعلم بالضبط ما سيفعله، لكنه منهك، ومتوتر ولا يستطيع التفكير بوضوح. يشعر أن عليه فعل شيء ما فقط، عليه أن يغير مسار الأمور بأي طريقة، لكن كيف؟ يجب أن يوقف إيريك عند هذا الحد، هذا جنون.

وجد مبنى شقتها سريعاً بعد وصوله إلى نيوبورغ، مبنى من خمسة طوابق في شارع سكني. يريد أن يواجهها في عقر دارها ليرى ردة فعلها، لقد كان سلبياً جداً معها، حان وقت قلب الأمور، يجب أن يخيفها.

خطرت له فكرة أنها قد لا تكون في المنزل، لكنه يأمل في أن تكون في المنزل، هو يحترق شوقاً للعراك. متع نفسه بالفكرة للحظات، تخيل أنه يطرق على الباب وتخيل دهشتها لرؤيته، ثم يدخل عنوة إلى المنزل. تخيل نفسه في شرفتها وهو يثني ظهرها حول حافة الشرفة، حتى تظن أنها ستلقى حتفها؛ ربما هذا ما يتطلبه الأمر، فهي تبدو واثقة تماماً من أنه قادر على القتل.

ثم تذكر رقم الشقة، 107، لا بد أنها في الطابق الأول. دلف إلى المبنى، ونظر إلى الجرس، يريد أن يأخذها على حين غرة عند الباب. هناك سيدة تسير تجاهه من ناحية المصعد، فتحت الباب وانسلَّ وراءها. وجد شقة إيريك وطَرَقَ الباب بصرامة، أملًا أن تجيب. لكن لِحَظَّهُ السيئ؛ لم تكن في المنزل. كَزَّ على فكه في يأس؛ لكن شقتها في الطابق الأول، يمكنه على الأقل أن يختلس النظر من النوافذ، ويرى إن كانت هناك أي إشارة لوجود طفل في التاسعة من عمره. عاد للخارج، ودار حول المبنى من الخلف، إنه مُأْمَنٌ جيدًا. للشقة 107 شرفة على الأرض ذات باب زجاجي متحرك. تلصص على الباب ونظر إلى الداخل.

لا يبدو أن هناك الكثير من الناس يعيشون بالداخل، وجد أريكة باللون الأزرق الخافت ومنضدة قهوة عليها بعض من المجلات ولا شيء آخر، بالكاد هناك أثاث في المنزل. يرى مطبخًا طويلًا وراء غرفة الطعام الفارغة، وإنارة صغيرة معلقة فوق الطاولة وردة على اليمين؛ يعتقد أنها غرفة نوم فردية. لا يوجد أي دليل على وجود طفل؛ تنفَّس الصعداء، لا بد أنها التقطت صورة عشوائية لأحد الأطفال في هذه السن الملائمة لقصتها، وهو يبدو مثله؛ إلى أي مدى ستستمر في ذلك؟

لكنه يرى شيئًا ما مألوفًا؛ حقيبة زوجته المفقودة، على الأرض بجانب الأريكة. كاد قلبه يقف؛ لكن قبل أن يستوعب تمامًا حقيقة أن إيريك كانت في منزله، رأى باب الشقة يُفتح. تراجع باتريك بعيدًا عن ناظرها، ثم اختلس النظر من جانب الباب الزجاجي المتحرك. دلفت إيريك إلى الغرفة، وهناك شخص ما خلفها؛ كان الشخص محجوبًا عن الرؤية بسبب إيريك للحظات، ثم ابتعدت عنه، وصعق باتريك للمرة الثانية على التوالي عندما رأى نايل أغلق نايل الباب وراءه واحتضن إيريك. شاهد باتريك إيريك ونايل يتبادلان القبلات الحميمية وينزعان ملابس بعضهما بعضًا في طريقهما إلى غرفة النوم دون أن يصدق عينيه.

ما الذي يفعله نايل مع إيريك بحق الجحيم؟

راقبت ستيفاني زوجها وقد تقلصت أحشاؤها؛ يبدو باتريك مستاءً جدًا، شعره في حالة يرثى لها، كأنه مرر يده في شعره مرات عدة بحركات سريعة

وغير منتظمة، كان يدور في المطبخ جيئةً وذهابًا بينما تجلس الطفلتان في مقاعدهما العالية، تطرقان معالقهما على الطاولة. أخبرها للتو أنه ذهب إلى شقة إيريك ورأى حقيبة ستيفاني المفقودة على الأرض من خلال النافذة. فكرت: إنَّذا لم يذهب إلى المكتب.

- لمَ تفعل كل هذا؟

تساءلت ستيفاني بصوت حاد. هذه المرأة المريضة دخلت إلى منزلها وسرقت حقيبتها وهويتها. شعرت بتوتر رهيب في أوصالها؛ قد يسرق أحدهم بطاقة هويتك ويدمر حياتك، هي تحت رحمة هذه المعتوهة، وهذا كله خطأ زوجها.

نظر باتريك إليها بتعب: «هناك شيء آخر عليك أن تعرفيه».

نظرت إليه بترقب.

- هي تقيم علاقة حميمية مع نايل.

حدقت إليه وقد عقد لسانها من الصدمة.

-- رأيتهما في شقتها، كانا يتبادلان القبل ثم تواريا في غرفة النوم. أنا أعرف طبعها جيدًا، هي تغوي البشر، أغوتني من قبل والآن نايل. قال باتريك.

تساءلت ستيفاني: «لكن لماذا؟ لماذا قد تقيم علاقة مع نايل؟».

- لذات السبب الذي قدمت من أجله إلى منزلنا وسرقت حقيبتك، لترعبنا! لتجعلنا نخشى ما قد تقوله لنايل، لترينا سطوتها علينا، لهذا كانت تراقبك وقابلتك في الحديقة.

ارتعدت ستيفاني؛ بدأت لتوها فقط تستوعب ما هم بصدد التعامل معه. ربما تخطط لابتزاز نايل أيضًا، ربما ستهدده بإخبار زوجته بخيانته لها؛ ستيفاني تعلم أن نايل خان زوجته مرةً من قبل، أخبرتها نانسي بالأمر. كادت أن تعصف خيانته بزواجهما.

استمر باتريك في الحركة، وستيفاني تحديق إليه؛ يدور رأسها. لقد رفضا أن يدفعها لها، ربما ارتكبا خطأ ما؛ تجعل الفكرة رأسها يدور بكل الأفكار، تريد أن يقف باتريك للحظة حتى تفكر، لكن ذهنها حدير. نظرت إلى زوجها وهو يتمشى في المطبخ، ولا يبدو أنه يراها أو التوأمتين.

انفجرت غاضبة: «لم يكن عليك أن تقيم علاقة معها قط».

توقف، وقال: «أعلم ذلك!»، ثم نظر إليها يائساً، وقال: «لكنها كانت علاقة بلا معنى، ستيفاني. هي تخطط لكل شيء في رأسها وتخلط الأمور وتحكيها بخلاف ما حدث فعلاً، وهذا هو المخيف! لا أدري ماذا ستخلق ثانية!».

سألته ستيفاني صراحة: «عدا أنك أقمت علاقة حميمية معها، هل تملك إيريك أي شيء ضدك؟ ليس هناك أي شيء آخر، أليس كذلك؟».

نظر باتريك إليها؛ هناك شيء في وجهه لا يروقها؛ مزيج من العار والخوف. تمعّر وجهه عن نظرة توسل، وتأهبت لاعترافه بشيء مريع. تريد أن تبتعد وتهرب من الغرفة، لا تريد أن تسمع أي شيء بعد الآن. لقد سئمت من هذا كله، وتكاد تشعر بالكره تجاهه لأنه أنزل كل هذا على رأسها ورأس طفلتيها؛ لديهما طفلتان صغيرتان غالبتان يجب أن يفكرا فيهما؛ كيف سيؤثر كل هذا في مستقبلهما؟

«تقول...»، حاول باتريك أن يتحدث لكن صوته ارتعش ولم يستطع أن يكمل.

- تقول ماذا؟

سألته ستيفاني بنبرة حادة. وشرعت إحدى الطفلتين في البكاء، ثم تبعتها الأخرى فوراً.

- أعتقد أنها تكذب، لكن... بعد أن قابلتك في الحديقة طلبت مقابلي وأخبرتني أن لديها طفلاً، طفلنا.

غاص قلبها في جوفها، «يا إلهي»، ثم ألقت بجسدها على الكرسي ووضعت وجهها بين يديها.

قال باتريك متوسلاً: «لا تفعل هذا».

بالكاد سمعته؛ يتلاشى صوت كل شيء في الخلفية، حتى ضجيج الطفلتين، وكل ما تستطيع سماعه هو ضربات قلبها المضطربة تفرع أذنهما. طفل، لو لهذه المرأة طفل منه، فهذا سيغير كل شيء. أخيراً، نظرت إلى زوجها؛ لاحظت أنه خائف أكثر منها، أصابها هذا بالسقم.

- ستيفاني، على الأرجح لا أساس من الصحة لهذا؛ ذهبت إلى منزلها، ولم يكن هناك أي دليل على وجود طفل إطلاقاً، هي تكذب.

عندما طال صمت ستيفاني، أضاف: «يجب أن أجد طريقة حتى أتأكد، لا بد من وجود طريقة».

قالت ببرود: «نعم، لا بد من وجود طريقة.. يجب أن تجد طريقة لتكتشف إن كان لديها طفل. وظَّف شخصًا ما إن لزم الأمر».

تردد قبل أن يقول: «أخبرتني بمقدار المال الذي تريده حتى تتركنا وشأننا».

سألته ستيفاني: «كم؟».

قال وعيناه تنظران إليها ثم تتحاشاهما مجددًا: «مائتا ألف دولار».

هي تعلم، وتستطيع أن تقرأ وجهه؛ هو يعتقد أن هذا مبلغ معقول، مقارنةً بما تهدده به إيريك وبما يمتلكانه في رصيدهما البنكي. تستطيع أن تحلَّ هذه المشكلة له، ولهم؛ لكنها تعلم إن دفعت لها مرة ستعود ألف مرة.

فأجابته ستيفاني: «على جثتي!».

الفصل الثامن عشر

صبيحة يوم الاثنين، سمع باتريك باب ردهة الاستقبال يفتح، استرق السمع، لقد دخل نايل للتو. لم يستطع باتريك التوقف عن التفكير في علاقة نايل بإيريكما وما رآه في منزلها، طيلة ليلة أمس. ماذا قالت له عندما توسدا ذات الوسادة بجانب بعضهما بعضًا؟

حاول باتريك إسكات مخاوفه، لكن يصعب عليه أن يتوقف عن القلق بشأنهما. شل الخوف أوصاله، استطاعت إيريكما أن تسحر عقله منذ أن خطت بقدميها في الشركة، وتظاهرت بأنها لا تعرف باتريك، كما تظاهر باتريك هو الآخر بأنه لا يعرفها. لا يريد أن يعترف أنه يعرفها الآن، كيف سيبرر الموقف؟ لا يستطيع أن يحذر نايل منها، من المرأة التي على وشك التورط معها. كيف سيستطيع مواجهة نايل بشأن إيريكما دون الاعتراف بأنه كان يتلصص على منزل إيريكما من النافذة البارحة؟ لا يمكن، لا يمكنه الاعتراف بأي شيء.

لكن إيريكما تعلم بضعة أشياء عنه، أشياء يرغب باتريك في أن يظل شريكه في العمل جاهلاً بها. سمع باتريك نايل وهو يسير عبر الردهة، ثم ظهر وجه نايل المرح عند الباب.

- صباح الخير.

- صباح الخير.

سأله نايل: «هل أنت بخير؟»، ثم نظر إليه من كُتب.

- تبدو كأنك رأيت شبحًا.

- أنا بخير... متعب فقط.

ساعدت ستيفاني الطفلتين على الاستلقاء من أجل قيلولة الظهيرة وبدأت ترتب المنزل. هي منهكة جداً؛ تتخبط في أثناء أداء مهامها اليومية، تحرقها عيناها ويؤلمها جسدها بأكملها، لكن عقلها لا ينفك عن التنقل بين فكرة وأختها، لا يقدر على أخذ قرار بشأن أي شيء. تدرك أن عليها أن تستلقي هي الأخرى، لكن كيف تنام وكل هذه الأفكار تتضارب في عقلها؟

هل تثق بأن باتريك سيخبرها بكل شيء. هل يمكنها الثقة به؟ هل عليها التحدث مع إيريكا بنفسها؟ حذرها باتريك من التقرب من إيريكا، وأخبرها أنها خطيرة، لكن الشكوك بدأت تعبت بها. ماذا لو أن باتريك يرغب في منعها من التحدث مع إيريكا كي لا تسمع القصة من جانبها؟ كل ما سمعته حتى الآن كان من وجهة نظر باتريك. ربما ستظهر إيريكا مجدداً، قررت ستيفاني أنها لن تهرب إن قابلت إيريكا، ستطرح عليها الأسئلة، أو قد تحاول أن تجعل إيريكا تتعقل.

وجدت نفسها في غرفة النوم الخاصة بهما، لكن عوضاً عن الاستلقاء للنوم، قلبت نظرها في الغرفة المظلمة بقلق. أشعلت إنارة السقف، وبدأت تفتش في خزانة أدراج زوجها؛ لا تملك أدنى فكرة حتى عما تبحث عنه، لا يوجد أي شيء هنا، فهي تضع ملابسه في هذه الأدراج دائماً، لكنها فتشتها على أي حال. عندما انتهت من فحص الأدراج، فحصت الجانب الخاص به في خزانة ملابسهما؛ تشعر بعدم الوفاء تجاهه، وتساءلت لِمَ تُضَيِّع وقتها بلا فائدة. بحثت في صناديق الأحذية على الأرض. تعلم أنه يُبقي مسدسه من طراز جلوك 19، 9 ملم، في خزانة حديدية على الرف العلوي؛ تعرف الرمز السري للخزانة، فتحتها ونظرت بالداخل، لا يوجد بالداخل سوى المسدس وبعض من الذخيرة. ولا يوجد شيء آخر في الخزانة سوى الملابس.

تفقدت غرفة مكتبه في نهاية الردهة. يوجد حاسوب باتريك القديم على طاولة المكتب؛ لديها حاسوبها المحمول الخاص بها وكذلك هو، لم يعد يستخدم هذا الجهاز قط. هل يحتفظ بشيء عن حياته السابقة على هذا الحاسوب؟ لا يهم، فهي لا تعلم كيف تُشغله؛ يبقى سر احتفاظه بهذا الحاسوب غامضاً. توقفت لبرهة وفكرت، لِمَ يبقيه؟ ربما يوجد شيء ما على هذا الحاسوب. شغلته وحاولت وضع رموز سرية مكونة من اسمها أو اسم الطفلتين أو تواريخ الميلاد، لكن لم يفلح شيء. تنهدت وأغلقت الحاسوب

مجددًا ثم بحثت في خزائن حفظ الملفات، لا يوجد أي شيء له علاقة بزواجه أو حياته السابقة على الإطلاق.

فتشت خزائن حفظ الملفات وكانت على وشك الاستسلام عندما شعرت بشيء ما عالق أسفل أحد الأدراج؛ لمستته بحذر، يبدو كمفتاح صغير مغطى بشريط لاصق، أزاحت الشريط بحذر كي لا ينقطع، أمسكت به ونظرت إليه. هي محقة؛ إنه مفتاح صغير فضي مغطى بشريط لاصق. ليس بمفتاح أي خزائن حفظ الملفات، فلا توجد أقفال في أي منها.

نظرت إليه من كذب؛ لا يوجد عليه شيء سوى الرقم: 224. ليس لديها أدنى فكرة عن معنى هذا الرقم، لكن إن لم يكن قد أتى مع خزائن حفظ الملفات، فلماذا يوجد هنا؟ خلصت أخيرًا إلى أن باتريك هو من وضعه هنا حيث لا تستطيع أن تجده.

لا يبدو كأَيٍّ من المفاتيح الأخرى المستخدمة في المنزل. تساءلت إن كان مفتاحًا لصندوق أمانات أو خزانة حديدية؛ لو كان كذلك، فما يفتحه هذا المفتاح ليس في المنزل أو هي لا تدري عنه شيئًا إلا إن كان قد خبأه بعيدًا عنها. هرعت إلى الأسفل بعد تفقد حال الطفلتين سريعًا، لا يزال أمامهما ساعة حتى تستيقظا. قلبت القبو رأسًا على عقب بحثًا عن أي شيء له قفل، لكن لم تجد شيئًا، ولا حتى في المساحة الصغيرة أسفل المنزل. استوعبت أخيرًا أن ما يفتحه هذا المفتاح ليس في المنزل، ثم أدركت أنه بلا شك مفتاح لصندوق ودائع، وهي لا تدري أي شيء عنه؛ لقد أخفاه عنها.

كانت ستيفاني تشعر بالحيرة عندما عاد باتريك من العمل تلك الأمسية، كانت قلقة بشأنه، فقد بدا شاحبًا ومتوترًا، لكنها أيضًا غاضبة منه وتحمل شكوكًا مربكة حوله. لماذا أخفى عنها ذلك المفتاح؟ لماذا أخفى عنها حقيقة امتلاكه لصندوق ودائع؟ هل تفتح الموضوع معه؟ ظلت تقلب الفكرة في رأسها طيلة الظهيرة، فكرت في أن تمسك بالمفتاح وتدفعه في وجهه وتسأله: «ما هذا يا باتريك؟»، وتجبره على قول الحقيقة، ما الذي يخفيه عنها أيضًا؟

لو تستطيع، لذهبت إلى البنك بنفسها وفحصت هذا الصندوق. لكنها تعلم أنه سيعود قريبًا إلى المنزل؛ أخيرًا، أعادت لصق المفتاح في مكانه أسفل أحد أدراج خزانة حفظ الملفات.

يا للأمانة في هذا المنزل.

وضعا الطفلتين في الأرجوحتين بغرفة المعيشة حتى يتمكنّا من التحدث. يبدو باتريك قلقًا أكثر في كل مرة تنظر إليه؛ شعرت بقلق مفاجئ تجاهه، راقبته وانتظرت.

أخبرها: «تحدثت مع محامي في كولورادو».

- حسنًا.

- إذا قررت أن تستمر في هذا، ستكون التكاليف باهظة.

ونظر إلى ستيفاني بحذر.

- بالطبع ستكون باهظة، هكذا هم المحامون.

فكرت بمرارة في أنها ستنفق من أموالها الخاصة لمُحام باهظ الثمن حتى تنتشل زوجها من هذه الفوضى بدلًا من الدفع لحبيبته السابقة، وهذا لا يشعرها بالرضا بصورة أفضل. اختفى قلقها تجاه زوجها.

- يدعى «روبرت لانج»، يعمل في شركة عريقة في دينفر.

- كيف تعرّفته؟

- رشحه لي صديق؟

- من هو ذلك الصديق؟

- صديق من كولورادو، جيرج ميلر، عملت معه هناك في دينفر. كنت قد تحدثت معه.

- ثم؟

- أخبرته بما يحدث، يعرف إيريكاهو الآخر، كان يعرفها حينها، لكنه يقف في صفّي تمامًا، يعرف أنه كان حادثًا.

شعرت ستيفاني بالراحة، يسرها أن تعرف بشأن شخص ما كان هناك عندما حدث كل شيء يصدق أن زوجها يقول الحقيقة. أدركت الآن كم كانت قلقة وتساورها الشكوك.

سألته وهي ترى القلق في عينيه: «ماذا قال المحامي؟».

- حسنًا، كما تعرفين طبيعتهم؛ لا يجزمون بأي شيء دون النظر بشكل موسع، لكنه يذكر القضية.

لم تخبر ستيفاني باتريك أنها قرأت تلك المقالات على الحاسوب المحمول،
تزامت الصور في رأسها مجددًا: السيارة المدفونة أسفل الثلوج، باتريك
اليافع وقد صفعه الحزن، زوجته الصغيرة تبسم للكاميرا. حاولت أن تبعد
الأفكار عن رأسها.

- هل أخبرك إن كان من الممكن فتح القضية مجددًا؟

نظر إليها بقلق.

- نعم، من الممكن نظريًا.

أشاحت ستيفاني بنظرها بعيدًا عنه وحدقت إلى الأرض برعب؛ قد يحدث،
قد يحققون مع زوجها في قضية قتل.

الفصل التاسع عشر

راقب باتريك ردة فعل زوجته، وفكر بضيق في المكالمات التي أجراها في وقت مسبق هذا النهار، لم تكن مطمئنة قط. بدا روبرت لانج، المحامي الجنائي، متفاجئاً عندما عرف من باتريك أن شخصاً ما يرغب في فتح القضية مجدداً، ثم أخبره باتريك بالأمر برمته؛ محاولات إيريك لابتزازه والتحقيق الأولي، قاطعه المحامي ببعض الأسئلة العرضية، لكنه استمع إليه باهتمام بالغ.

سأله المحامي: «لَمْ تذهب إلى الشرطة؟».

- لم أرد أن أثير غضبها.

اعترف له، ثم أضاف: «لديّ أملٌ في كونها تتفوه بأي ترهات ولن تُقدِّم حقاً على ما تقوله، لم تتواصل معنا منذ يومين»، ثم أضاف: «وليس لديّ أي أدلة على ابتزازها لي».

- فهمت.

- إذاً، هل هناك ما يستدعي القلق بشأنه؟ قررت المحكمة سابقاً أنه حادث، كان حادثاً بالفعل، لكن هل في استطاعتها حُثُّهم على فتح القضية، ومحاولة إقناعهم بشيء آخر؟

تنحى المحامي وقال: «حسناً، لديّ بعض التساؤلات، بالأخص فيما يتعلق بما قلته حول كيفية تعاملهم مع القضية في ذلك الوقت. أعني، لم يحققوا ملياً في الموضوع، كما فهمت، يبدو أنهم أنهوا القضية في بضع ساعات».

وبدت في صوته نبرة تشكيك.

- في الواقع، نعم، كان واضحاً جداً أنه حادث.

- إذا ذهبت تلك المرأة إلى السلطات وأعطتهم هذه المعلومات الجديدة، ربما يقررون التحقيق في الأمر مجدداً، بالأخص إن كان هناك قاضٍ

شرعياً جديد، أو شريف جديد⁽¹⁾ وهذا محتمل جداً فقد مضى قرابة عشر سنوات. كما أنها كانت على علاقة غرامية معك وربما كانت حاملاً... بالطبع سيؤثر هذا في القضية.

غاص قلب باتريك في أحشائه: «هل تستطيع معرفة إن كانت قد وضعت طفلاً حقاً؟».

فأجابه: «هذا هو أول شيء سأفعله.. لا تقلق، سأستطلع الأخبار وأوافيك بما أعرف».

ينظر باتريك إلى زوجته الآن متردداً، لا يريد إخبارها بما قاله المحامي.

- ماذا قال تحديداً؟ أخبرني بكل شيء.

- حسناً... كانت لديه بعض التساؤلات.

نهض باتريك عن الأريكة وبدأ يجوب غرفة المعيشة؛ لا يستطيع البقاء هادئاً وكل هذا التوتر يسري في عروقه، ولا يستطيع النظر في وجه ستيفاني وهو متوتر إلى هذا الحد.

- ماذا؟ هل يعتقد أنهم سيصدقونها؟

- قال إنها إن ذهبت إلى السلطات بهذه المعلومات، ربما سيفتحون القضية مجدداً.

أخبرها باتريك بحذر؛ لا يريد أن يخبرها بما قاله أيضاً، لكنه يشعر أن عليه إخبارها.

- هو قلق لأن التحقيقات كانت سطحية كما وصفها.

- ماذا تقصد؟

- لم يحققوا في الأمر ملياً؛ أخذوا جثتها للتشريح، أمرني الشريف بالجلوس معه حتى أجيب عن بعض الأسئلة. جلسنا في سيارته وكنت محطماً؛ لا أعتقد أن ما قلته كان ذا معنى.

اعترف لها، وفرك وجهه بكلتا يديه.

(1) الشريف (Sheriff): هو مصطلح يطلق على الضابط القانوني للبلدة وتختلف اختصاصات الشريف القانونية والسياسية من بلد إلى آخر. تعادل اختصاصات الشريف اختصاصات الأمور في مصر، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يختلف دور الشريف باختلاف الولايات والمقاطعات ولكنه غالباً ما يوصف به قائد الشرطة. (المترجم)

- في مكتب الشريف، سألوني عما حدث، كانوا يحاولون مواساتي، وأخبروني أن مثل هذه الحوادث شائعة الحدوث، كما تقع حوادث مشابهة كل سنة في مكان ما.

سألته ستيفاني: «هل تقول إنه لم يكن هناك أي تحقيقات على الإطلاق؟». نظر إليها بحدة، متفاجئاً بنبرة صوتها.

- كان واضحاً أنهم مقتنعون بكونها حادثة؛ أجروا التشريح سريعاً في تلك الظهيرة، كما أعتقد، وأظهرت النتائج أنها توفيت إثر التسمم بأول أكسيد الكربون، لماذا يفعلون أي شيء آخر؟

لا تروقه الطريقة التي تنظر بها إليه، وكأنها تلقي باللوم عليه لأنهم لم يحققوا ملياً فيما حدث، يبدو له أن حكمهم السريع بأن ما وقع كان حادثاً صَبَّ في مصلحته الشخصية.

- لم يحققوا مع شخص آخر قط؟
عبس وهزَّ رأسه نافيّاً.

- لا، لا أعتقد ذلك.

قالت بتوتر واضح: «لم ينظروا في الحادثة ملياً، وهذا ليس بنذير جيد».
- لا أوافقك الرأي، لا بد أنهم رأوا أنه لا يوجد ما يستحق التحقيق فيه.
- لكن لو إيريكا...

انفجر غاضباً: «اللعة على إيريكا!».

فوجئت الطفلتان في الأرجوحتين، فحاول أن يهدئ من نفسه، وقال: «هي عاهرة جشعة، لم يكن هناك أي شكوك حتى وصلت إيريكا، عليها أن تهتمَّ بشؤونها الخاصة اللعينة».

نظر إلى ستيفاني بوجهها الشاحب القلق، وأخذ نفساً عميقاً، وحاول أن يسيطر على غضبه.

تابع: «سيحاول المحامي أن يكتشف إن وضعت طفلاً حقاً. من الواضح أن الشريف قادر على فتح التحقيق إن أراد، كما يحق للقاضي الشرعي أن يطلب إجراء جلسة تحقيق ويستدعي الشهود، حتى بعد كل هذا الوقت».

كزَّ على أسنانه، ونظر إلى زوجته قلقًا وقال: «حذرني المحامي أنه في حال وجود شريف أو قاضٍ شرعيٍّ جديدين، وهذا على الأرجح ما سيحدث فقد مضى وقت طويل، فقد يفتحان التحقيق مجددًا».

همست ستيفاني: «يا إلهي».

- قد تستطيع إقناعهما بفتح التحقيق مجددًا. ستيفاني، أعتقد أن علينا الاستعداد لذلك. لكن ما عليك الإيمان به الآن، هو أنه لا يوجد أي شيء حقيقي فيما تقوله. أقمت معها علاقة حميمية بضع مرات وهذا كل شيء. نظرت إليه، وأومأت بحركة آلية، كأنها غير واعية بما تفعل حتى؛ بدت شاردة الذهن تمامًا.

- هناك شيء آخر عليك معرفته، هو غير مهم، لكن عليك معرفته لأنني واثق أنها ستذكره.

سألته ستيفاني، رآها تقبض بيديها على ركبتيها كأنها تنهياً لما سيأتي من أخبار سيئة: «ماذا؟».

- كانت هناك بوليصة تأمين على حياة ليندسي، كانت هناك بوليصة لكلينا؛ كنا على وشك الرزق بطفل، كان تصرفًا منطقيًا منا.

- حسنًا.

- إيريك تريد استغلال الأمر، تقول إنني أردت الاستفادة ماليًا من مقتل زوجتي.

- متى قالت ذلك؟ لا أذكر أنك ذكرت الأمر من قبل.

أدرك أن لسانه قد زلَّ، ولعن حظه داخليًا.

- نسيت أن... أخبرك.

نظرت ستيفاني إليه ولم تنبس بكلمة للحظة، ثم سألتها: «هل الشرطة... الشريف أو أيًا يكن، عرفوا شيئًا عن التأمين؟».

هز رأسه نافيًا.

- لا أعتقد ذلك، لم يُذكر الأمر حينها، لم يسألوا، وأنا... أنا لم أفكر في الأمر حتى. زوجتي ماتت... كنت في صدمة.

صمت لبرهة ثم أضاف:

- لكن لا أعتقد أن تلك المسألة تستدعي القلق؛ من الطبيعي جدًا أن يكون لديَّ تأمين حياة فور حصولي على عائلة، أعني... من الغباء ألا أفعل.

الفصل العشرون

في الصباح التالي، بعد قضاء ليلة عسيرة مع الأطفال، كانت ستيفاني منهكة تمامًا، تتحرك كزومبي في المطبخ؛ كادت تضع اللبن في الخزانة بدلًا من الثلاجة، هزت رأسها استنكارًا لفعلتها. هي بحاجة إلى مزيد من النوم، بالكاد تدرك ما يدور حولها. أمًا عاطفيًا، فهي محطمة؛ حتى عندما استلقت في سريرها أخيرًا، لم تنم جيدًا، كانت ترتجف من التوتر.

قبلت زوجها وهي تودعه عند ذهابه للعمل، كما تفعل دائمًا، لكن هذا الصباح، تحاشت النظر في عينيه لأنها تُخفي عنه سرًا؛ بعد قليل، ستضع الطفلتين في السيارة وتقودها إلى البنك، ستحاول معرفة ما يحتويه صندوق الودائع. أيًا يكن ما يخفيه عنها، ستعرفه، وستكتشف ما حدث، وستواجهه الليلة.

جهزت التوأمتين، وتأكدت من وضع العربة المزدوجة في صندوق السيارة، أجلسن الطفلتين في مساحة اللعب المخصصة لهما، ثم ارتدت ملابسها لتتجهز للذهاب. صعدت إلى الطابق العلوي حيث يوجد مكتبه؛ جثت على ركبتيها وفتحت الدرج ثم أخذت المفتاح المخفي. ما إن أصبح بحوزتها، خطر ببالها فجأة أنها قد لا تجد صندوق الودائع في المصرف المعتاد. إن كان يرغب في إبقاء الأمر سرًا عنها، فسيختار مصرفًا مختلفًا على الأرجح.

نزلت إلى الطابق السفلي، بدأت الطفلتان بإحداث جلبة إلا أنها تجاهلتهما. هاتفت المصرف من هاتف المطبخ، وضعت إصبعها فوق الأذن الأخرى لتحجب صراخ الطفلتين؛ بعد تحويل المكالمات، طلبت التحدث مع المدير.

- نعم، كيف أساعدك اليوم؟

- كنت أحاول الاتصال بزوجي لأسأله، لكنه مشغول بالاجتماعات طيلة النهار، لذا هل يمكنك أن تتأكد من أجلي إن كان قد تفقد صندوق الدوائع الخاص بنا بعد؟ من المفترض أن يحضر لي بعض الوثائق. اسمه هو باتريك كيلجور.

- لحظة واحدة.

انتظرت ستيفاني على الجانب الآخر من المكالمة، يخفق قلبها بشدة. سمعت المدير يعود إلى المكالمة، يبدو محتارًا.

- عفواً ليس لدينا صندوق ودائع باسم باتريك كيلجور. ربما مصرف آخر؟

- أوه! بالطبع، هذا خطئي. أعتذر لإزعاجك.

أنهت المكالمة سريعاً، وقفت في المطبخ والطفلتان تبكيان في غرفة المعيشة، ما زالت تمسك بالهاتف وتحاول التقاط أنفاسها.

عندما وصل باتريك إلى المكتب، أخبره نايل أنهما بحاجة إلى التحدث، فازداد باتريك قلقاً؛ هل عرف نايل بما يحدث؟ ماذا قالت إيريكا له؟ لا يزال يأمل في قدرته على إبعاد إيريكا بطريقة ما؛ لكن إن أخبرت إيريكا نايل بكل شيء بالفعل...

- تعالَ إلى مكتبي.

قال نايل، وصوته الهادئ يحمل نبرة من القلق. دلف باتريك إلى المكتب وألقى بجسده المنهك والمتوتر على مقعد.

- كيف هي الأمور في المنزل؟

شعر باتريك بقليل من الراحة، ربما لا يتعلق الأمر بإيريكا، ربما سيخوضان نفس الأحاديث القديمة، ولهذا شعر بقليل من الضيق، يدرك نايل بالفعل كيف هو الوضع في المنزل، وهو لا يحتمل بسبب التوأمين، كما أنه لا يحظى بقدر كافٍ من النوم.

أخذ نفساً عميقاً وقال بصراحة:

- لم يتحسن أي شيء، إن لم تتغلب الطفلتان على المغص قريباً، أعتقد أننا سنفقد صوابنا.

زم نايل شفتيه، وقال ببساطة: «أنا آسف»، ثم أضاف: «كنت أتفقد التكاليف الإضافية الخاصة بمشروع ميلنك».

- أعلم بشأنها وأنا أبذل قصارى جهدي.

قال باتريك مدافعًا عن نفسه.

نظر نايل إلى مكتبه وقال: «أخبرتني كيري بأنك ألغيت موعد البارحة».

شعر باتريك بالغضب يجتاحه؛ هل يوجد أي شيء لا تقوله كيري لنايل؟ هل كان من الضروري ذكر الأمر؟ ألا تشعر بأي ولاء تجاهه؟

- لم ألغِ الموعد، طلبت تحديد موعد آخر.

أشاح نايل بنظره بعيدًا عن المكتب ونظر إليه: «لماذا؟».

- لم أشعر أنني قادر على الذهاب؛ لم أكن مستعدًا بما يكفي، فكرت أنه من الأفضل أن أبدو مشغولًا وأحدد ميعادًا آخر على أن أقابله وأنا غير مستعد.

فارتفع صوت نايل: «ولماذا كنت غير مستعد إذن؟ أنت دائمًا على أهبة الاستعداد أو هكذا اعتدت أن تكون على الأقل، ما الذي يحدث بحق الجحيم؟». تنفس باتريك الصعداء؛ نايل لا يعرف أي شيء، ليس بعد على أي حال، إيريكا تبقي فمها مغلقًا حتى الآن.

- لا شيء، أنا لا أنام، أخبرتك بذلك. الحرمان من النوم يعبث بك تمامًا، يستخدمونه كطريقة للتعذيب، ألا تدري؟
حذر نايل إليه وضيق عينيه.

- الأمر لا يتعلق بذلك، باتريك، لا تحاول خداعي، إن شيئًا ما يحدث معك وأنا أريد معرفته.

أمال باتريك رأسه إلى الوراء وحاول قلب الحديث لصالحه.

- لم لا تصدقني، نايل؟ لم أكذبك القول يومًا في حياتي.
هز نايل كتفيه.

- أعلم، لطالما كنت شريك عمل جيدًا وصديقًا جيدًا أيضًا، وثقت بك دائمًا، الأمر أنني ينتابني القلق، باتريك. لا تبدو بخير حال مؤخرًا، كأن شيئًا ما يؤرقك، أتساءل إن كنت تعاني مشكلات زوجية، ربما هذا ما يضايقك.

ثم مال إلى الأمام قليلًا وقال: «يمكنك أن تطلعني على الأمر كما تعلم».

- ربما يجب أن أطرح عليك أنت هذا السؤال.

فأجابه نايل سريعاً: «لِمَ تقول ذلك؟».

لكن باتريك لا يريد الاستمرار في هذا الموضوع، لا يرغب في إطلاع نايل على معرفته بعلاقته مع إيريك. لن يسمح له بمعرفة تاريخه مع إيريك، من الأفضل ألا ننبش قبور الماضي.

- لنرى كيف تتعامل أنت مع الوضع.

ثم هزَّ رأسه وابتسم بتحفظ.

- انس الأمر، أعاني نوبات غضب صغيرة هذه الأيام؛ كل شيء على ما يرام، فقط أرغب في الحصول على قسط من النوم. ونهض من مقعده.

- سأنظر مجدداً في كيفية تعويض التكاليف الإضافية الخاصة بمشروع ميلنك.

الفصل الحادي والعشرون

أومضت عينا ستيفاني. للحظة، نسيت تمامًا ما كانت تفعله؛ شعرت بالدوار وأمسكت بطاولة المطبخ، سمعت صوت الطفلتين قادمًا من غرفة المعيشة، كانتا هادئتين للحظات على الأقل. صحيح، هي في المطبخ كي تحضر لنفسها كوبًا آخر من القهوة وتحاول التفكير للحظات.

أحضرت كوبًا نظيفًا من الخزانة وسكبت لنفسها كوبًا من القهوة من الإبريق. تشعر بالإعياء، عليها أن تأكل بشكل أفضل وتحظى بمزيد من النوم. هل ستكون هناك مشكلة إن غفت على الأريكة بينما تلعب الطفلتان في مساحة اللعب المخصصة لهما؟ أغلقت عينيها مجددًا للحظات ثم رمشت قليلًا ومدت يدها داخل الثلاجة لتأخذ الحليب. بدت حركاتها كأنها بالتصوير البطيء، تشعر أنها منفصلة عن الواقع، كأنها تشاهد نفسها تصنع القهوة؛ غريب. هزّت رأسها وارتشفت قليلًا من جرعة الكافيين من الكوب سريعًا، يمكن للحرمان من النوم أن يعبث بعقلك حقًا؛ تعلم أنها إن حدثت إلى الرسومات على الحائط لدقيقة، ستغفو.

لا تزال الأمور هادئة في غرفة المعيشة، سحبت مقعدًا وجلست إلى منضدة المطبخ، لا تريد أن تعود إلى غرفة المعيشة الآن. تعلم أنها إن عادت إلى هناك، ستلاحظها التوأمتان وستحاولان جذب اهتمامها؛ في الوقت الحالي، من الأفضل أن تظل هنا.

ضغطت بأصابعها عينيها المحترقتين المؤلمتين. هي في حاجة إلى أن تفكر، لكن ذهنها في حالة فوضى رهيبة ولا تستطيع التفكير بمنطقية في أي شيء؛ لو أنها تستطيع التحدث مع شخص ما فقط، أن تُخرج ما في جعبتها، وأن تسمع وجهة نظر شخص آخر، شخص موضوعي؛ لكن لا

يوجد أي شخص يمكنها أن تتحدث معه بهذا الشأن. باتريك جزء أساسي من المشكلة وهو هلع بدوره. ترغب في إخبار هانا، لكنها لا تستطيع؛ على الرغم من علاقتها الوطيدة بهانا على مدار الشهور الأخيرة كأمهات للمرة الأولى، سيستشيط باتريك غضبًا إن أخبرتها. بيد أن الأخبار ستنتشر في الصحف قريبًا.

يدور رأسها ويعود إلى صندوق الودائع الخاص بباتريك. أين هو؟ اتصلت بالفعل بنصف المصارف في البلدة ولم تجد شيئًا. هزت رأسها وحملت نفسها على النهوض والتجهز للخروج بالطفلتين، تعثرت في التجهيزات، وكادت أن تنسى المفاتيح في اللحظة الأخيرة ثم عادت إلى المنزل كي تحضرها. بغض النظر عن مدى تعبها، هن بحاجة إلى هواء منعش. ستهاثف بقية المصارف عند عودتها، لا يمكنهن المكوث في المنزل طيلة اليوم.

لعبت ستيفاني مع التوأمتين حيث جلسن جميعًا على الملاءة المفروشة فوق الأرض العشبية في الحديقة، تتفقد عيناها بين فينة وأخرى أي أثر لإيريك. اقترح باتريك عليها أن تتجنب الحديقة بسبب الحادثة السابقة، إلا أنها اعترضت. ماذا ستفعل بالطفلتين في يوم جميل عدا التنزه في الحديقة بحق الجحيم؟ لا يمكنها حبسهما في المنزل. ستقفزان إلى الخارج.

اقترح باتريك حينها أن تقود بهما إلى حديقة أخرى بعيدة كنوع من التغيير، التفتت بعيدًا وقالت «ربما»، بينما نظر إليها بقلق. لكنها لن تفعل ذلك، لن تخشى الخروج إلى الحي الخاص بها؛ وربما، هي ترغب في التحدث مع إيريك. لذا ها هي، تجلس مع الطفلتين تحت شجرة، يملكها القلق. لكنها لا ترى المرأة المثيرة التي أقام زوجها علاقة حميمية معها منذ سنوات عدة في أي مكان.

أخيرًا حان وقت الرحيل، ألقت بالطفلتين لأعلى ولأسفل في الهواء وهي تبسم لهما ثم وضعتهما واحدة تلو الأخرى في العربة المزودة. يا إلهي، هي تعشقهما. وفي كل مرة تنظر إلى وجهيهما الآن، تشعر بالخوف ينهش قلبها، ماذا سيحل بعائلتها السعيدة؟ ماذا لو طلبوا التحقيق معهم جميعًا، ماذا سيحل بها وبباتريك؟ حمداً لله الطفلتان صغيرتان جدًا على أن تستوعبا ما يحدث.

رن هاتفها، إنه باتريك.

سألته بتوتر، هي دائمة التوتر هذه الأيام: «مرحبًا ما الخطب؟».

- هاتفني المحامي حاليًا.

شعرت بنبضات قلبها تتسارع.

- ماذا قال؟

- وضعت إيريكا طفلًا بالفعل، لكنها عرضته للتبني سرًا بعد ولادته.

حاولت ستيفاني أن تبتلع الأخبار ودلالتها.

قالت بعد لحظات: «هذا يفسر عدم ملاحظتها لك بشأن تكاليف الطفل».

- نعم، لكن الجيد في الأمر أنه لن يكون سهلًا عليها أن تثبت بنوته لي.

شعرت بالراحة في صوته وأشعرها ذلك بالإعياء.

دفعت العربة نحو المنزل، وهي تشعر بتعب لا يحتمل. أخيرًا وصلن إلى

المنزل، غنت للطفلتين: «وصلنا للمنزل أخيرًا، سنتناول الغداء ثم...».

وقفت، وقد اختفى صوتها، حدقت إلى الباب. إنه مفتوح على مصراعيه.

أغلقته بالفعل، هي متأكدة من ذلك، خاصة بعد المرة الأخيرة. ثم تذكرت

أنها نسيت مفاتيحها وأسرعت إلى الداخل لإحضارها، هل نسيت أن توصلد

الباب في طريقها للخارج؟ هل نسيت أن تغلقه؟ يا إلهي، عليها أن تكون أكثر

حذرًا. حركت العربة نحو درجات الشرفة الأمامية وفكت حزام أمان إيما ثم

حملتها.

همست بصوت منخفض: «ماما متعبة جدًا، وتنسى كثيرًا يا إيمي».

وحملتها، وصعدت الدرجات حتى الباب الأمامي، ثم صرخت.

الفصل الثاني والعشرون

دوى صوت صراخها في المدخل الأمامي وأفزع إيما التي شرعت في البكاء. هناك شخص ما في الداخل، يجلس في مطبخها، وقد دبَّ هذا بالرعب في أوصالها، لكن سريعًا ما تعرفت إيريكا، وانقطعت أنفاسها.

- اخرجي من هنا!

قالت باستهجانٍ، ما إن ملأ الهواء رئتيها مجددًا؛ وضمت الطفلة الباكية إلى حضنها.

- اخرجي من هنا وإلا سأتصل بالشرطة!

- ستيفاني، بربك، اهدئي.

قالت إيريكا وهي تنهض وتسير تجاهها، وهي تبدو عاقلة تمامًا.

- لن أصيبك بأي أذى.

- اقتحمي منزلي!

- لا، لم أفعل. كان الباب مفتوحًا، عليك أن تكوني أكثر حذرًا.

للحظات شعرت ستيفاني بالحيرة، ربما تركت الباب مفتوحًا فعلًا هي لا تذكر شيئًا. لكنها تعلم أنه لا يوجد سبب لهذه المرأة كي تكون داخل منزلها، حتى وإن تركت الباب مفتوحًا.

- أعلم من تكونين.

قالت ستيفاني، فأومأت إيريكا.

- جيد، لم أكن متأكدة من مقدار ما قاله باتريك لك عني.

- كنتِ هنا من قبل، سرقتِ حقيبتني!

رفعت إيريكا حاجبيها.

- لا، لم أفعل، لماذا تعتقدين ذلك؟

غير أن ستيفاني لا تصدقها.

- لأن باتريك رآها في غرفة المعيشة في منزلك من خلال النافذة.

- كان باتريك في منزلي؟

سألتها إيريكا باندهاش، فلم تجبها ستيفاني، وأصرت: «يجب أن ترحلي من هنا».

فسألتها إيريكا: «ألن تحضري الطفلة الأخرى للداخل؟».

خطت ستيفاني بضع خطوات إلى الوراء ونظرت إلى الباب حيث لا تزال جاكى تجلس داخل العربة. وقفت في المدخل لا تدري ما تفعل؛ إيريكا داخل منزلها، تنتظرها. هل تأخذ الطفلتين وتهرب؟ هل تخرج هاتفها من جيبها وتتصل بالنجدة؟

كررت إيريكا بهدوء: «لن أُوذِيكِ، لكن هناك أشياء عن زوجك عليك أن تعرفيها».

ترددت ستيفاني، وفكرت في قرارها الأخير؛ هذه المرأة تعلم أشياء عن باتريك تجهلها هي. كانت إيريكا تعرفه في ذلك الوقت عندما حدث ما حدث، وهي تريد أن تسمع ما لديها لتقوله، حتى وإن كان كل ما ستفوه به كذبًا. قد تعرف شيئًا مفيدًا على الأقل؛ حتى الآن سمعت القصة من وجهة نظر باتريك فقط. نظرت إلى المرأة الواقفة أمامها تتكئ على باب المطبخ، كأنها صديقة مرت لزيارتها؛ هي ليست خطيرة فعلًا، أليس كذلك؟

لكنها لن تجازف؛ لن تمكث هذه المرأة في منزلها مع طفلتها؛ من يعلم ما يدور برأس هذه المرأة وما قد تفعله خلف الأبواب الموصدة؟

قالت ستيفاني أخيرًا: «يمكن أن نتحدث.. لكن في الخارج، على الشرفة».

التفت ووضعت إيما في العربة مجددًا أسفل الدرج، وتأكدت من أن كلتا الطفلتين تمسكان بلعبة في أيديهما، ثم جلست على مقعد على الشرفة الأمامية بالقرب من العربة. هاتفها في جيبها وهي ليست خائفة منها، هن على مرأى من الجميع؛ يسير الناس جيئةً وذهابًا في هذا الشارع طيلة اليوم، لكنها مرتبكة.

خرجت إيريكاً من المنزل وجلست على المقعد الآخر، وقالت: «حي جميل». لم تنبس ستيفاني بكلمة لبضع لحظات، فهي تحاول أن ترتب أفكارها المبعثرة وتستجمع شجاعته.

أخيراً، التفتت إلى إيريكاً وقالت: «أعلم ما تفعلينه، ولن يفلح معنا؛ لن ندفع لك، أعتقد أن باتريك أوضح لك الأمر جيداً».

- هل أنتِ واثقة من ذلك تمام الثقة؟

- لن تحسلي على سنت واحد منا، ناهيك بمئتي ألف دولار.

رمقتها إيريكاً بنظرة منزوعة ولم تتكلم للحظات، ثم عضت على شفتيها وقالت: «إذاً هو يخبرك بكل ما يحدث؟ لم أكن متأكدة من ذلك؟ لم يخبر زوجته الأولى بالكثير».

شعرت ستيفاني بالاشمئزاز يغمرها، وقالت بمرارة: «وما أدراك بما كان يقوله لزوجته الأولى؟».

التفتت لتتأمل إليها؛ وجهها خالٍ من الكراهية، وصوتها لا يحمل الضغينة.

- تعلمين أننا كنا عاشقين؟

- أخبرني بذلك، نعم.

- إذاً لا بد أنه يحبك حقاً.

أجابت ستيفاني بحزم:

- بالطبع يحبني، وأنا أحبه أيضاً، وكل الترهات التي تهدديننا بها لن تنفك بشيء. لا أدري لم أنتِ مهتمة بما حدث، لم يقتل زوجته الأولى، عليك أن تتأكدي من ذلك.

كان صوتها يهتز.

قالت إيريكاً بصدق: «أنتِ لا تملكين أدنى فكرة عن تتعاملين معه».

قالت ستيفاني بحزم: «لا تهدديني!».

أوضحت إيريكاً: «لم أقصد نفسي بل زوجك».

ابتعدت ستيفاني عنها.

- اسمعي، أنا أعرف زوجي أفضل منك، فقط لأنك أقميت علاقة حميمية معه لبضع مرات فلا يعني ذلك أنك تعرفين زوجي على الإطلاق.

- هل هذا ما أخبرك إياه؟ أقمنا علاقة حميمية لبضع مرات؟

تنظر ستيفاني إليها الآن بقلق، تخشى ما هي على وشك قوله، لكن عليها أن تسمعها؛ تعلم أن باتريك وهذه المرأة سيخبرانها بنسختين مختلفتين تمامًا عن القصة، وهي لم تكن هناك؛ لن تتأكد أبدًا.

سألته ستيفاني بجفاء: «ما هي نسختك من القصة؟».

قالت ببساطة: «كنا عاشقين».

تجمّدت ستيفاني؛ هذه المرأة واهمة، واهمة بالكامل.

- هذا مختلف عمّا يقوله باتريك.

- هذا ما يريد منك أن تصدّقيه...

ونظرت بصدق إلى ستيفاني وقالت: «لكنني كنت هناك، معه. كنا حريصين جدًا لأنه كان متزوجًا وليندسي كانت صديقتي، أشعر بشعور مقيت الآن بسبب ما فعلته بها، أشعر أنني مسؤولة نوعًا ما عن موتها، هناك مسؤولية أخلاقية».

قالت ستيفاني، وقلبها يدق سريعًا: «هراء».

هزت إيريكا رأسها نافية.

- كان يأتي إلى منزلي كل يوم تقريبًا وقت الغداء؛ أخبر الجميع أنه يعود للمنزل كي يأكل، لكن ليندسي كانت تعدّ غداءه كل صباح؛ وهو كان يأكل طعامها في سريري، بعدما نطرح بعضنا الغرام، ثم يعود إلى العمل مجددًا.

تشعر ستيفاني بالإعياء.

- لا أصدقك.

- ليس بعد على أي حال؟

- هل أنتِ قادرة على إثبات ما تقولينه؟

- لا أدري، ربما. لم نخبر مخلوقًا؛ لكن كان لديّ جيران، ربما سمعنا أحدهم من خلال الجدران، وربما رآه الجيران في أثناء دخوله أو خروجه من منزلي.

غاصت ستيفاني في مقعدها، كأنها تريد أن تضع حاجزًا بينها وبين الأخبار السيئة ومن تقولها.

أكملت إيريكا: «أعرف كم أن هذا صادمٌ لك، لكن صدّقيني، أنا لا أستمتع بما أفعله بك».

- حقًا؟! حذرني باتريك من التحدث معك، أخبرني أنك ستقفوهين بالكثير من الأكاذيب لتفسيدي ما بيننا.

هزت إيريكاً كتفها: «بالطبع سيقول ذلك». ثم نظرت إلى الطفلتين في العربة وقالت: «كنت حاملاً بطفله، هل أخبرك بذلك؟».

- نعم.

- إذا أسألي نفسك: إن لم يقتلها باتريك عمداً، وكان حادثاً مريعاً فقط، وأنا كنت أحمل طفله، لماذا بقيت بعيدة عنه كل هذا الوقت؟

لم تجب ستيفاني؛ لا تستطيع التفكير، تشعر بطنين في رأسها من التعب والحيرة ومحاولة البقاء ثابتة.

- سأخبرك لماذا، لأنني ظننت أنه قتلها عمداً، صديقتي، وابنتها التي لم تولد بعد.

أشاحت بنظرها بعيداً عن التوأمتين، ونظرت إلى الشارع: «تحدثنا عن البقاء معاً، أردته أن يترك زوجته»، نظرت إيريكاً إلى ستيفاني ثم أشاحت بنظرها بعيداً مجدداً، «كنت عديمة الصبر، وأنانية جداً في الحادية والعشرين. أمقت نفسي لأنني سرقت باتريك من ليندسي، لكن عليك أن تفهمي كيف كان الوضع... كنا عاشقين. فكرت أنني وباتريك مقدران لبعضنا بعضاً، وفكرت بسذاجة أن ليندسي ستتغلب على الأمر وستمضي في حياتها؛ اعتقدت أنها تستطيع أن تتخطى طلاقها وكونها أمّاً عزباء بصورة أسهل مني، مقارنةً بي إذ كان عليّ تخطي جرح قلبي المكسور». ثم أضافت، «يا إلهي، كنت غبية جداً».

حدقت ستيفاني إليها بذعر، تتساءل إن كانت تقول الحقيقة؛ لا تستطيع أن تجزم، لكنها تبدو صادقة. حذرها باتريك من أن إيريكاً مقنعة جداً.

- استمر في إخباري بأنه يشعر بالبوُس، تشاجرنا واتفقنا على أننا بحاجة إلى تغيير الأمور، كان هذا في اليوم السابق لموتها.

بدا وجهها متألماً وهي تقول: «اعتقدت أنه يقصد الطلاق، وليس قتلها».

الفصل الثالث والعشرون

حدّثت ستيفاني إلى إيريكّا، فاعرّة فاما ثم قالت: «تعتقدين أنه قتل زوجته عمدًا كي يكون معك؟!»، ثم هزّت رأسها بعنف، «أنتِ مجنونة؛ أنا أعرف زوجي جيدًا، هو لا يقدر على القيام بما تتهمينه به!».

أجابت إيريكّا: «أعتقد أننا جميعًا قد نرتكب أشياء لا نحب الاعتراف بها»، وصممت لبرهة ثم أكملت: «أذكر كل شيء بوضوح، كأنها كانت البارحة. حتى الآن، ما زلت لا أتحمّل العواصف».

لم تقف ستيفاني على قدميها، ولم تطلب من إيريكّا الرحيل؛ كلا، جلست تستمع، تريد أن تعرف كل شيء، بغض النظر عن مدى خوفها.

أكملت إيريكّا: «ضاقّت ليندسي بالعيش في كريمور، وكرهت الثلج، افتقدت عائلتها في جراند جانكشن، ووجدت صعوبة في تحمل غياب باتريك طوال الوقت»، هزت إيريكّا كتفيها، «بالطبع لم تكن تعرف أنه كان معي؛ ظننت أنه كان يعمل. كانا يخططان لزيارة عائلتها؛ لم يرد باتريك الرحيل، أو على الأقل، هذا ما أخبرني به، وصدقته لأنه لم يكن مهتمًا كثيرًا بعائلتها والطرق كانت وعرة. لكنني تساءلت فيما بعد إن كان قال ما قال لي يجعل الأمر يبدو كحادث، وأنه لم يخطط له. كنت أقابل ليندسي بانتظام، اعتدت زيارتها بعد ساعات العمل لأتفقد أحوالها، وهي عالقة في تلك الشقة الصغيرة. أحببتها حقًا، وشعرت بالذنب، لكن لم يكن ذلك الدافع الوحيد، بل أردت أن أعرف ما يحدث بينها وبين باتريك. عرفت أنهما كانا يتشاجران كثيرًا وغمرني هذا بالسعادة، ظننت أنه بعد قليل من الوقت سيتركها». نظرت إلى الأعلى، «حسنًا، أدرك كم أبدو قاسية القلب، لكن على الأقل أنا أقول الحقيقة.. صبيحة يوم السبت، حين كان من المفترض أن يرحلا، كنت نائمة في المنزل، اتصل

بي جريج، صديق باتريك المقرب حينها، وأخبرني أنهما تعرضا لحادث. عند وصولي، كان فريق الإسعاف هناك بالفعل، وكانت ليندسي ملقاة على الجليد، ميتة. حاولوا إنقاذها لكنهم لم يستطيعوا».

استمعت إليها ستيفاني بجزع، تبدو إيريكاً مقنعة جداً ومتألّمة. ذكرت نفسها بأن باتريك بدا متألّماً ومقنّعاً بنفس القدر عندما حكى لها ما حدث. إما أن إيريكاً ممثلة بارعة، وإما هي تصدق حقاً ما تقوله حتى ولو كان غير صحيح تماماً.

أكملت إيريكاً: «كان باتريك في حالة يرثى لها؛ لكنني لمحت عينيه للحظة، كان هناك شيء ما في نظراته إليّ، لثانية فقط، رأيت نظرة انتصار، وعرفت حينها أنه ارتكب الجريمة عمدًا؛ لم يساورني الشك قط».

بعد لحظة من الصمت، قالت ستيفاني دون أن تخفي دهشتها: «نظرة! تبين إيمانك بأن زوجي قاتل بدم بارد على نظرة!».

قالت إيريكاً سريعاً: «اسمعيني، كان يبكي، مصدوماً، وبشكل مقنع تماماً، لكنني عرفت. ذهب مع الشريف للاستجواب، ارتعبت؛ اعتقدت أنهم سيتحفظون عليه، وأنه سيخبرهم بشأن علاقتنا في نهاية المطاف، وسيعتقدون أنني كنت جزءاً مما حدث. ذهبت إلى منزلي واختبأت في شقتي. ظللت أتساءل كيف استطاع باتريك ارتكاب فعلته مع زوجته وابنته التي لم تولد بعد. اعتقدت أنني الملامة، وأنه فعل ذلك كي يكون معي. انتظرت حضور الشرطة لاستجوابي وكنت سأخبرهم بالحقيقة؛ أردت أن يتركها باتريك، لكن لم يكن لي دخل بموتها. لكن لم يأت أي أحد، وشاهدت على التلفاز في اليوم التالي أنهم أصدروا حكمًا بأن الواقعة كانت حادثاً، وأنه سينجو منها. لم أصدق، كنت في حالة من الفزع؛ ارتحت لأنني لم أرد أن يُزجَّ بي في السجن، لكنني شعرت بالذنب الرهيب، وتأنيب الضمير تجاه ليندسي. عرفت أنها ماتت بسببي. لم أرغب بلقائه، ولا التحدث معه، لم أدر كيف سأصرف معه وأنا أعرف ما أعرفه؛ كنت أخشى أن يتصل بي، لكنه لم يفعل، لم أُرِدِ الاقتراب منه، لكن توجب عليّ الذهاب إلى الجنازة؛ كان سيبدو الوضع مثيراً للشكوك إن لم أفعل. أقاموا الجنازة بعد بضعة أيام من الحادث، وكانت كثيفة».

نظرت تجاه التوأمتين، على وشك أن تغفوا في العربة، وتبعت ستيفاني نظراتها.

تابعت: «كان الجميع محطماً، وكان حزن باتريك مقنعاً جداً، حتى إنني تساءلت إن كان نادماً حقاً على الرغم من أنه حر طليق الآن وقد فرّ بفعلته. حاول أن يتحدث معي في الجنازة، لكنني أدرت ظهري له. لم يعتقد أحد أن ما فعلته كان غريباً؛ كنت صديقة ليندسي المقربة، وموتها كان خطأه هو. فقد الجميع صوابهم، لكنني أعرف أن جريج اعتقد أنني تصرفت بسوء، اقترب مني وطلب مني أن أتمالك نفسي وأنا جميعاً نتألم، ولست الوحيدة هنا، ومن أظن نفسي حتى أعامل باتريك بهذه الطريقة في جنازة زوجته، بالطبع لم يكن جريج على دراية بأي شيء».

توقفت لبرهة ثم أكملت: «في اليوم التالي اكتشفت أنني حامل، تأخرت دورتي الشهرية لبضعة أيام وحاولت أن أتجاهل الأمر، لكن بعد الجنازة أحضرت اختبار حمل من الصيدلية التي أعمل بها»، أخذت نفساً عميقاً وزفرت، «بالطبع كان طفل باتريك، لم أقم علاقة حميمية مع شخص آخر عندما كنا معاً».

سألته ستيفاني: «أين الطفل الآن؟».

التفتت إيريكا تجاهها وقالت: «عرضته للتبني، لم أقل قط إنني احتفظت به».

ستيفاني صامتة، يتخبط ذهنها بالأفكار المضطربة، كغسالة ملابس ممثلة تدور بلا توقف.

– لِمَ لَمْ تُجري عملية إجهاض؟

– ربما كان من الأفضل لو فعلت.

وصمتت للحظات ثم قالت: «في الحقيقة، فكرت في أنني قد أستفيد مادياً من وراء هذا الحمل؛ التبني الخاص. نعم أنا جشعة، لكنك تعلمين ذلك بالفعل».

أشاحت ستيفاني بنظرها بعيداً عنها؛ لا تطيق النظر إلى وجه إيريكا بعد الآن. واصلت إيريكا: «فعلها عمداً، ستيفاني، أنا واثقة من ذلك». بدا أنها تفكر في شيء ما ثم قالت: «سأخبرك لماذا قررت الظهور الآن بعد كل هذا الوقت».

التفتت ستيفاني تجاهها مجدداً وحدثت إليها، تنتظر؛ هناك المزيد، يوجد المزيد دائماً.

- كنت أراقب باتريك كل هذه السنوات، كنت واثقة أنه سيتزوج مجدداً، وعندما تزوج، بحثُ عنك.

- بحثتُ عني؟ لم؟

- بعض الرجال يعاملون زوجاتهم كأجهزة صرف النقود الآلية، لاحظت أنكِ سترئين مبلغاً هائلاً من المال.

سألتها ستيفاني: «كيف عرفتِ؟»، فهذا الأمر يشغلها منذ فترة.

- لأن الوصايا المصدقة رسمياً⁽¹⁾ تعد معلومات عامة. بحثتُ عن والديك، كانا ثريين وتوفيا في حادث سيارة. لذا نظرت في وصية والديك وعرفت أنهما تركا لك ثروة، وأنتِ ستحصلين على المال عندما تبلغين الثلاثين. ثم أضافت: «وأنتِ قد بلغتِ الثلاثين بالفعل منذ بضعة شهور».

نظرت ستيفاني إليها بدهشة؛ لم تكن تعلم أن مثل هذه المعلومات متاحة للعامة. ظنت أنه لا يعلم بشأن إرثها سوى هي والمحامي وزوجها.

- أخبريني، هل كان باتريك على علم بهذا الشأن عندما تزوجك؟ ظلت ستيفاني صامته.

- لديك بوليصة تأمين على حياتك أليس كذلك؟ دعيني أضمن، حصلتِ عليها عند حملك؟

لم تجب ستيفاني، ولم يكن عليها أن تجيب فالبرودة التي تغلف قلبها قد انتشرت في أطرافها؛ تتساءل إن كانت إيريكاً على دراية بأن تأمين حياتها يصل إلى مليون دولار.

«كما ترين»، قالت إيريكاً بعد صمت طويل، «بغض النظر عما سيحدث، أنا أسدي لك معروفاً».

غاصت ستيفاني في مقعد الخوص الخاص بها على الشرفة الأمامية، ترتعد؛ تذكرت الحريق والمقلاة المحترقة على الموقد، ما زالت لا تذكر أنها وضعت المقلاة على الموقد. حملت نفسها على الوقوف وجمعت شتات نفسها ثم تذكرت من تتعامل معها.

(1) الوصايا المصدقة رسمياً هي وصايا خضعت لعملية قضائية تم بموجبها «إثبات» الوصية في محكمة قانونية وقبولها كوثيقة عامة سارية المفعول وهي تمثل الوصية الأخيرة الحقيقية للمتوفى.

- «دعينا لا ننسى لم تقومين بهذا فعلاً». قالت ستيفاني ببرود: «لقد تفقدت حساباتنا البنكية وعلمت أن لدينا المال وتحاولين ابتزازنا».
- أومأت إيريكا وقالت: «نعم، هذا صحيح؛ أنا لم أقل قط إنني مثالية».
- أعتقد أن عليك الرحيل من هنا.
- حسنًا.
- ثم وقفت.
- لكن تذكرني؛ محاولتي لابتزازك، لا تنفي أن باتريك قتل زوجته الأولى.
- نظرت إلى ستيفاني وألقت نظرة سريعة على التوأمتين في عربتهما وأخبرتها: «كوني حذرة؛ من يفعلها مرة سيفعلها ألف مرة».
- قالت ستيفاني بحزم: «باتريك لن يؤذي إيمي أو جاكى أبدًا».
- قالت إيريكا: «لو كنت مكانك، ما كنت لأكون بهذا اليقين».

الفصل الرابع والعشرون

ما إن غابت إيريكّا عن نظرها، أدخلت ستيفاني الطفلتين إلى المنزل وسمحت لنفسها بالانهيار؛ اهتز جسدها على الأريكة، بينما وضعت وجهها بين يديها، تنتحب. وبعد فترة، جمعت شتات نفسها، وغسلت وجهها المنتفخ، وتابعت الاتصال بالمصارف. كاد قلبها يتوقف عندما أخبرتها امرأة في «هدسون فالي كريديت يونيون»، المصرف ما قبل الأخير في القائمة، «لا، لم يأتِ زوجك ليتفقد صندوق الودائع اليوم».

تندم على تفويت وقت قيلولة التوأمتين، حيث كان عليها أن تنام هي الأخرى؛ لكنها سرعان ما دثرتهما بالأغطية ووضعتهما في العربة المزدوجة داخل السيارة. ما إن وصلت إلى المصرف، دفعت عربة التوأمتين نحو إحدى موظفات الاستقبال، ثم أخرجت مفتاح صندوق الودائع من جيبها.

- أرغب في الدخول إلى صندوق الودائع الخاص بي من فضلك.

أخبرتها وهي تريها المفتاح.

سألته السيدة: «هل يمكنني رؤية بطاقة هويتك؟».

أخرجت ستيفاني رخصة القيادة وحبست أنفاسها.

- من هنا.

سارت السيدة أمام ستيفاني خلال ممر؛ لحسن الحظ كان واسعًا بما يكفي ليستوعب العربة، ثم فتحت بابًا معدنيًا يؤدي إلى غرفة طويلة وضيقة ملأى بصناديق الودائع المعدنية المصطفة والمرقمة. تركت ستيفاني التوأمتين في الردهة وأبقت عينيهما عليهما.

سألته الموظفة وهي تخرج ملف البطاقات: «ما هو الرقم على مفتاحك؟».

بحثت السيدة في الملف ثم أخرجت بطاقة وطلبت من ستيفاني التوقيع. بحثت الموظفة بإصبعها عن الصندوق في أحد الصفوف، ثم أدخلت المفتاح الذي بحوزتها وطلبت المفتاح الذي بحوزة ستيفاني، فأعطتها إياه. سحبت الموظفة الصندوق من الحائط، وقادت ستيفاني إلى غرفة خاصة وفارغة بها طاولة ومقعد، تبعتها ستيفاني إلى داخل الغرفة وهي تدفع العربة.

وضعت الموظفة الصندوق بلطف على الطاولة.

قالت الموظفة: «يوجد جرس على الحائط، سأعود عندما تنتهين».

قالت ستيفاني: «شكرًا لك».

في انتظار أن تخرج السيدة وتغلق الباب خلفها. غطت الطفلتان في نوم عميق. جلست ونظرت إلى الصندوق للحظات، يملؤها الرعب؛ تشعر بقلبها يقرع بين ضلوعها. أي نوع من الأسرار يحويه هذا الصندوق؟ أخذت نفسًا عميقًا وفتحت الصندوق.

أول ما رآته كان أوراق التأمين؛ تفقدتها، لكنها لا تخبرها بشيء لا تعرفه بالفعل. حصل باتريك على مئتي ألف دولار كتعويض على وفاة زوجته الأولى. وضعت الأوراق جانبًا، وأخذت الغرض التالي، شهادة وفاة ليندسي، بتاريخ 10 يناير، عام 2009. حتى الآن، لا يوجد مفاجآت.

ابتلعت ستيفاني ريقها، وأخذت الغرض التالي، وثيقة زواج باتريك إدوارد كيلجور من ليندسي باجي ويندسور، بتاريخ 13 أغسطس، عام 2008. هناك شيء غريب؛ للحظات، رمشت ستيفاني بعينيها وهي تحاول أن تفهم ما يحدث؛ تذكرت أن ليندسي كانت حاملاً بالشهر الثامن عندما توفيت، هذا ما ذكر في الصحيفة، نظرت مجددًا إلى وثيقة الزواج وقامت بحساباتها. لا بد أن ليندسي كانت حاملاً في الشهر الثالث عندما تزوجا في أغسطس، لم لم يخبرها باتريك بهذا الأمر؟

عند عودة باتريك إلى المنزل من العمل، كانت التوأمتان تلعبان في مساحة اللعب بينما تمددت زوجته على الأريكة في غرفة المعيشة بعينين مغلقتين.

همس: «ستيفاني».

إن كانت نائمة، سيتركها ترتاح كيفما تشاء. لكنها فتحت عينيها فجأة وجلست في الحال.

سألته بهدوء: «متى عدت إلى المنزل؟».

أجاب: «الآن.. هل كل شيء على ما يرام؟».

- كنت نائمة، يجب ألا أغفوَ والطفلتان مستيقظتان.

- لا تقسي على نفسك؛ هما بخير في مساحة اللعب، ليس عليك أن تراقبيهما في كل لحظة؛ لم يفعل أبائنا ذلك وكنا بخير حال.

- لم أشعر بك وأنت تدخل إلى المنزل.

أبعدت شعرها عن وجهها. ولاحظَ أن ستيفاني تبدو مستاءة، وربما غاضبة.

- ما المشكلة؟

نظرت إليه ببرود وقالت: «وجدت مفتاحًا ملصوقًا أسفل أحد أدراج خزانة حفظ الملفات الخاصة بك».

بحثت في جيب سروالها الجينز وأخرجت المفتاح.

شحب وجهه: «لم كنتِ تفتشين في خزانة حفظ الملفات؟».

سألته بنبرة حادة: «هل تستطيع لومي؟».

أدرك أنها محقة، فقال: «لا، أنتِ على حق».

قالت ستيفاني وهي غاضبة منه وتريد أن تسمع ما لديه: «وجدتُ صندوق الودائع خاصتك، وتفقدتُ كل شيء فيه».

قال باتريك: «حسنًا، نسيت أن أخبرك بشأن الصندوق؛ كان لدي قبل أن ألقاك بوقت طويل»، ثم أضاف بنبرة استرضاء، «أنا آسف لأنني لم أخبرك، لكن لا يحتوي الصندوق على أي شيء لا أريد إخبارك بشأنه».

نظرت إليه؛ غير مصدقة وقالت: «حقًا؟ إذاً لماذا أخفيت المفتاح؟».

- إن كنتِ تذكرين جيدًا، امتلكت خزانة الملفات هذه قبل أن ألقاك، لا بد أن المفتاح كان هناك لسنوات.

سألته بلا مقدمات: «لِمَ لم تخبرني أن ليندسي كانت حاملاً بالشهر الثالث عندما تزوجتما؟».

نظر إليها مدهوشًا تمامًا.

- وما الفارق؟

سألها بطريقة اعتيادية تمامًا، كأنه لا يرى أي مشكلة على الإطلاق. وهي لا تصدق مدى غبائه.

سألته بحدة: «هناك فرق شاسع! يبدو وكأنك تزوجت منها لأنك كنت مجبرًا على ذلك، أليس كذلك؟».

- بربك ستيفاني، هذا سخيف، كيف تقولين ذلك؟ لم يعد الناس يتزوجون هذه الأيام بسبب حمل غير مخطط له.

يبدو مقتنعًا بما يقوله، وهي غارقة في صدمتها.

- بالطبع يفعلون!

- لا، لا يفعلون، بحق الله! كنا عاشقين، ثم حملت هي وانتظرنا حتى أغسطس كي نتزوج، فقط لأننا لم يكن لدينا وقت قبل ذلك، ليس لأننا نشعر بالعار من حملها.

ثم أضاف بانزعاج واضح: «يا إلهي، لا أصدق كم أنت رجعية!». رفعت حاجبها بغضب: «أنا لست رجعية».

- تبدين كذلك.

شعرت بصحوة مفاجئة؛ بالطبع باتريك بريء، ولم يقتل زوجته الأولى. لكن... أي شخص في مكانها سيكون مهتمًا بما حدث بلا شك.

- سيعتقد الناس أنك تزوجت ليندسي لأنك كنت مضطرًا بسبب الحمل وليس لأنك كنت تحبها.

- هذا غير صحيح.

قالت ستيفاني: «لا يهم إن كان ما يعتقدونه صحيحًا أم لا»، وارتفع صوتها، «بحق الله، هل يمكنك أن تفكر كيف سيرى الآخرون ما حدث؟ هل تعرف إيريكاً بشأن هذا؟».

- لا، لا أعتقد ذلك، لم نتحدث عن الأمر؛ عندما انتقلنا إلى كريمور في بداية سبتمبر كنا متزوجين بالفعل، لم يسألنا أحد متى تزوجنا.

بدا غاضبًا الآن.

- ماذا لو بحثت إيريكاً عن وثيقة الزواج؟

- بحق الجحيم ستيفاني، لا تنطق إيريكاً سوى بالباطل!
- سألته قبل أن تتمكن من ردع نفسها: «لكن ليس كل ما تنطق به عاريًا تمامًا من الصحة، أليس كذلك؟ طارحتها الغرام، ووضعت طفلك في أحشائها».
- أخذ بضعة أنفاس قبل أن يجيب، ينفث أنفه نارًا: «نعم، طارحتها الغرام، لكنني لست بقاتل». ثم قال بصوت خفيض ونظر إليها ببرود، «ربما عليّ أن أسألك ماذا تصدقين حقًا؟».
- أشاحت ستيفاني بنظرها وتحاشت الإجابة عن السؤال.
- كانت إيريكاً هنا اليوم.

الفصل الخامس والعشرون

جلست إيريكاً على أريكتها تأكل وجبة تايلاندية سريعة مباشرةً من علبة الكرتون الموضوعة على طاولة القهوة وفكرت في حديثها مع ستيفاني في وقت باكر من ذلك اليوم. إيريكاً مستاءة، لن تدفع لها ستيفاني المال؛ قد يدفع لها باتريك، لكنها لن تفعل، وهي من تملك المال. يا إلهي، كم تكره إيريكاً الأشخاص العنيدين، الذين لا يستطيعون رؤية أين تقع مصلحتهم.

تذكرت ما قالته ستيفاني عن أن باتريك وجد حقيبتها في منزل إيريكاً. مالت إلى الأمام وأخذت الحقيبة السمراء ووضعتها على الأريكة، عليها أن تتخلص منها، سترميها في النهر.

سيتطلب الأمر المزيد من الوقت، لم تتوقع ذلك، كما ستحتاج القليل من التفكير الإبداعي. لكن في الوقت الحالي، يملك نايل الإمكانات، كما أن لديها وظيفتها بدوام جزئي في المستشفى لتغطية مصاريفها. هي تحب العمل في المستشفيات، ففي المستشفيات يعمل الأطباء، والأطباء يمتلكون المال. وطبقاً لخبراتها السابقة، الأطباء مغرورون كثيرًا، لكنهم يعملون لساعات طويلة، ويميلون غالبًا إلى إقامة علاقات. وأحيانًا، يتورطون في مشكلات متعلقة بالمخدرات. ترى إيريكاً أن العالم مملوء بالفرص، لكن عليك أن تفتح عينيك لِمَا هو حولك أولاً.

كان واضحًا على باتريك كم هو مصدومٌ ببقاء ستيفاني وإيريكاً؛ للحظة، تجمد تمامًا، وقال: «ماذا؟».

قالت ستيفاني: «كانت هنا في انتظاري حين عدتُ من الحديقة».

لم تخبره أن إيريك كانت داخل المنزل، وأنها تركت الباب مفتوحًا بالخطأ مرة أخرى.

تابعت: «تحدثنا عند الشرفة الأمامية».

انفجر غاضبًا: «وتخبريني بهذا الآن؟! لِمَ لَمْ تتصلي بالشرطة؟».

ردت بغضب: «لم تكن موافقًا على الذهاب إلى الشرطة، ألا تذكر؟ ألم تُرد أن ننتظر ونرى إن كانت ستختفي فحسب؟».

مرر يده بتوتر في رأسه وقال: «ماذا أرادت؟».

- المال بالطبع، أوضحت لها أننا لن ندفع أي شيء، وأرادت أن تتحدث معي، لذا تحدثنا.

التفت نحوها بعينين قلقتين: «يا إلهي، ستيفاني! لم يكن عليك أن تفعل ذلك، هي خطيرة وشرطانية، ماذا أخبرتك؟».

- قالت إنكما كنتما عاشقين، وأنكما لم تقيما علاقة حميمية بضع مرات بل مرات عدة.

نظرت للأعلى إليه من حيث تجلس على الأريكة وهو واقف أمامها، حريصة على مراقبة ردّة فعله على ما ستقوله لاحقًا: «قالت إنك اعتدت الذهاب إلى شقتها وقت الغداء لمطارحتها الغرام، وإنكما تناولتما الغداء الذي أعدته زوجتك لك في سريرها».

تعرف من نظرة الهلع في عينيه أنها أصابت بيت القصيد؛ لم تتوقع ذلك، فصاحت به: «هذا صحيح؟».

هزّ رأسه نافيًا، وقد شحب وجهه، وعندما أجابها كان صوته متوترًا: «أقسم لك لم يحدث ذلك سوى مرة واحدة فقط، والمرة الأخرى التي أقمت فيها علاقة معها كانت قبل ذلك، وكنا ثملين، وضعت حدًا لهذه العلاقة بعد تلك المرة». ثم أضاف بياس: «لم يكن شيئًا يُذكر ستيفاني. أدركت كم كنت غيبًا، لم تعن لي أي شيء، لا شيء على الإطلاق».

رمقته بنظرة حادة، والشكوك تدور في رأسها حول كل شيء.

- لن تستفيد إيريك من محاولاتها هذه كلها، أعدك.

نظرت إليه وهي منهكة بالكامل؛ كيف لا يستوعب ما هم بصدد التعامل معه؟ كيف يقطع هذا الوعد؟ كيف تمكّن من التفوّه به حتى؟ ربما لأنه بريء،

لكن لا يمكنه أن يعول على ذلك؛ يتورط الأبرياء في جرائم القتل طوال الوقت. شعرت بوجهها يتلاشى، ثم قالت: «كيف لك أن تقطع مثل هذا الوعد؟ كيف لك أن تعِدني بأي شيء على الإطلاق؟».

- من أين تأتين بهذه الأفكار ستيفاني؟ ألا تصدقيني؟

- بالطبع أصدقك، لكن...

- لكن ماذا؟

- إن ذهبت إيريكا إلى الشرطة، سيصدقونها.

يتظاهر باتريك بالنوم؛ عيناه مغمضتان، لكنه مستيقظ تمامًا. وضعت ستيفاني التوأمتين في سريريهما أخيرًا، واستلقت في سريرهما بعد بضع دقائق. كان يدير ظهره لها، لكن سرعان ما علم من أنفاسها أنها غطت في نوم عميق. كان ينتظر، أملًا أن تغفَ سريعًا هذه الليلة.

غادر السرير بهدوء، حذرًا ألا يوقِظَها. ارتدى سروال جينز وقميصًا وتسلل خارج الغرفة. لن تفيق من نومها حتى تبدأ الطفلتان بالبكاء في السادسة صباحًا؛ سيكون في المنزل بحلول هذا الوقت، وإذا حالفه الحظ لن تلاحظ اختفاه مطلقًا، وفي حال لاحظت، سيقول إنه لم يستطع النوم وخرج ليصفّي ذهنه.

أخذ محفظته والمفاتيح وتسلل بهدوء إلى خارج المنزل ثم أغلق الباب بحذر وراءه. استقل سيارته وغادر ممر السيارات ولم يشغل المصابيح حتى وصل إلى الشارع، ثم سلك الطريق السريعة نحو نيويورك.

استيقظت إيريكا على الصوت الحاد لجرس شقتها. رفعت رأسها ونظرت إلى الساعة؛ إنها الثانية وخمس وأربعون دقيقة صباحًا. يرن الجرس مجددًا وبلا توقف. ألقت الأغطية بعيدًا عنها، وسارت حافية القدمين نحو الباب، وتحدثت عبر الأنترفون.

- من بالخارج؟

- أنا؛ أريد أن أتحدث معك.

تعرفت صوت باتريك؛ وشعرت بقلبها ينبض سريعًا.

- حسنًا، تفضل.

خطرت لها فكرة عابرة؛ هل يجب أن تخشاه؟ هي خائفة قليلًا، لكنها تشعر أنه أصبح مستعدًا أخيرًا للتحدث بشكل عملي؛ يستطيعان معًا أن يستفيدا جيدًا من هذا الوضع، ربما بدأ برؤية ذلك.

ارتدت رداءً فوق ملابس النوم عندما سمعته يطرق الباب. أحكمت غلق الرداء وفتحت الباب. حذق إليها للحظات ثم تجاهلها ودلف إلى المنزل. أغلقت الباب، تحاول أن تستشف حالته المزاجية. التفت لمواجهتها.

- ما الذي تفعله هنا في منتصف الليل؟

- ابتعدي عن زوجتي بحق الجحيم!

حمل صوته نبرة تهديد. ولم يكن هذا ما تأمل به تحديدًا؛ كانت تأمل أن يستوعب أن وفاة زوجته الحالية يصب في مصلحتيهما معًا، بغض النظر هل كان ليختار ذلك طوعًا أو كرهًا، لكنه ما زال يحميها.

قال بصوت عدائي: «لماذا قد أفعل ذلك؟».

فردت بصوت عدائي مماثل له: «تستحق أن تعرف الحقيقة، لتعرف ما أنت قادر على فعله». مكتبة سر من قرأ

«توقفي عن هذا الهراء!»، قالها بصوت مدوّ، ثم سار تجاهها وخفض صوته وقال متوعدًا، «اكتفيت من كل هذا، واكتفيت منك».

لم تبتعد، بل اقتربت بوجهها نحوه أكثر وقالت: «لا تحاول أن تقنعني بأنك لم تفكر في شيء من هذا القبيل قبل أن أظهر في حياتك مجددًا. تزوجت من امرأة تعلم أنها سترث ثروة كبيرة، وقد ورثتها بالفعل، ودعنا لا ننسى مبلغ التأمين». ابتسمت ببرود تجاهه، «إن لم أظهر مجددًا في حياتك، كيف كان لهذه القصة أن تنتهي؟». رأت الغضب في عينيه، «ماذا؟ هل أصبت عين القصيد؟ هل أفسدت خططك كلها؟».

تملك منه الغضب وقال: «أيتها العاهرة البائسة المخادعة، أنتِ منغمسة بالكامل في خيالاتك الخاصة لدرجة أنك تؤمنين بها حقًا».

- أعتقد أنك لم تلحظ بعد، لقد حاصرتك من كل الجهات؛ إن ماتت زوجتك البخيلة الآن، قبل أن أذهب إلى شرطة كولورادو، لن يشك أحد في أي

شيء، إن ارتكبت جريمتك بشكل صحيح. ستتخلص منها وتصبح حُرًا،
وسنتقاسم المال، هناك الكثير منه.

حُدد إلينا وقد أخرسه الغضب. أكملت إيريك ببرد: «الخيار الآخر هو أن
يتم استجوابك في مقتل زوجتك الأولى، وما إن يحدث ذلك، بغض النظر عن
نتيجة التحقيق، لن تكون قادرًا أبدًا على التخلص من ستيفاني، أليس كذلك؟
لن تجرؤ».

انتظرت قليلًا ثم أضافت بقسوة: «وربما ستطلب الطلاق وتأخذ المال
معها وترحل».

- أيتها العاهرة الأنانية عديمة الأخلاق الجشعة!

لم يضايقها رأيهِ البتة.

- لذا، أخبرني، ما هو قرارك؟

نظر إليها، وجهه على بُعد بضعة سنتيمترات منها؛ ترى العروق تنبض
بتوتر في جبهته. انتظرت إجابته.

سألها بيأس: «أنتِ تفترضين أنني قاتل».

- ألسَتَ كذلك؟

الفصل السادس والعشرون

صبيحة يوم الخميس، قررت هانا دعوة ستيفاني والتوأمتين لمنزلها. هي تشعر بالقلق طوال الوقت بشأن جارتها؛ يبدو الإرهاق جلياً على وجه ستيفاني، تدرك هانا كم تواجه ستيفاني من صعوبات لمواكبة الأمور؛ هذا طبيعي مع توأمتين تعانيان مغص الرضع ولا توجد أمها لمساعدتها. لا تستطيع هانا وصف مدى امتنانها لوالدتها لأنها تعيش بالقرب منها، كما أن تيدي طفلٌ يسهل التعامل معه.

انزعجت كثيراً ذلك اليوم عندما وجدت باب ستيفاني مفتوحاً على مصراعيه ورأتها في تلك الحالة. هم يعيشون في حَيٍّ لطيف، لكن لا يعني ذلك أنك لن تتعرض للسرقة إن تركت بابك مفتوحاً. مع انتشار التسوق عبر الإنترنت؛ انتشرت حوادث سرقة الطرود من أمام المنازل، وهناك المزيد من الفرص أيضاً.

هناك شيء آخر يؤرق هانا؛ منذ يومين رأت هانا ستيفاني تجلس عند الشرفة الأمامية لمنزلها وتتحدث مع المرأة التي كانت تتفقد المنزل المعروض للبيع. تذكرت هانا المحادثة الودية التي أجرتها مع تلك المرأة عندما جاءت لتتفقد الحي. لكن مما رأتها من نافذة غرفة المعيشة وهي تتمشى، محاولة حث تيدي على التجشؤ، لم يبدُ أن ستيفاني والمرأة كانتا تحظيان بمحادثة سارة.

هانا ليست بمتطفلة ولا تحب التدخل فيما لا يعنيهها، كما أنها لاحظت أن ستيفاني كتومة ولا تحب مشاركة المعلومات الخاصة، لذا لم تكن متأكدة إن كان عليها ذكر الموضوع أم لا. لكن لو أن هذه المرأة تفكر في شراء المنزل...

تناولت هاتفها، وبعد فترة وجيزة جلست السيدتان والأطفال الثلاثة بأريحية في غرفة جلوس هانا؛ لاحظت هانا أن ستيفاني تبدو أسوأ مما كانت عليه آخر مرة.

قالت هانا بتعاطف: «لا تسيئي فهمي، لكنك تبدين في حالة مريضة».

- وما أشعر به أسوأ بكثير من مظهري.

عرضت عليها هانا كوبًا من القهوة وسألتها بعفوية: «من تلك المرأة التي كنتِ تتحدثين معها عند الشرفة الأمامية ذلك اليوم؟».

أشاحت ستيفاني بنظرها وتناولت كوب القهوة، ارتشفت منه ثم قالت: «صديقة قديمة لباتريك من أيام المدرسة».

«حقًا؟»، فكرت هانا في هذه المعلومة لدقيقة ثم قالت، «هل لا تزال مهتمة بشراء المنزل؟».

- أي منزل؟

- ذلك المنزل الذي يبعد منزلين عنك، تحدثت معها الأسبوع الماضي، وكانت هنا لتفقد.

- آوه، لا، لا أعتقد ذلك.

قالت ستيفاني، ثم شرعت في تغيير الموضوع. شعرت هانا أن شيئًا ما يبدو مريبًا هنا.

حاولت نانسي أن تجمع ما تستطيع من معلومات حول إي. قوس. بدأت بالأشياء البديهية كبحث جوجل وفيسبوك، لكنها لم تجد شيئًا مفيدًا. ما زالت تراقب تطبيق سيارة التيسلا؛ رأت زوجها يقود سيارته إلى نيوبورغ ظهيرة يوم الأحد في حين كان ينبغي له أن يكون بالعمل، لكنها لم تستطع مغادرة حفل عيد ميلاد أحد أصدقاء هنري الصغار. اعتادت تتبّع زوجها كلما أتيحت لها الفرصة؛ فقد يقابل نايل هذه المرأة في أي مكان؛ لكنها لا تلحقه مباشرة، فعندما ترى أن زوجها قد ذهب وأوقف سيارته، تذهب وراءه بعد وقت من الزمن. أحيانًا تصطحب هنري معها في السيارة، لكن حتى الآن، لم يذهب إلا لأماكن عمل حقيقية.

لكن ظهيرة يوم الخميس، رأت النقطة الزرقاء الصغيرة تتحرك، تجاه نيوبورغ. تملكها الغضب؛ تجاهه، وتجاه نفسها لأنها لم تواجهه. يستمران بالتظاهر بأن كل شيء على ما يرام في المنزل؛ هو يتظاهر بأنه لا يخونها، وهي تتظاهر بعدم معرفتها بالأمر؛ يستحقان جائزة الأوسكار على هذا الأداء.

قامت بعمل الترتيبات اللازمة حتى تصطحب والدتها هنري من الحضانة في الظهيرة وتبقية عندها حتى تعود هي. ثم قادت عبر الطريق السريعة وهي تغلي من الغضب. عندما وصلت إلى مقصدها، أوقفت السيارة في الجهة المقابلة من الشارع. وجدت سيارة زوجها التيسلا في موقف السيارات مجددًا؛ ترغب في أن تأخذ مطرقة وتهشمها بها.

لكنها جلست في سيارتها وانتظرت، عيناها على الباب الرئيسي للمبنى. أخيرًا خرج نايل وحده، انتظرت حتى استقل سيارته وقاد بعيدًا. تنفست بعمق ثم خرجت من السيارة، سارت داخل المبنى ثم ضغطت جرس الشقة 107. تريد أن ترى مخربة البيوت هذه بنفسها.

عندما سمعت نانسي صوت المرأة من خلال الأنترفون، عُقد لسانها فجأة. ماذا لو رفضت السماح لها بالدخول؟ في هذه اللحظة، خرج رجلٌ من ردهة الاستقبال وتسللت نانسي وراءه ودخلت، دون أن تتحدث خلال الأنترفون.

سارت نانسي خلال الممر حتى وصلت إلى الشقة 107، وقفت للحظة عصبية أمام الباب؛ هل ستفتح المرأة التي تقيم علاقة حميمية مع زوجها الباب؟ أم هل ستنظر من ثقب الباب وتكتشف لماذا الزوجة الغاضبة هنا؟ جمعت شتات نفسها وطرقت الباب.

فُتح الباب وقالت: «نعم؟».

حدقت نانسي إليها، ليست يافعة كما توقعت، لكنها جميلة بلا شك؛ شقراء بينما تمتلك نانسي بشرة داكنة. آن أودود كانت شقراء أيضًا، فكرت نانسي في ولع زوجها المفاجئ بالشقراوات. تشعر بالغيرة والنقص والغضب في آن واحد وهي تنظر إلى تلك المرأة الرشيقة ذات القوام المتناسق، ترتدي سروالًا أسودَ ضيقًا وقميصًا ضيقًا.

سألته المرأة: «ماذا تريدين؟».

قالت نانسي بحزم: «أريد أن أتحدث معك، هل يمكنني الدخول؟».

رمقتها بنظرة مرتبكة: «من أنت؟».

نظرت نانسي وراء المرأة إلى الشقة المؤثثة بالكاد ودخلت.

- عفواً، من أنت؟

نظرت نانسي إلى الطاولة الصغيرة وعليها عشرات رسائل البريد، رأت الاسم المدون فوق أحد الأظرف «إيريكاً فوس».

نظرت إلى الأعلى وقالت: «رغبت في لقاءك إيريكاً، أنت على علاقة حميمية مع زوجي، رأيته يغادر حالاً، سنتوقفين عما تفعلينه».

قلت إيريكاً: «هكذا إذن».

وابتسمت وتابعت: «أنتِ الزوجة التي أهملت، هذا ما توقعته. كنتِ تراقبينه، أليس كذلك؟ يا له من أمر مثير للشفقة، وتظنين أنك تملكين الحق في القدوم إلى هنا وإخباري بما عليّ فعله! يا لك من... شجاعة!».

تعلم نانسي أن إيريكاً ترى شجاعته لا أساس لها.

قالت نانسي بلهجة حادة: «فلتعتبري هذا إنذاراً ودياً، سأخبر زوجي أنني علمت بشأنكما وسينهي علاقتكما فوراً».

«ما الذي يجعلك متأكدة هكذا؟»، سألتها إيريكاً، وهي تعقد ذراعيها أسفل نهديها الفاتنين.

فجأةً أصبحت نانسي غير متأكدة تماماً؛ هذه المرأة مختلفة عن آن أودود، هي ليست سهلة المنال.

«فقط ابتعدي عنه»، حذرتها.

«أو؟ ماذا ستفعلين بي؟»، نظرت إيريكاً إليها وهي ترفع أحد حاجبيها، ثم أضافت «هو رجل بالغ، ويستطيع أن يتخذ قراراته بنفسه».

نظرت إليها نانسي باحتقار، ثم التفتت بعيداً، وسارت نحو الباب.

قالت إيريكاً: «سترين أنني محقة.. قودي بحذراً!».

ظل نايل في العمل لوقت متأخر حتى يعوض الساعات التي قضاهما في منتصف الظهيرة مع إيريكاً. يعلم أن زوجته لن تكون سعيدة بهذا الأمر، لكنها لا تتذمر كثيراً بشأن العمل لساعات متأخرة؛ تعلم أنه يعمل بكد، وهي فخورة بنجاحه، يتمتعان بحياة جميلة، وساعات العمل الإضافية هي الثمن الذي يدفعانه من أجل ذلك.

عندما وصل إلى المنزل، أوقف السيارة في مدخل السيارات ودلف إلى المنزل. لم تُحَيِّه نانسي عند الباب كالمعتاد، ربما هي في المطبخ، هذا ما توقعه، ربما تحضر شيئاً ساخناً من أجله كما تفعل دائماً، لاحظ أنه يتصور جوعاً، لكن المنزل هادئ جداً على غير المعتاد.

تجول في المنزل وسار نحو المطبخ ونادى: «نانسي، أنا وصلت». توقف فجأة عندما رآها تجلس بهدوء في غرفة المعيشة على الأريكة. فقال: «مرحباً».

لكنها تنظر إليه بنظرة تجعل قلبه يسقط في أحشائه؛ وجهها كئيب وحذر وغاضب ومتألم. أدرك أنها تعلم، لقد اكتشفت أمر إيريك، بالطبع. فجأة استشاط غضباً؛ هل لحقت به؟ ألا يمكنه أن يكون حُرّاً على الإطلاق؟ لكن هذه المشاعر، تلك الدفعة اللحظية من المشاعر الطفولية، اختفت في ثانية، ثم شعر بالواقع يجتاحه. كان أحمق، سيخسرهما. شعر بوجهه تغلفه الكآبة؛ لكن لم يتحدث أيُّ منهما.

قال بصوت رقيق: «أين هنري؟».

لا يريد أن يسمع ابنهما ما سيحدث الآن.

أجابته: «في منزل والدتي، سيبقى هناك الليلة».

ستطلب منه الرحيل. يشعر بالدوار، لا يصدق ما يحدث؛ كيف كان غيباً لهذه الدرجة؟ لقد وعدها، وأخلف بوعده، لن تمنحه فرصة ثانية، لقد أعطته فرصة ثانية بالفعل وضيعت هذه الفرصة.

«نانسي»... قالها، ثم صمت. انتظرت حتى يخبرها لكنه لا يستطيع.

قالت باستهجان: «كيف تجرأت؟ كيف تجرأت بعد المرة الأخيرة؟».

دخل ببطء إلى الغرفة كأنه يقترب من جنازته الخاصة وغاص في مقعد قبالتها وقال: «لا أدري.. أنا آسف جداً. نانسي أنا أحبك، أنت فقط، لم أحب سواك».

نظر إليها متألمًا ومتوسلاً.

قالت بغضب: «هذا ما قلته المرة السابقة».

- أعلم، لكن هذه هي الحقيقة.

- ذهبت لرؤيتها اليوم.

شعر فجأة بالإعياء؛ لم يقصد حدوث أيّ من هذا: كانت علاقة مثيرة لكنها لا تعني شيئاً له. لم يقصد أن يجرحها، ولا يريد أن يفقد كل شيء.
قالت نانسي بمرارة: «هي جذابة جداً».

يا إلهي لماذا يتكرر هذا ثانية!

- نانسي أرجوك، أنت تعلمين كم أنت جذابة. انظري إلى نفسك! الأمر لا يتعلق بهذا الشأن.

«حقاً؟»، انتظرت للحظات ثم قالت، «إذاً لماذا تفعل ذلك؟ لماذا تقيم علاقات مع سيدات أخريات؟ لماذا لست كافية بالنسبة إليك؟».

تمنى لو أنها تبكي وترمي الأشياء؛ لكنها غاضبة جداً وباردة بنفس القدر. هو متأكد من أنها قد اتخذت قرارها في أن تطرده خارج المنزل. لا يستطيع أن يفسر ما حدث. حاول مرة في الاستشارة الزوجية لكنه فشل في ذلك. يرغب في تفسير الأمر الآن لكنه لا يجد الكلمات المناسبة.

- لقد اكتفيت، نايل؛ أعتقد أن عليك الرحيل.

«لا!»، صرخ بعنف، «لا، نانسي، أرجوك، امنحيني فرصة أخرى من فضلك».

- بإمكانك الانتقال إلى شقتها الرخيصة والصغيرة في نيوبورغ، أنا واثقة أنكما ستكونان في غاية السعادة، أو البؤس، لا يهمني.

نهض من مقعده وجثا على ركبتيه أمامها وهو يهز رأسه وهو يقول: «لا أريدها، هي لا تعني أي شيء بالنسبة إليّ. أريد أن أبقى هنا معك. أنا أحبك نانسي، أريد أن أبقى هنا معك ومع هنري، من فضلك لا تطلبي مني الرحيل، لن أراها مجدداً؛ أقسم لك».

شرعت في البكاء وهو كذلك. ثم جلسا صامتين لوقت طويل، حل الظلام أخيراً قالت نانسي: «أريدك أن تتصل بها، الآن، وتخبرها أنك لن تراها مجدداً أبداً».

قال بحماس: «بالطبع، بالطبع».

ثم أخرج هاتفه المحمول من جيبه واتصل بإيريك، ينبض قلبه بجنون، رفع هاتفه لأذنيه.

أجابت إيريك: «مرحباً».

قال لها: «إيريك، أنا نايل، أنا آسف، لكنني لن أراك بعد اليوم».

ردت بلهجة مأكرة: «خائف من زوجتك، أليس كذلك؟».

- أحبها.

- بالطبع.

أنهى المكالمة؛ يعلم أن زوجته سمعت المكالمة. نظر إليها بحذر، فسألها: «ماذا بعد؟».

قالت نانسي: «سأفكر في الأمر». ثم وقفت وأضافت، «يمكنك النوم في الغرفة الإضافية حالياً، حتى أقررَّ ما سأفعله بك».

غادرت الغرفة وتركت نايل واضعاً رأسه بين يديه.

ترغب إيريك في رمي هاتفها تجاه الحائط. ردت نفسها في الوقت المناسب، تشعر بالإهانة، لم تتوقع ذلك حتى ظهرت زوجة نايل أمام منزلها هذه الظهيرة. تعلم بالطبع أن نايل لن يدمر عائلته، لكن ما لم تتوقعه هو أن تكتشف زوجته بشأنهما. ليس بهذه السرعة على الأقل. كيف ترك نفسه ينكشف بهذه السرعة؟ كيف سمح لها بتتبعه بهذه السهولة؟ كيف كان غيباً لهذه الدرجة؟ هل رغب هذا الأحمق في اكتشاف أمره؟

لا تستطيع الحصول على أموال منه من أجل رخصتها الآن. لم يسر أي شيء كما خططت له مؤخراً. قالت لنفسها إن عليها التحلي بالصبر، مثل هذه الأمور بحاجة إلى الوقت. لكن الصبر لن يكون سهلاً أبداً بالنسبة إليها.

الفصل السابع والعشرون

يفكر باتريك في محادثته الأخيرة مع إيريك في شقتها تلك الليلة مرارًا وتكرارًا. تهتز يداه أحيانًا هذه الأيام، لاحظت ستيفاني ذلك، وتستمر بسؤاله إن كان بخير وإن كان يخفي عنها أي شيء آخر؛ هل تواصلت إيريك معه؟ لكنه لم يفعل، وكذلك هي، ليس غيبًا لدرجة أن يفكر أنها تخلت عن الأمر ببساطة وغادرت، ليس بعد الآن.

ستيفاني محطمة هي الأخرى؛ وجهها مشدود وتحمل نفسها على الحركة في المنزل، كأن كل خطوة تخطوها كصعود جبل. لاحظ أن كل صوت غير متوقع يفزعها، حتى الأصوات البسيطة مثل وصول البريد من صندوق البريد. أخبرته بما قالته هانا، حول أن إيريك كانت تتفقد المنزل المعروض للبيع في الشارع؛ حطم ذلك أعصابهما، يعرفان أن هذا هو مقصدها، لكنهما يدركان أن من غير المعقول أن تكون مهتمة حقًا بشراء المنزل.

يدركان جيدًا أنهما على حافة الجنون. لاحظ باتريك أنهما لم يغادرا المدينة كثيرًا منذ ولادة الطفلتين. قبل حمل ستيفاني، كانا معتادين تسلق المرتفعات وركوب الدراجات في العطلات الأسبوعية. وعندما حملت ستيفاني، تحدثا بشأن تثبيت مقاعد للأطفال في دراجتيهما حيث يستطيعان قيادة الدراجات حول كاتسكيل، كأن التعامل مع الطفلتين سيكون بالأمر الهين. لم يكن لديهما أدنى فكرة عما هو بانتظارهما وكيف سيغير ذلك حياتهما. فكرة قيادة الدراجة بالطفلتين في مقاعد للأطفال في الدراجات غير واقعية بالمرّة. لم يدركا أن الحصول على توأمتين سيكون بتلك الصعوبة، لم يتوقعا المغص الذي عصف بحياتهما. كل ما يرغبان به الآن هو النوم متى أتاحت لهما الفرصة.

- ستيفاني.

قال باتريك على الإفطار صبيحة يوم السبت.

- لِمَ لا نذهب للتنزه ونترك المدينة كما اعتدنا؟ سيكون يومًا رائعًا. على الأقل سنستنشق بعض الهواء النقي ونرى شيئًا مختلفًا.

مالت برأسها تجاهه، تفكر في الأمر. كان يشعر بحيرتها؛ يبدو اقتراحًا لطيفًا، لكنها تفكر في كل الأعمال المنخرطة في هذا الأمر. التخطيط للنزهة، طهي الطعام، وتقويت وقت الغفوة، لأن الطفلتين ستغفوان في السيارة على الأرجح في أثناء العودة.

طمأنها: «سأجهز كل شيء.. وسأحضر كل شيء من قسم الأطعمة الجاهزة (ابتسم لها) سلطة البطاطس، والساندويتشات الإيطالية التي تحبينها، ومشروب الليمون اللاذع وبعض البسكويت، سنقود السيارة إلى تلك المنطقة في الجبال التي اعتدنا الذهاب إليها، واعتدنا المغازلة فيها. (ابتسم لها وحصل على ابتسامة متعبة في المقابل) يمكننا أن نسترخي لبعض الوقت، ويمكنك النوم في السيارة في طريق العودة».

ابتهج وجهها قليلًا، وبدأت طبيعية للحظة، كما اعتادت أن تكون قبل ظهور إريكا في حياتها.

- هذا يبدو مغريًا، حسنًا، سأحزم حقيبة من أجل الطفلتين بينما تذهب للتسوق.

وافقته.

- رائع.

طبع قبلة على شفيتها وأحضر مفاتيح السيارة، يغني وهو يرحل.

أراحت ستيفاني ظهرها إلى الوراء في المقعد المجاور لباتريك، تشعر بالسكون والراحة وهم يتركون النهر وراءهم ويتجهون نحو كاتسكيل، تجلب الغابات الكثيفة من حولها شعورًا مسالمًا مألوفًا. الشمس بازغة بشموخ، والتوأمتان تثرثران بسعادة في المقاعد الخلفية وباتريك ينظر إليها وابتسم وهو يقود بجوارها، وضع يده اليمنى فوق يديها. وبسعادة مفاجئة، تذكرت كم هما سعيدان، قبل أن تغزوها ذكريات ما يمران به الآن، السعادة والقلق؛

ألا يمكن أن يحظيا بإحداهما دون الأخرى؟ نظرت إلى وجه باتريك، وأشعة الشمس التي تملأ السيارة، وصوت طفليتها من الخلف، هي تعرف ما هي السعادة، لكن خوفًا مفاجئًا ذكَّرها بالظلال السوداء التي تحوم فوق حياتهم. التفتت بعيدًا عن باتريك ونظرت من النافذة، شاهدت المناظر الطبيعية، وحاولت التحديق إلى الغابة، تفكَّر في كل القصص الخيالية التي تتوق إلى قراءتها للطفلتين، تلك القصص التي أحببتها كثيرًا عندما كانت صغيرة: «ذات الرداء الأحمر» و«هانسل وغريتل» و«بياض الثلج والأقزام السبعة».

- نكاد نصل.

قال باتريك، وهو ينعطف بعيدًا عن الطريق السريعة نحو طريق وعرة تؤدي إلى المنطقة التي اكتشفها منذ بضع سنوات، واعتبراها منطقتهم الخاصة. أدركت ستيفاني أنهم لم يأتوا إلى هذا المكان منذ ولادة الطفلتين. أوقف باتريك السيارة؛ إنهم وحدهم تمامًا في هذا المكان، إنه هادئ تمامًا حتى إنها تسمع صوت المحرك يهدأ. غادرا السيارة، اقترب باتريك منها ووقفًا معًا ينظران إلى الأفق؛ المنظر يبدو رائعًا من موقعهما هذا، ثم التفتت ستيفاني وبدأت بوضع الملاءات على العشب بينما أخرج باتريك مقاعد الطفلتين من السيارة.

بعد فترة وجيزة، جلس كلُّ منهما بطفلة بين ذراعيه، يستمتعون بالوجبة، ويملاً صدورهم الهواء المنعش؛ تبدو مشكلاتهم بعيدة في هذا المكان، هذا ما فكرت فيه ستيفاني وهي تقضم الساندويتش الذي في يدها، وتبتسم لجاكي التي تحاول أن تمسك بشعرها، هم بعيدون جدًا عن كل شيء. خطرت في ذهنها فكرة خيالية؛ لو أنهم يستطيعون فقط المكوث هنا حيث لا تستطيع إيريكا أن تصل إليهم.

سألها باتريك: «هل تريدان أن نتمشَّى في الغابة؟ أحضرت حمالة الأطفال».

فكرت ستيفاني في الأمر، لكنها تشعر بالنعاس بعد تناول الطعام، لذلك هزت رأسها.

- لا.. أفضل البقاء هنا.

- كما تشائين. هذا يومك.

أخبرها ومال إلى تقبيل شفثيها، بادلتها القبله بنفس الشغف الذي اعتادته.

بعد بضع ساعات هائلة وهائلة، حزمًا حقائبهما، وفكرًا في العودة للمنزل. لاحظت ستيفاني أن شيئًا ما قد عكر مزاج باتريك، يبدو مستغرقًا في التفكير ومتوترًا، ربما يفكر فيما هما عائدان إليه، فقد انتهى وقت هروبهما الصغير. فكرت أن كليهما قلقٌ من نفس الشيء بينما حزمًا أمتعتهما في السيارة. هل ستتواصل معهما إيريكا مجددًا؟ ماذا سيحدث الآن؟ نظرت إليه وهما يضعان الطفلتين في السيارة.

قالت له: «تبدو متعبًا جدًا. ربما يجب أن أقود أنا».

هز رأسه نافيًا: «لا، أنا بخير؛ سأقود».

- أنت قُدت الطريق بأكملها إلى هنا، سأقود السيارة إلى المنزل.

نظر إليها عبر سقف السيارة.

- لا، أنا بخير حقًا. عليك أن تحظي بغفوة في طريقنا للعودة.

لكنها لن تقبل برفضه، سارت نحو مقدمة السيارة، وتوجهت إلى ناحية السائق وقالت: «سأقود أنا، انظر إلى نفسك، ترتعش بالفعل، صدقني، أنت تبدو في حال أسوأ مني».

الفصل الثامن والعشرون

لقد مر أسبوع بالفعل منذ زيارة باتريك لإيريك في شقتها في منتصف الليل، تفقد إيريك صبرها شيئاً فشيئاً. لا شيء يحدث، بالأخص، لستيفاني، وهي لا تحب أن يتلاعب بها أحد. ذهبت إلى المكتبة المستقلة في وسط مدينة ايلسفورد، مكان ساحر، لكن إيريك لم تأتِ إلى هنا للسحر، هي تعلم ما تريده، اتجهت نحو قسم كتب الأطفال.

حان الوقت لشراء هدية للتوأمتين. هي تقضي كثيراً من الوقت تفكر فيهم، تشعر كأنها جزء من عائلتهم الصغيرة الآن. بحثت في الأرفف عن شيء محدد، شيء تذكره من طفولتها؛ قصتها المفضلة على الأرجح. للحظة خشيت ألا تجدها؛ ستضطر إلى طلب القصة عبر الإنترنت، وهي تريد إعطاءها للتوأمتين اليوم، لعل باتريك يتحرك.

ها هي! تعرفت على الكتاب الصغير وأخرجته من الرف، بحثت عن مقعد وجلست لتقرأ الكتاب جيداً؛ إنه كما تذكره تماماً، وعلى الرغم من كل شيء، سحرها الكتاب، ووجدت نفسها تبتسم وهي تقرأ، تستمتع بالكلمات المألوفة والرسومات والعبرة من القصة، هذا مثالي.

لاحظ باتريك الطرد الصغير المغلف كهدية ومزين بشريط أسفل الباب الأمامي لمنزلهما عند عودتهما من نزهة ليلية حول الحي مع الطفلتين. شعر بستيفاني تأتي من ورائه، رأت الطرد الملفوف في ورق أصفر باهت منقط ويحمل صور حملان صغيرة، أطلقت صيحة سعيدة.

- هدية!

لطالما أحببت ستيفاني الهدايا، تحب اختيارها وتغليفلها وإعطائها واستقبالها. اكتشف باتريك مدهوشاً أنه لم يُهدِ زوجته أي هدايا مؤخراً، ولا حتى باقة من الورود. عليه أن يصلح الأمر، سيحضر لها هدية قريباً.

اقتربا من درجات الشرفة، وانحنى لتلتقط الطرد بينما فتح باتريك الباب. - دعنا نأخذ الطفلتين إلى الداخل ولنرى من المرسل.

دلفا إلى المنزل وأجلسا الطفلتين في غرفة المعيشة. قالت ستيفاني: «توجد بطاقة.. إلى إيما وجاكي، أتساءل من أرسل هذه؟».

جلست على الأريكة وفتحت البطاقة. كان باتريك على وشك الجلوس بجوارها عندما رمت الهدية بعيداً، كأنها تلقت صعقة كهربائية. ما زالت تمسك بالبطاقة بيديها وتتنظر إليها بتقرز. شعر باتريك بفزع رهيب.

- ماذا؟

أعطته البطاقة، رأى يديها تهتزان.

- من إيريكا.

تفوهت بالاسم باسمئزاز.

أخذ البطاقة منها ونظر إليها بفزع؛ كُتب بداخلها: هدية صغيرة من أجلكما ومن أجل الطفلتين. إيريكا.

اجتاحه شعور رهيب بالخوف؛ نظر إلى الطرد الذي ألقته ستيفاني على الأرض، صغير ومسطح مثل كتاب. صرخت ستيفاني: «لا تفتحه».

تردد، لا يريد أن يفتحه هو الآخر؛ إيريكا مجنونة وتريد أن تعبت بهما. لكن على أي حال، عليه أن يعرف ما بداخل الطرد. سار نحو الهدية، وانحنى لالتقاطها بينما غاصت ستيفاني في الأريكة. نظر إليها كأنه ينتظر إذنها، لم تقل أي شيء، لذا مَزَقَ الغلاف. تنفس الصعداء، التفت إلى ستيفاني.

- مجرد كتاب، قصة مصورة.

عاد إلى الأريكة وجلس بجوارها، وقرأ العنوان بصوت عالٍ: «الدجاجة الحمراء الصغيرة».

أخذت ستيفاني الكتاب منه ونظرت إليه.

- أعرف هذا الكتاب. قصة شعبية قديمة، كان على الدجاجة الصغيرة أن تفعل كل شيء بنفسها.

تفحصت الصفحة الأولى ثم قرأت القصة سريعاً، تدور الأحداث حول دجاجة حمراء صغيرة وجدت حبة من القمح، لكن لم يساعدها أحد على زراعتها؛ رفض كلُّ من الإوزة والقطة والخنزير، قررت الدجاجة الحمراء حينها أن تزرعها بنفسها. عندما حان وقت حصاد القمح، لم يساعدها أحد، أخبرتهم أنها ستفعلها بنفسها. أخيراً حين حان وقت أكل الخبز الذي صنعتته من القمح؛ أراد الجميع قليلاً منه، لكنها قالت إنها ستأكله وحدها. قلبت ستيفاني الصفحات حتى النهاية، كأنها تتوقع المزيد، لكن لا شيء. التفتت إليه بوجه كئيب.

قال باتريك: «تريد أن تعبت بنا».

إنه يعرف ما تنوي فعله، والأمر يخيفه للنخاع، إيريكاً ترسل إليه برسالة، ولا يمكن أن تكون أكثر وضوحاً. سأفعلها بنفسني.

في المساء التالي، ليلة الأربعاء، كانت إيريكاً تتمشى إلى عملها في مستشفى «هيلكريست» في نيويورك، حيث تعمل مساعدة إدارية لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع. كان عليها أن تعود إلى الجامعة حقاً وتستقر في وظيفة ذات قيمة. لكنها جُبلت على الضجر، لا تقدر على المكوث في أي مكان لفترة طويلة، تبحث دائماً عن طرائق أسهل وأسرع لجني المال. لا تبعد المستشفى كثيراً عن شقتها، وهي تستمتع ببقائها وحيدة مع أفكارها. لديها الكثير لتفكر فيه دائماً.

كانت إيريكاً تسير على حافة الطريق المؤدية إلى مدخل المستشفى، لا يوجد رصيف، وجالت بذهنها إلى الخيارات التي اتخذتها في حياتها. لا تملك زوجاً ليعولها مادياً، تخلت عن ابنها وعرضته للتبني، كان قراراً عملياً، ومادياً ولم يكن بالقرار الصعب، فإيريكاً اعتمدت على الزوجين المتحمسين والميسورين مادياً قليلاً بداية، ثم كثيراً في النهاية. قامت بكل شيء في هدوء. وكانا سعيدين بالدفع لها.

لم تكن مستعدة كي تصبح أمّاً، كيف لإيريكاً البالغة من العمر الثانية والعشرين أن تربي طفلاً وحدها، بينما في الحقيقة، لم تفكر يوماً في رغبتها

في الحصول على طفل؟ تعلم الآن أنها لا ترغب في ذلك، لم تكن حانية بطبيعتها، ولم تكن مهتمة بابنها حتى.

سارت بخفة في الطريق الواسعة المظلمة وقد أحنّت رأسها، تائهة في أفكارها، تستمع إلى الموسيقى، فجأة شعرت بشيء ما؛ سمعت صوت مكابح وراءها، نظرت إلى الوراء ورأت سيارة مظلمة وخطيرة تتجه نحوها بسرعة جنونية، وقد أطفأت الأنوار. كرد فعل طبيعي، قفزت نحو جانب الطريق وهبطت بقوة على جانبها وتدحرجت وهي تسمع صوت السيارة تبتعد.

جلست في الحفرة، تلهث، وقلبها يدق بجنون، جلست ببطء تلك كتفها، هي مصدومة لكنها سليمة. كان ذلك وشيكًا. فكرت بخوف مفاجئ أنه ربما استفزت باتريك أكثر مما ينبغي. لقد اتخذ قراره، لقد أفسدت الأمر.

الفصل التاسع والعشرون

الوقت متأخر، تحمل ستيفاني جاكى بين ذراعيها، وجهها أحمر مغطى بالمخاط والدموع بينما تبكي بحرارة. جسدها الصغير ساخن جدًا رغم أنها ترتدي الحفاضات وقميصًا خفيفًا فقط. تتعرق ستيفاني أيضًا بسبب حملها لجاكي لفترة طويلة، تتحدث معها، وتهزها وهي تحملها وتسير بها حول غرفة المعيشة، لكن الطفلة لا تهدأ. كلما حاولا ترك الطفلتين، تبكيان بحرارة أكبر؛ ولم تعد تستطيع هي أو باتريك أن يتحملا الأمر. يحمل باتريك إيما بين ذراعيه ويتمشى بها في الردهة وفي المطبخ. يستمران في فعل هذا ليلة بعد ليلة والأمر ينهكهما. لا يستطيعان حتى التحدث معًا بسبب الضوضاء؛ وهو أمر جيد على الأرجح، فسْتيفاني لا ترغب في التحدث مع زوجها الآن. هي غاضبة منه ومن الموقف، وهي متعبة جدًا ولا تستطيع التفكير بصورة سليمة. لطالما كانت شخصًا عقلانيًا جدًا لكنها لم تعد تتعرف نفسها بعد الآن.

لا تصدق أن باتريك قَتَلَ زوجته الأولى عمدًا، ستيفاني تعرفه جيدًا، هذا ادعاء كاذب. إن كان واقعًا في حب إيريك حقا كما تقول، لماذا لم يترك ليندسي كما ادعت إيريك أنها رغبت في ذلك؟ هذا ما كان ليفعله أي شخص؛ لا يوجد لديه سببٌ ليقتلها. عدا أنه كان سيحظى بطفل، وسيعول عائلة صغيرة وهذا أمر مكلف جدًا، وكان هناك مبلغ التأمين.

جابت غرفة المعيشة بتعب مرارًا وتكرارًا، تدور الأفكار المنهكة في رأسها؛ إيريك مبتزة وتكذب بدم بارد. لكن حتى لو استطاعت إيريك بأكاذيبها أن تقنع السلطات بأن العلاقة بينهما كانت جادة، لن يكون هذا كافيًا بالطبع لإثبات أن باتريك قتل زوجته الأولى، أليس كذلك؟ ثم تذكرت أمر المال، وشعرت بالغثيان، ارتطمت ركبتهما بالأريكة وتعثرت قليلًا. ثم تذكرت التحذير

الذي تركته لها إيريكاً؛ إن فعلها مرة سيفعلها ألف مرة. أغلقت عينيها للحظة، ووقفت بلا حراك. لا؛ لن تفكر في ذلك، إيريكاً كانت ترغب في العبث بعقلها فقط. عضت شفتيها وقد خلصت إلى أنها لن تسمح لعقلها أن يفكر في تلك الأفكار المخيفة.

حاولت أن تتشبث بما هي متأكدة منه. إيريكاً تعلم أنهما لن يدفعاً لها، لن تستطيع الحصول على شيء منهما إن لجأت إلى الشرطة. لكنها قد تذهب إلى الشرطة كرهماً فيهما فقط. إن فعلت ذلك، سيقرب هذا حياتهما رأساً على عقب. لكن إن كانا محظوظين، سينتهي الأمر سريعاً في كولورادو ولن يعرف أحد هنا أي شيء. لكن ماذا إن لم يكونا محظوظين وانتشر الخبر في الأخبار. إذا لم تحصل على قليل من النوم، فستفقد صوابها.

في الصباح التالي، قادت إيريكاً نحو مطار «لاجارديا»، من أجل رحلتها المباشرة لدينفر. فكرت في الأمر ملياً خلال نوبتها الليلة الماضية، ثم عادت للمنزل وحزمت حقيبة لقضاء ليلة في كولورادو، ستذهب إلى مكتب الشريف؛ هذه هي الطريقة الأفضل لحماية نفسها من باتريك. نامت خلال الرحلة بأكملها، وما إن هبطت الطائرة، استقلت سيارة مؤجرة، سيارة مكشوفة، جلست في مقعد السائق وفكرت للحظات فيما قد مضى وفيما سيأتي.

كانت تعيش في دينفر، ويعيش ابنها هنا، انتقلت إلى وسط المدينة وتركت كريمور بعد وفاة ليندسي، لكن ها هي تعود إلى كريمور حيث حدث كل شيء، ستزور الشريف وتخبره بكل شيء، لم تعتقد بأن ذلك سيكون ضرورياً، لكنها أساءت تقدير الأمور. هي الآن تفكر في الاحتمالات الأخرى؛ عندما يغلق باب في وجهك، يفتح باب آخر.

تعثرت ستيفاني خلال مهامها اليومية كلها؛ تنسى ما كانت تنوي فعله، ترتطم بالأشياء، وتلوم نفسها على عدم انتباهها للطفلتين. وقفت في المطبخ وقد تشوش ذهنها؛ تعرف أن عليها تجهيز الطفتين للعربة المزدوجة، لكنها لا تملك الطاقة الكافية لمواجهة كل شيء، والمجهود الرهيب الذي يتطلبه الأمر. صنعت لنفسها كوباً من القهوة بحركة آلية، لكن الكافيين لا يساعد

بشيء. ربما عليها التوقف عن شربه تمامًا. لكن كيف ستمكن من العيش دونه؟ ليس سهلاً أن تعتني بالطفلتين طول النهار وغالبية الليل أيضًا.

أخذت قهوتها وحاسوبها المحمول إلى غرفة المعيشة، وبينما هي تراقب الطفلتين، فتحت محرك البحث جوجل وبحثت عن الحرمان من النوم. وما وجدته أزعجها؛ هناك آثار جسدية، مثل الاضطراب والتعرض للحوادث، هي تعرف ذلك، لكن الآثار النفسية هي ما تهمها أكثر: النسيان، نعم، عدم الاستقرار العاطفي والمزاج المتقلب، لكن من الصعب تحديد إن كان هذا من الحرمان من النوم أو ما يحدث معها، عدم القدرة على اتخاذ القرارات، هذا محتمل، التصرف بتهور، غير محتمل، تخيل الأشياء والهلوسة. هل ستحدث كل هذه الأشياء لها إن لم تستطع تنظيم مواعيد النوم للطفلتين؟

هل هذا يحدث لها بالفعل؟ في لحظاتها الحالكة تخيلت باتريك بالفعل يحشو أنبوب العادم بالثلج ويتكئ على الجاروف، منتظرًا أول أكسيد الكربون حتى يعبئ السيارة، ويخلصه من العائلة التي لا يريدها... هزت رأسها مرة تلو الأخرى، مذكرة نفسها بأن تتوقف.

لا تدري إن كانت أفكارها الجامحة نتاج الحرمان من النوم أو أنها نتيجة طبيعية لما تعرفه عن زوجها. عندما تكون مستيقظة، وواعية، تستطيع التفكير بشكل أفضل، تعرف أن باتريك لن يؤذي أحدًا أبدًا، ناهيك بشخص أحبه، تفقد ثقتها بنفسها وأفكارها، فلا عجب أنها بدأت تفقد ثقتها به. وباتريك أيضًا يؤثر فيه الحرمان من النوم، وأن يكون موضع كل هذا التوتر الإضافي. كانا ليتعاملان مع الأمر بشكل أفضل إن كانا في حالتهما الطبيعية، ولا يعانيان في محاولة للتأقلم مع المغص والإرهاق. لكنها لا ترى أي دلالات على أن التوأمتين ستغيران أي شيء من نظامهما اليومي قريبًا.

جلست على الأريكة، يجتاحها التعب، وتشعر بنفسها تنسحب إلى حالة غير طبيعية؛ لا تستطيع التوقف عن التحديق إلى الرسومات على السجادة، حتى عندما تحرك رأسها، ظلت عيناها ثابتتين عليها. فكرت في إيريكا، وما تفعله الآن. فجأة وقفت ستيفاني، وأسقطت كوب القهوة على الأرض بجوار قدميها، لكنها تجاهلت الأمر وهرعت إلى الباب الأمامي ونظرت إلى الشرفة لترى إن كانت إيريكا موجودة، لكن الشرفة خالية. أغلقت الباب وسارت مجددًا نحو غرفة المعيشة. إيريكا هي العدو، ذكرت نفسها، الثعبان الذي تسلل إلى حياتهم المثالية لتدميرها؛ زوجها لا يلام على ما تتهمه به.

فكرت في تجهيز العربة وأخذ الطفلتين من أجل النزهة الصباحية، لكن ماذا لو أن إيريكاً هناك؟ يقول باتريك إنها خطيرة، ربما مختلة اجتماعياً، باتريك لا يريد أن يتحدث مع إيريكاً مجدداً أبداً. جلست ستيفاني على الأريكة متشنجة، متعبة جداً وخائفة من الخروج من المنزل، بينما تسالت القهوة المنسكبة على الأرض نحو السجادة.

الفصل الثلاثون

انطلقت إيريكّا في رحلتها التي تستغرق ساعة من مطار دينفر حتى كريمور؛ تجولت في المدينة ثم تركتها وراءها، قادتّها طريقها نحو تلال دينفر، كانت رحلة جميلة، لكنها لم تكن تنظر إلى المظاهر من حولها بينما تنفتح الطريق المألوفة أمامها.

وصلت إلى المدينة، وجدت نفسها تأخذ منعطفًا غير متوقع نحو موقع حدوث كل شيء؛ إلى الشارع الذي قطن به باتريك وليندسي. أوقفت سيارتها المؤجرة أمام المنزل المبني من الطوب حيث عاشا في الطابق الثاني. خرجت من السيارة وحدقت إلى النافذة الأمامية للطابق الثاني. كانت هذه غرفة المعيشة الخاصة بهما، ما زالت إيريكّا تذكرها جيدًا؛ أثاث رخيص، مكتظة بالأشياء للطفل الجديد، بعضها جديد وبعضها مستعمل. انعطفت إيريكّا قليلًا ونظرت إلى الزقاق الصغير حيث كانت سيارتهما تقف يومها، حين ماتت ليندسي. من الصعب تخيل الأمر الآن في أغسطس؛ الشارع المغطى بالثلج، حاولت أن تتذكر جيدًا أين كان جسد ليندسي ذلك اليوم، لكن لا يوجد ثلج ولا تستطيع تحديده بدقة، ثم أغلقت عينيها وفجأة استطاعت رؤية كل شيء.

بعد عدة دقائق، عادت إلى السيارة وقادت نحو مكتب شريف المقاطعة؛ في مبنى كبير من الخرسانة والزجاج بعيدًا عن الطريق. أوقفت السيارة في موقف السيارات واستغرقت لحظات لتجهّز نفسها ذهنيًا. أخيرًا، خرجت من السيارة وسارت نحو الباب الرئيسي ودخلت. اقتربت من السيدة في الزي الرسمي في مكتب الاستقبال.

- كيف أساعدك؟

- أرغب في التحدث مع الشريف، من فضلك.

- هل يمكنني أن أسألك بخصوص ماذا؟

- قضية قديمة، لدي معلومات مهمة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

نظرت إليها السيدة للحظات.

- انتظري هنا.

غادرت السيدة مكتبها، ثم عادت سريعًا وأخبرتها: «من هنا، من فضلك».

سارتا خلال ممر لامع، أصدر وقع أقدامهما ضوضاء على الأرض. وصلتا

إلى المكتب، كان الباب مفتوحًا.

- من هنا.

قالت السيدة وتركتها.

وقف رجل طويل وضخم من وراء مكتبه واقترب منها، يبدو في بداية

الأربعينيات.

صافحها الشريف قائلاً: «أنا لورن باستيدو».

- إيريكافوس.

دعاهما للجلوس وجلس خلف مقعده.

- كيف يمكنني مساعدتك؟

- لدي معلومات، حول قضية قتل.

ما إن تحدثت، استمع إليها باهتمام؛ لاحظت وجهه يصبح أكثر جدية، أخيرًا

عندما انتهت من إخباره بكل شيء: العلاقة، الحمل، النظرة التي رأتها على وجه

باتريك، مبلغ التأمين، انتظرت ردة فعله. أخبرته بالقصة جيدًا، وهي واثقة أن

أفعالها ستؤكد له أن ليس لديها أي شأن به، مثل الابتعاد عن باتريك وعرض

الطفل للتبني، والقدوم الآن؛ إنه ضميرها فقط الذي يجعلها تتصرف الآن.

علّق الشريف قائلاً: «هذه ادعاءات خطيرة».

واستغرق في التفكير، يميل إلى الورا في مقعده.

تفحصها للحظات ثم قال: «حدثت هذه القضية قبل أن آتي إلى هنا»،

«دعيني أحضر الملف».

غادر المكتب، وسمعتة يتحدث مع شخص ما في الممر، ثم عاد وجلس، وبعد قليل أحضر شخصٌ ما ملفًا ووضعهُ على مكتبه ثم غادر. راجع المعلومات الشحيحة في الملف بصمت بينما راقبته، تعرف أنه ليس هناك الكثير من المعلومات في الملف.

- يبدو أنهم لم يجروا التحقيقات الكافية.
- قال، مؤكِّدًا على فكرتها، ورفع نظره إليها، مفكرًا.
- دعي الأمر لي.



ما إن غادرت إيريكافوس، نظر الشريف باستيدو إلى الملف مجددًا؛ لاحظ اسم القاضي الشرعي؛ «جورج يانسيك». كان يانسيك القاضي الشرعي للمقاطعة لمدة عشرين عامًا تقريبًا. من الواضح أن يانسيك والشريف السابق «مايكل بيودلي»، اتفقا سريعًا على أن الواقعة كانت حادثًا مروعًا. ظاهريًا يبدو الوضع كذلك دون شك، لكن باستيدو شَعَرَ بالفضول، كما شعر أن المرأة مقنعة؛ تحدثت بوضوح وإقناع، وما قالتها حَمَلَ نبرة من الحقيقة.

لكن هل هناك أي دليل على ما قالتها؟ بدا موت ليندسي كحادثة في ذلك الوقت بكل وضوح. لكن على الجانب الآخر، لو كانت جريمة قتل، فهو قد لاذَّ بالفرار منها. جريمة قتل مثالية، إن كنت ترغب في التخلص من زوجتك وطفلك في أحشائها، فهذه الطريقة الأسهل لفعلها؛ عبقرية في الحقيقة. تناول هاتفه واتصل بجورج يانسيك، عندما أجاب الهاتف، سأله باستيدو:

- هل تمنع إن زرتك؟
- بالطبع لا، متى؟
- الآن، سأكون هناك حاليًا.

أنهى المكالمة، وأحضر الملف، ثم خرج وأحضر شاحنته الملونة بالأبيض والأسود، حيث كتبت كلمة الشريف على الباب، وقاد المسافة القصيرة حتى مكتب القاضي الشرعي. عندما وصل، قابله يانسيك، وذهبا معًا إلى المكتب.

سأله يانسيك ما إن جلسا: «ما الأمر؟».

وضع باستيدو الملف الصغير على مكتب الرجل.

- هذه القضية منذ تسع سنوات ونصف. توفيت امرأة من التسمم بأول أكسيد الكربون داخل سيارة تعمل في شارع دوبونت بينما كان الزوج يجرف الثلج، كانت حاملاً في الشهر الثامن.
اتسعت عينا يانسيك.

- نعم، أذكر الأمر، كان حادثاً مروعاً.

- لدي بعض الأسئلة.

- حسناً، لكنها كانت قضية مباشرة تماماً.

- أخبرني ما تذكره.

اعتدل القاضي الشرعي في جلسته.

- كانت هناك عاصفة ثلجية هائلة غير مسبقة، كان الجميع يجرفون الثلوج، والمحارث تعمل بلا توقف. إن كنت أذكر جيداً، كانا ذاهبين في رحلة، انتظرت الزوجة في السيارة التي كانت تعمل، وغطت في النوم، ثم انتهت القصة. أكد التشريح أن الزوجة توفيت إثر التسمم بأول أكسيد الكربون. قضية واضحة ومباشرة.

- ماذا عن الزوج؟ لم يبدو أن أحداً حَقَّقَ معه جيداً.

احتدت عينا يانسيك ومال إلى الأمام.

- استجوبه الشريف بيدولي وتحدثنا بعد ذلك، اكتشفت، طبقاً لما كان بين أيدينا، أن موتها كان حادثاً.

اعتدل في كرسيه مجدداً وسأل.

- لماذا؟

أخبره باستيدو بالمعلومات الجديدة، وبينما هو يتحدث، رأى حاجبي يانسيك يرتفعان إلى الأعلى.

أخبره القاضي الشرعي: «لم نعرف بشأن أي من هذا من قبل، لماذا لم تقل تلك المرأة أياً من هذا حينها؟».

- قالت إنها خشيت التورط، والآن تريد أن تقوم بالعمل الصحيح بغض النظر عن العواقب. السؤال الآن هو بما أننا علمنا بالأمر، ماذا سنفعل؟

جلس يانسيك في كرسيه، يفكر في القضية، يشعر بعدم الراحة، ما أخبره به الشريف الآن مقلق. لو أن ما قالته تلك السيدة كان حقيقياً، وكانت تقيم

علاقة مع الزوج، وأنه أراد الخلاص من زواجه، وهناك مبلغ تأمين، عليهم إعادة النظر في الموضوع للتأكد.

سيبدو الأمر سيئاً أن يفتح الموضوع مجدداً، كأنه لم يمارس عمله جيداً في المرة الأولى. كان هناك الكثير من الحديث مؤخراً حول أن القضاة الشرعيين في كولورادو مسؤولون منتخبون. كولورادو هي واحدة من الولايات الأمريكية الست عشرة، التي لا تزال تنتخب القضاة الشرعيين، باقي الولايات تختار أطباء شرعيين أكفاء. سيحرك ذلك المياه الراكدة وسيتسبب في المزيد من المراقبة. من وظيفة القاضي الشرعي أن يحقق في الوفيات، ويقرر سبب الوفاة وطريقة الوفاة، هل هي وفاة طبيعية، انتحار، حادث أم اغتيال. سيتذمر الناس ويقولون إنه لم يكن كفوًا لوظيفته. ستثور عليه وسائل الإعلام. يشعر بقليل من الغضب؛ اعتمد على مكتب الشريف للتحقيق في الأمر، كما قام بالتشريح اختصاصي طب شرعي كفاء. لكنه لم يكن لديه تلك المعلومات حينها لمساعدته في التحقيق.

هناك شريف جديد يجلس أمامه، وهو لا يأبه بأخطاء الماضي، لأنه لم يكن موجوداً حينها، يبدو أنه يرغب في إصلاح تلك الأخطاء، ويضع بصمته، يجب على يانسيك أن يخرج من هذا المأزق.

يعلم أن الشريف يمكنه إجراء استجوابه الخاص، لكن القاضي الشرعي يمكنه استدعاء جلسة تحقيق، حتى بعد كل هذه السنوات، يمكنه استدعاء الشاهدة لسماع أقوالها.

قال يانسيك: «ربما يجب أن أدعوهما للاستجواب».

أضاف الشريف: «أعتقد أن هذه فكرة جيدة.. لنسمع ما سيقولانه تحت القسم».

الفصل الحادي والثلاثون

حجزت إيريكاف غرفة في أحد فنادق وسط مدينة دينفر لقضاء الليلة هناك، بعد زيارتها للشريف في كريمور. قادت مجددًا نحو دينفر ودخلت إلى الفندق. هي متعبة بعد يوم طويل من السفر جاء بعد ليلة أطول في العمل، لكن هناك شيئًا أخيرًا عليها أن تفعله قبل أن تعود إلى نيويورك في الصباح. لم يكن الشوق هو ما دفعها إلى الذهاب إلى حديقة واشنطن، واحدة من أفضل المناطق السكنية في دينفر حيث تعيش العائلات الغنية. أوقفت إيريكاف سيارتها أمام منزل جديد جميل من الطوب، هي تعرف هذا المنزل جيدًا رغم أنها لم تدخله قط. عندما كانت تعرض ديفين للتبني، كانت عائلة مانينج تعيش في مكان آخر، ولم يكن باهرًا كهذا المنزل، وفي حي أقل رفاهية. ظلت تراقبهما طيلة هذه السنوات، انتقلا إلى هذا المنزل عندما كان ديفين رضيعًا. كانت الحياة سخية معهما، وإيريكاف سعيدة حيال ذلك.

جلست في سيارتها المستأجرة وانتظرت؛ استأجرت سيارة مكشوفة لسبب. لحسن الحظ، إنه يوم لطيف ولذلك كشفت سقف السيارة. لا يبدو أن هناك أحدًا بالداخل؛ لا توجد سيارات في المدخل، لكنهم اقتربوا من وقت العشاء، وتأمل أن يعود أحد ما قريبًا.

بعد قرابة ساعة، وصلت سيارة «اس يو غي» إلى مدخل السيارات، رأت شيريل مانينج تغادر مقعد السائق بينما قفز ديفين من المقعد بجوارها وركض تجاه الباب الأمامي. لم يُثر الفتى اهتمامها، لم تنظر إليه حتى؛ لا، هي تحديق إلى شيريل، تأمل أن تنظر إليها. تحققت أمنيته؛ نظرت شيريل إلى الجهة المقابلة من الشارع وهي تغلق السيارة، وقفت بلا حراك، حدقت إلى إيريكاف التي تجلس في السيارة المكشوفة، نظرت إليها جيدًا، بينما ناداها

ديفين دون صبر كي تسرع. لوحث إيريكاً تلقائياً تجاه شيريل ثم شغلت محرك السيارة وانطلقت بعيداً.

لا تستطيع شيريل التقاط أنفاسها؛ لا يوجد شك هذه المرة، هذه هي إيريكاً قوس؛ والده ديفين البيولوجية، تجلس خارج منزلهم، تنتظر رؤيتهم.

- ماما.

ناداها ديفين مجدداً، وقد بدا منزعجاً.

- قادمة.

كانت مرتبكة جداً حتى إنها أسقطت مفاتيحها في حقيبة يدها الكبيرة وكان عليها البحث عنها مجدداً وهي تسير تجاه الباب. وجدتتها أخيراً ووضعت المفتاح في الباب، ويدها تهتز.

سألها ابنها، ينظر إليها بفضول: «هل أنت بخير؟».

أجابته وهي تبتسم له: «أنا بخير».

- تبدين في حالة غريبة.

التفتت بعيداً عنه واتجهت نحو المطبخ: «هل نطلب بيتزا اليوم؟ (سألته بسعادة مصطنعة) سيتأخر بابا».

- بالطبع.

اتجه نحو غرفته وتركها وحدها في المطبخ مع أفكارها المضطربة.

انهارت شيريل على أحد كراسي المطبخ، وقلبها يدق بجنون. إذا لم تكن مخطئة، كانت إيريكاً هي من رأتها في الحديقة مؤخراً، بكاميرا حول رقبتها. اعتقد جاري أنها تتخيل الأمر، وهذا من روعها. لماذا؟ لماذا عادت بعد كل هذا الوقت؟

كان الخيار الأول هو أنها ترغب في المال. ستزورهم قريباً كما فعلت سابقاً وستضعهم في موقف حرج وستترك لهم الخيار، بماذا ستخبرهم هذه المرة؟ وماذا سيفعلون؟ لن يحب جاري الأمر، مطلقاً. لكن جدياً، ماذا قد تفعل بهم؟ لقد تخلت عن حقوقها كاملة تجاه ديفين بالفعل.

سريعًا ما فكرت في احتمالات أسوأ. ماذا لو أنها لا ترغب في المال؟ ماذا لو أرادت أن يكون لها دور أكبر في حياة ديفين؟ هذا تبني مفتوح، وإيريكاسقطت كل حقوقها كأم، قالت إنها لا ترغب في أن تظل على اتصال معهم على الإطلاق، ماذا لو أنها غيرت رأيها بشأن العقد؟ تعلم من هم وأين يعيشون، ولم يخبروه بعد بأنه متبنى. ديفين هو كل شيء بالنسبة إليها وبالنسبة إلى جاري. لن يتركوا إيريكاس تعبت بذلك، وقفت شيريل وسكبت لنفسها كوابًا من النبيذ الأبيض.

في وقت متأخر من هذه الليلة، ما إن خلد ديفين إلى النوم وعاد جاري أخيرًا إلى المنزل بعد عشاء عمل أخذته شيريل إلى غرفة التلفاز في القبو وأفرغت ما في جعبتها من مخاوف.

قالت لزوجها: «أنا متأكدة، كانت هي!».

همس لها: «أبقي صوتك منخفضًا».

- لا أعتقد أنه يستطيع سماعنا من هنا.

قال جاري «قلق واضح: «هذا لا ينذر بالخير، أنا لا أثق بها، ولم أثق بها قط».

كان جاري مانينج رجلًا ناجحًا جدًا لأنه ذكي ويعمل بجد، وعلى الصعيد الآخر، يعرف متى يكون شرسًا، لم يرقه الأمر عندما قدمت إيريكاس إلى منزلهم وأخبرتهم بأن يدفعوا لها مئة ألف دولار مقابل الطفل، كان بإمكانهم إخبار الوكالة بما تفعله، لكن حينها لم تكن لتسمح لهم بالحصول على ديفين مطلقًا. لو كان الأمر متعلقًا به هو وحده، كان سيخبرها أن تغرب عن وجهه. أراد الطفل، لكن في نفس الوقت، لا يحب أن يستغله الآخرون. لكنه نظر إلى زوجته وتذكّر كل شيء مرت به حتى هذه اللحظة، سنوات العذاب والتأمل والتمني؛ دون شك كان كل شيء أسوأ بالنسبة إليها مقارنة به؛ لذا استسلم بهذه الطريقة وعرض كتابة شيك للمرأة.

لم يكن ليعترف كم كان قلقًا من أن تنسحب بعد أخذها المال، لم يرقه أنها أجبرته على خرق القانون، لم يكن ليتبقى لهم شيء لو أنها تلاعبت بهم. لكنه فعلها من أجل شيريل، والآن، يا إلهي، ديفين طفل رائع، وهما يحبانها كثيرًا،

لذلك لم يندم على الأمر مطلقاً، ولا لثانية واحدة. ديفين ابنهما، وكان مقدراً له ذلك وسيظل ابنهما. لذا لا يرغب في معرفة ما تنويه هذه المرأة. لا تملك حقاً قانونياً في ابنهما، وهو لا يعتقد أنها تكثرث على الإطلاق به وإلا كانت لتظهر قبل ذلك. حاول إخبار شيريل أنه لا داعي للقلق، إيريكا غير مهتمة بابنها، لكنه قلق للغاية.

الفصل الثاني والثلاثون

عندما عاد باتريك من العمل، وجد ستيفاني تتمشى في غرفة المعيشة، بشعر أشعث، وتبدو في حالة سيئة لم يجدها عليها من قبل.

سأل فجأة وهو يشعر بالإعياء: «هل كانت إيريكا هنا؟».

نظرت إليه وقد اتسعت عيناها.

- لا، لماذا؟

أوضح لها: «تبدين مستاءة».

- بالطبع أنا مستاءة!

سألها: «هل خرجت اليوم؟».

وراح يتطلع إلى المنزل غير المرتب، وكوب القهوة المسكوب على الأرض، والطفلتين الصاخبتيْن اللتين تفوح منهما رائحة الحاجة الضرورية إلى تغيير الحفاضات.

هزت رأسها.

- لا، لا أريد أن أقابلها، لن أخرج مجددًا في حالة كانت في انتظاري في الخارج.

شعر باتريك بقلبه يغوص في جوفه؛ هذا كله خطؤه هو، زوجته في حالة سيئة، ولا تتصرف على طبيعتها، وهو الملام. يبدو أن الهدية التي تركتها إيريكا للطفلتين أمام منزلهما كانت القشة التي قسمت ظهر البعير.

- ستيفاني، عليك أن تهدئي.

سألته وقد ارتفع صوتها: «كيف لي أن أهدأ؟ حبيبتيك السابقة مختلة على الأرجح، وتحاول تدمير حياتنا. لا أستطيع مغادرة المنزل، لأنها قد تكون في انتظاري! أنا سجيئة في منزلي اللعين!».

نظرت إليه بوحشية، لم يرها قط تبدو عليها، هي تفقد صوابها تمامًا.
قال بصوت محطم: «عزيزتي، عليك أن تنامي قليلًا».
وافقته: «نعم، أنا بحاجة إلى النوم، لكن النوم لن يجعل هذا الكابوس يختفي، أليس كذلك؟».
نظر إليها مدهوشًا؛ هو بحاجة إليها إلى جانبه، لن يستطيع أن ينجو بمفرده.

سألته فجأة: «باتريك، لماذا تزوجتني؟».

- ماذا؟ عم تتحدثين؟

كررت سؤالها بعينين دامعتين وصوت حزين.

- لماذا تزوجتني؟

- لأنني أحببتك. أحببتك منذ اللحظة التي رأيتك فيها، تعلمين ذلك! هذا.. هذا فقط.. أنت فقط متعبة جدًا، ستيف، أنت لا تفكرين بمنطقية.

بدأت الطفلتان بالصراخ، داهمتها الجلبة، وعلى غير عاداتها، وضعت ستيفاني يديها بقوة على أذنيها، كأنها لا تحتل الصوت، انهمرت الدموع من عينيها. وقف باتريك مشدوهاً للحظات، تائهاً تمامًا، لا يدري ماذا سيفعل إن لم تستطع التأقلم. لا يستطيع التعامل مع الطفلتين وحده.

اقترب منها، حاول أن يحتضنها بين ذراعيه، لكنها نأت بنفسها عنه وتراجعت إلى الوراء.

- إيريكأ قالت شيئاً ما عندما كانت هنا.

ثم صمتت كأنها تحاول ترتيب ما ستقوله.

- ماذا؟ ماذا قالت؟

- قالت، من فعلها مرة يفعلها ألف مرة.

شعر باتريك بحمم بركانية تستعر بداخله؛ تلك العاهرة، العاهرة المتطفلة الكاذبة، كيف تجرؤ على قول هذا لستيفاني وتجعلها تشك في زوجها؟ ابتلع ريقه، بعد أن كاد يخنق من الغضب.

- ستيفاني، لم أقتل ليندسي عمدًا، يجب أن تتأكدي من ذلك.

حدقت إليه، بدت على وشك الانهيار.

- لا يمكنك أن تصدقي أي شيء تقوله.

- أعلم.

قالت وهي تغوص في الأريكة، وتغطي وجهها بيديها.

في وقت متأخر من تلك الليلة، بينما كانت ستيفاني تسير وهي تحمل إيما الباكية بين ذراعيها، وباتريك يحمل جاكى ويسير في اتجاه مختلف، حريصين على ألا يصطدما ببعضهما بعضًا، فكرت فيما قالاه منذ قليل. سألته مباشرة: لم تزوجتني؟ لكنها لم تمتلك الجرأة الكافية لتسأله: هل تزوجتني من أجل المال؟ لأن هذا هو السر الأكبر في حياتهما، الحقيقة التي لا يريد أي منهما أن يعترف بها. منذ شهرين فقط، أصبحت ستيفاني الوصية الوحيدة على أموال والديها التي تركاها لها بعد موتهما في حادث سيارة عندما كانت مراهقة. تركا كل أموالهما لطفلتهم الوحيدة، وحصلت على المبلغ كاملاً، أكثر من مليوني دولار، عند بلوغها الثلاثين، لها خالصة.

كان هذا السؤال يدور في عقلها، بالإضافة إلى كل شيء يحدث، لقد زرعت إيريكا بذرة الشك في عقلها، والآن نمت تلك البذرة. باتريك حصل على مبلغ التأمين بعد وفاة زوجته الأولى. بالطبع هذا لا يعني أي شيء في حد ذاته، لكن الآن، مقارنةً مع كل ما يحدث... هي متعبة جدًا، وكل شيء يصيبها بالدوار، ترنحت، تشعر أنها سمينة وقذرة وغير جذابة وتثيرها الشكوك عن نفسها. أم لا تستطيع حمل طفلتها على النوم، كأنها أم معيبة. ليست واثقة من أي شيء، اعتقدت أن باتريك يحبها، لكن هل تزوجها للحصول على إرثها؟ لم يكن بينهما اتفاق ما قبل الزواج، اعتقدا أن الفكرة سخيفة، وكانا واقعين في الحب على أي حال، لكن المبلغ كبير.

إن ماتت، طبقًا للوصايا التي كتبتها هي وباتريك بعد الزواج، يحصل باتريك على كل شيء. بالإضافة إلى التأمين، مليون دولار. في مثل هذه الليالي المظلمة، المتوترة اليائسة، تفكر.

مرت بضعة أيام هادئة، وبدأت ستيفاني تأمل أن إيريك قد استسلمت في النهاية. لم تتواصل معهما، بعد أن تركت تلك الهدية غير المرغوب فيها للتوأمتين، ربما سيكون كل شيء على ما يرام.

كانت ستيفاني في المنزل عندما سمعت طرْقاً من شخص على الباب، نظرت من نافذة غرفة المعيشة لترى من الطارق، خشيت أن تكون إيريك، للتو كانت تفكر في أنها قد ترحل وتترك حياتهم، لكنه رجل البريد.

فتحت الباب. أعطاه رسالة مسجلة.

- وقَّعي هنا من فضلك.

وقَّعت ستيفاني وأخذت الرسالة، أغلقت الباب ورأت عنوان المرسل مكتب القاضي الشرعي للمقاطعة، كولورادو. استندت إلى الباب وسقطت على الأرض، شعرت بصدرها يضيق، حاولت التقاط أنفاسها، وأغلقت عينيها، لكن الضيق لا يزول. أخيراً، نظرت إلى الظرف، الذي يرتجف في يدها، الرسالة موجهة إلى باتريك، فتحت الرسالة، لا ترى جيداً، لكنها أجبرت عينيها على التركيز.

ستكون هناك جلسة تحقيق حول وفاة ليندسي كيلجور.

حين عاد من العمل وقرأ الرسالة، صرخ باتريك «اللعة»؛ قرأ الرسالة جيداً، ولعن فور انتهائه، ثم رماها على طاولة المطبخ.

- لا أصدق أنها ستستمر في ذلك!

بدأت الطفلتان بالبكاء، بصوت عالٍ ومستمر، تجاهلهما باتريك.

- هذا... هذا شنيع!

أغلق عينيهِ وتنفَّسَ بعمق؛ شعر بالتعب فجأة، كأنه يحمل عبء الحياة كلها على عاتقيه، لا يستطيع تحمل الوضع أكثر من ذلك.

- عليَّ أن أخبر نايل بشأن هذا، لن أَسْتَطِيع إخفاء أمر جلسة التحقيق عنه، سأضطر إلى التغيب عن العمل، وسينتشر الخبر في الأخبار على الأرجح.

فتح عينيهِ المتعبتين، ووجد وجه زوجته المرعوب، أضاف باتريك بمرارة.

- أتساءل كيف سيشعر عندما يكتشف أي نوع من السيدات تلك التي يطارحها الغرام؟

سألته ستيفاني: «متى ستخبره؟».

مرر باتريك يده بتوتر خلال شعره، وقال: «غداً، في نهاية اليوم».

في اليوم التالي، جلس نايل خلف مكتبه بعد أن رحل الجميع، تجتاحه الصدمة والذهول؛ يخشى مواجهة زوجته، لكن عليه أن يخبرها. كان يعلم أن شيئاً ما يحدث مع باتريك، شيئاً يفوق طفليته اللتين تعانيان المغص؛ كان محقاً، باتريك يتعرض للابتزاز من السيدة التي يقيم معها علاقة. والآن عليه أن يخبر نانسي، سينتشر الخبر في وسائل الإعلام، وسيضرر عملهم، ونانسي لم تقرر بعد بشأن طلاقهما.

لا يعلم باتريك أنه على علاقة بإيريك، وسيحرص نايل على ألا يكتشف باتريك ذلك. ترعبه الأكاذيب التي يقول باتريك إنها تختلقها عنه؛ إيريك مبتزة، ربما كان من حسن حظه أن نانسي اكتشفت مسألة العلاقة قبل أن تحظى إيريك بفرصة طلب المال منه كي تتستر على علاقتهما. كان باتريك وإيريك على معرفة ببعضهما بعضاً كل هذا الوقت وتظاهراً بخلاف ذلك، لم يكن لديه أدنى فكرة.

قاد نايل سيارته إلى المنزل ودلف إلى الداخل، وجد نانسي تنظف المطبخ، التفتت، وللمرة الأولى منذ عدة أيام كانت هناك ابتسامة على وجهها حين رآته.

- ما المشكلة؟

سألته سريعاً.

- يجب أن نتحدث.

أخبرها وجلس بثقل بجوار طاولة المطبخ، انضمت إليه، والرعب في عينيها.

- سمعت أخباراً رهيبة اليوم.

أخبرها بتفاصيل كل شيء؛ جلسة التحقيق المنتظرة، والمرأة التي حاولت ابتزازه، واختلاق الأكاذيب، واتهامه بقتل زوجته الأولى، وموتها الذي كان واضحاً أنه حادث.

همست نانسي وهي ترتجف: «يا إلهي.. بالطبع لم يرتكب أي شيء، فعل الصواب بعدم الإذعان لها».

ثم وضعت يدها على فمها، وقالت: «ستيفاني المسكينة».
أوما نايل.

- تخلق أكاذيبَ مريعة، لكن ماذا لو صدقوها ولم يصدقوه؟

- لن يحدث! بالطبع لن يحدث.

طأطأ رأسه، وجلس مسندًا رأسه إلى يده.

- عزيزتي، هناك أمر ما أنت بحاجة إلى معرفته.

شعر بالدم يهرب من وجهه، يشعر بالدوار، كأنه سيتقيأ. نظرت إليه باهتمام.

- ما الأمر نايل؟ أنت تخيفني.

- المرأة التي تتهمه، هي إيريكا فوس.

حدقت نانسي إلى زوجها، لا تستطيع التفوه بشيء، لا تقدر على استيعاب ما يخبرها به، استغرقت بضع لحظات حتى أدركت ما يقوله. لكن يبدو أنه صادق، لأن نايل يبدو في حالة مريعة.

سألت بغباء: «كيف من الممكن ذلك؟».

أصرَّ نايل: «لا أدري نانسي، لا أدري أي شيء حول كل ذلك! لو كنت أعلم أنها كذلك، لكنت ابتعدت عنها أميالًا!».

تذكرت نانسي حينها مواجهتها مع إيريكا في منزلها، شعرت أن تلك المرأة لا تخاف، مثل آن أودود، لا، هي مختلفة تمامًا. شعرت نانسي بخوف رهيب يجتاحها ويلتهم كل شيء في طريقه. فهمست لزوجها..

- هل تعتقد أنها تعرف؟

يتضاعف خوفها، كما رأت نفس الخوف في عينيه أيضًا؛ تعرف أنه خطرت له نفس الفكرة الرهيبة.

- لا، لا يمكن، كيف لها؟

نفى الأمر، ومع ذلك بدا مذعورًا.

الفصل الثالث والثلاثون

بعد ستة أسابيع.

تنفس جاري وشيريل الصعداء قليلاً، لم يريا إيريكا منذ أن وجدتھا شيريل تجلس في سيارتها المكشوفة أمام منزلهما منذ بضعة أسابيع، ربما لن يرياها مجدداً أبداً، هذا ما يأملان به.

خلال الأسابيع القليلة الأخيرة، لاحظت شيريل بعض التغيرات في ديفين؛ تقلب المزاج، وأتانية غير معتادة منه. يمر الأطفال بمراحل عدة، يعرف الجميع ذلك. لكنها تُبقي عينها عليه.

أخذت الجريدة وقهوتها إلى غرفة المعيشة. ذهب جاري إلى العمل وديفين إلى المدرسة. رأت مقالة في الصفحة الأولى من جريدة أخبار دينفر: جلسة تحقيق اليوم حول وفاة امرأة حامل في سيارة مغطاة بالثلج.

قرأت المقالة باهتمام، تذكرت القصة الأصلية، كانت في أخبار دينفر أيضاً؛ كان الخبر مؤثراً لأن المرأة المتوفاة كانت حاملاً، كان الأمر حزيناً جداً. يفاجئها فتح التحقيق مجدداً، قد لا يكون الأمر حادثاً على الإطلاق. تظن أن أمراً مريعاً حصل؛ عليها أن تتابع أخبار السادسة وتحصل على التفاصيل.

يرتدي باتريك بذلة مناسبة باللون الأزرق السماوي، وقميصاً أبيض وربطة عنق زرقاء رسمية؛ نصحه محاميه بشأن مظهره وبشأن كل شيء آخر. جلس في التاكسي المتوقف أمام المحكمة المحلية في كريمور، كولورادو، يقف صف من المراسلين بالقرب في انتظاره. حان الوقت؛ الهواء منعش اليوم، والجو دائماً ألطف ناحية الجبال في منتصف أكتوبر. وصلا إلى هنا الليلة

الماضية، هو وستيفاني، لأنهما يعتقدان أنها جلسة تحقيق ستستمر ليوم واحد، بينما تمكث الطفلتان في ايلسفورد، مع هانا صديقة ستيفاني. تبدو العودة إلى كريمور مجدداً غريبة.

مرا بأسابيع تشبه الجحيم؛ الإنذار من القاضي الشرعي بجلسة التحقيق، الاجتماع مع المحامي في دينفر، وتساؤلاته حول ستيفاني، وتغلبت الطفلتان على المغص فجأة، الشيء الجيد الوحيد الذي حدث لهما خلال الأسابيع اللعينة المنصرمة. الآن يستطيعان النوم دون جلبة كثيرة في العاشرة مساءً، وينامان حتى السادسة صباحاً. توقف الصراخ والبكاء فجأة دون سابق إنذار تماماً كما أخبرتها الطبيبة. لم يصدقا الأمر، توقعاً أن تستمر تلك المعاناة.

لكنهما لم ينعما بالأمر كما توقعاً، لأن ستيفاني فقدت قدرتها على النوم تماماً، تعاني الأرق الآن، ودون شك، بسببه. تستلقي في سريرها تحديقاً إلى الظلام، أو تسير بلا هدف حول المنزل في منتصف الليل كالليدي ماكبث⁽¹⁾ المعذبة. تبدو منهكة؛ شعرها الذي يصل إلى كتفها أشعث، وبشرتها شاحبة، وعيناها منتفختان. تعجّب المحامي منها، وأكد على أهمية المظهر في وقت كهذا. يجب أن تبدو مرتاحة وواثقة وداعمة لزوجها. وهي لا تبدو أيّاً من هذا، هذا ما فكر فيه وهو ينظر جانبياً إليها. لم يرغب بقدموها، فكر أن الأمر سيكون صعباً عليها، لكن المحامي أصر أن وجودها مهم. وهي أرادت الحضور أيضاً، وأصرت على ذلك.

يتوق باتريك لإنهاء كل شيء، يأمل أن تحكم هيئة المحلفين سريعاً بأن وفاتها كانت حادثة حتى يعودا إلى المنزل ويتركا كل شيء وراءهما. ستحظى ستيفاني بقليل من النوم أخيراً، ستستعيد رباطة شأنها وستتحسن الأمور وتعود لطبيعتها، ولن تمسهم إيريكا بسوء.

جلسا في سيارة الأجرة لوقت طويل، والآن يحوم المراسلون حول السيارة، نظرت ستيفاني إليه بتوتر.

- سيكون كل شيء على ما يرام، ستيفاني. سينتهي كل شيء اليوم. أخبرها، ثم مد يده ودس إحدى شعراتها خلف أذنها وقبل وجنتيها. أومأت له والتفتت لتفكّ حزام الأمان.

(1) الليدي ماكبث زوجة ماكبث من مسرحية شكسبير التراجيدية «ماكبث». (المترجم)

خرجنا من السيارة وبدأ بالسير، تبعهما طاقم عمل من التليفزيون ومراسلون بميكروفونات كبيرة. بالطبع؛ هذه أخبار هائلة في قرية صغيرة وفي دينفر، وفي الولاية بأكملها. تفقد جرائد الأخبار في الصباح في أثناء الإفطار في الفندق: جلسة تحقيق اليوم حول وفاة امرأة حامل في سيارة مغطاة بالثلج.

قرأ المقالة كاملة ثم أعطاها لزوجته، لا يوجد بالمقالة شيء لا يعرفونه بالفعل، لم تذكر أي شيء بشأن إيريك وما قالت، طرح المراسلون أسئلتهم. هل كان حادثًا فعلاً؟

سيد كيلجور هل قتلت زوجتك عمدًا؟

فكر باتريك بمرارة وهو يسير إلى الأمام، ممسكًا بيد ستيفاني: لم يطرحون مثل تلك الأسئلة، هل يتوقعون منه أن يجيب؟

هل تعرف ما هو الدليل الجديد المكتشف؟

هل لديك ما تقوله للدفاع عن نفسك؟

تعثرت ستيفاني مرتين، ومالت إلى يديه لتقف، ساعدها حتى صعدت درجات المبنى ودخلت. بشكل ما، استطاعا الدخول دون أن ينفجر باتريك في أحدهم.

دخلا إلى غرفة حديثة ذات منصة في المقدمة ومنصة للشاهد، وطاولة كبيرة للمحامين؛ من المفترض أن هذا إجراء غير خصامي⁽¹⁾، مجرد تقص للحقائق، لكن باتريك لا يشعر بذلك. أشاح بنظره نحو منصة هيئة المحلفين الفارغة، وارتعد رغماً عنه.

تعقد جلسات التحقيق الجنائية في محكمة مفتوحة، ويسمح للعامة والمراسلين بالحضور. وقد استغلوا الوضع؛ كانت القاعة ممتلئة عن بكرة أبيها. ترغب الصحافة في سماع تفاصيل الفضيحة؛ كيف قُتلَ زوجته وابنته في أحشائها عمدًا. يعتقد باتريك أنهم سيحبون هذا النوع من الأخبار، شعر بالمرارة تزداد بداخله. جلس باتريك في الصف الأول من المقاعد، وستيفاني خائفة بجواره. سيُستدعى الشريف، الذي استجوبه بعد الحادث، والقاضي

(1) إجراء يتبع نظام عدم الخصومة حيث تُفحص وقائع القضية والأدلة والشهادات والتفاصيل الأخرى ذات الصلة بالقضية من قبل القاضي نفسه.

الشرعي كشهود، كما سيُستدعى هو وإيريك. من المتوقع ألا يكون هناك أي مفاجآت؛ نظر إلى ستيفاني وهي تشعر بالتوتر بجواره.

فحص باتريك الغرفة بعينه بتوتر. رأى الشريف مايكل بيودلي فجأة، كاد باتريك ألا يتعرفه لأنه لم يكن يرتدي ملابسه الرسمية؛ يرتدي ملابس عادية الآن، ولم يعد الشريف المقاطعة بعد الآن. أكد «روبرت لانج»، محامي باتريك، أن الشريف السابق سيؤكد على أنهم اتخذوا القرار الصحيح. ثانيًا، لاحظ وصول الشريف الحالي، تعرّفه من ملابسه، جلس في مقعد في الجانب الآخر من قاعة المحكمة. سيحضر الجلسة للاستماع إلى الأدلة. حذره لانج أنه في حالة تراجعت هيئة المحلفين عن قرارها، سيتعين عليه اتخاذ قرار بشأن الاستمرار في التحقيقات أو الدعوى الجنائية.

نظر باتريك إلى الشريف وابتلع ريقه ثم استدار بعيدًا، تفقد بعينه قاعة المحكمة. تعرّف «لورين»، شقيقة ليندسي، تجلس في نهاية القاعة، كأنها لا ترغب في أن يشعر أحدهم بوجودها. ثم وجه آخر تعرّفه، على الرغم من أن الرجل يبدو أكبر عمرًا، إنه القاضي الشرعي جورج يانسيك. كان هناك ذلك اليوم، يميل إلى جثة ليندسي في الثلج، ويفحص السيارة وسط الثلوج، لكن إيريك هي من تقلقه، إنها كلمتها ضد كلمته، أين هي؟

سمع ضوضاء وراءه، فالتفت ووجدتها، ها هي، كأنه استدعاها بشكل ما. ترتدي بذلة عمل باللون الرمادي الفحמי، رفعت شعرها إلى الأعلى ووضعت مقدارًا خفيفًا من مساحيق التجميل. تبدو رسمية؛ شعر برعشة من الخوف تسري في عروقه. يخشى أن تؤدّي بصورة أفضل منه، هذا ما كان يخشاه طوال هذا الوقت، أن يصدقوها ولا يصدقوه هو، شعر بستييفاني تتخشب بجواره بينما تجلس إيريك في الصف الأول في الجهة المقابلة من الغرفة دون النظر إليهما.

اقترب لانج من باتريك ومال عليه.

- هل أنتما بخير؟

نظر سريعًا إلى ستيفاني، كأنه يخشى من طريقة تعاملها مع الوضع.

أومأ باتريك..

- نحن بخير.

- جيد، سنبدأ حالًا.

ابتعد لانج وجلس إلى طاولة المحامين.

بعد لحظات، دخلت هيئة المحلفين بأعضائها الستة، وجلسوا على مقاعدهم بهدوء. راقبهم باتريك بتوتر وهم يدخلون؛ سيحدد هؤلاء الأشخاص الستة مسار حياته، أرعبته الفكرة، لم يفكر أنه قد يكون جباناً أبداً، لكنه خائف الآن. شعر بنفسه يقبض على فكه، أجبر نفسه على الاسترخاء حين دخل القاضي من باب جانبي وجلس على المنصة. أدت هيئة المحلفين اليمين، تمثل القاضي الشرعي محامية اسمها «سوزان سبيلمان»، قرر باتريك أن يمثله محاميه الخاص.

بدأت الجلسة، وافتتح القاضي الجلسة بكلمات افتتاحية. دعت محامية القاضي الشرعي هيئة المحلفين والشاهد الأول. يدرك باتريك أنه عندما يُستدعى الشهود، سيحظى لانج بفرصة طرح الأسئلة المهمة على الشهود ويتحداهم في استجواب مضاد.

الشاهد الأول الذي استدعته محامية القاضي الشرعي هو جورج يانسيك.

الفصل الرابع والثلاثون

سار يانسيك بخفة نحو منصة الشهود، لاحظ باتريك وهو يجلس، أنه متوتر قليلاً وهو يؤدي اليمين؛ وهم لا يرغبون بذلك، لا يريدون أن يكون القاضي الشرعي في موضع دفاع عن النفس. توتر باتريك أيضاً.

ما إن تأكدوا من هويته، سألته المحامية.

- هل حضرت بصفتك القاضي الشرعي للمقاطعة وقت حدوث الجريمة في موقع الحادث ب 712 شارع دوبونت، كريمر، صباح يوم 10 يناير 2009؟

- نعم فعلت.

- أخبرنا بشأن ذلك الصباح، ماذا وجدت هناك؟

قال القاضي الشرعي بصوت منضبط:

- تلقت النجدة اتصالاً هاتفياً في الثامنة وتسع وعشرين دقيقة؛ تم إعلامي أن هناك سيدة قد توفيت، لذا توجهت مباشرة إلى موقع الحادث. عندما وصلت، كانت السيدة خارج السيارة وملقاة على الثلوج.

تنحنح ثم أضاف:

- فحصت اللون الواضح الدال على التسمم بأول أكسيد الكربون وأعلنت موتها في موقع الحادثة.

- هل يمكنك أن تخبرنا ما فعلته حينها؟

- تحدثت مع زوج السيدة، باتريك كيلجور، كان مكروباً بالطبع، سألته ماذا حدث وهو أخبرني أن محرك السيارة كان يعمل وزوجته بالداخل بينما كان يجرف الثلج عنها. انهمرت الثلوج بغزارة لمدة يومين قبل

الحادث. فحصتُ السيارة على الفور، كانت متوقفة في نهاية زقاق صغير ومدفونة تقريباً في الثلوج، وبناءً على ذلك قررت أن السيدة توفيت من التسمم بأول أكسيد الكربون على الأرجح، لكنني طلبت التشريح للتأكد.

- من قام بالتشريح؟
- قمت بطلب إحدى مختصات التشريح لدينا «كارين سولي» وأوكلت لها المهمة.
- هل قمت بعمل تحقيقات إضافية في موت ليندسي كيلجور. تململ يانك في كرسيه.
- كقاضٍ شرعيٍّ مهمتي أن أقوم بالتحقيق في الوفيات، توليت أمر موقع الحادث، أمرت بأخذ الجثة للتشريح، استجوب الشريف في ذلك الوقت، مايك بيودلي، الزوج باتريك كيلجور في مكتب الشريف، بما أنه الشاهد الوحيد. تحدثت معي الشريف بعد ذلك بشأن ذلك الاستجواب.
- كيف كانت نتيجة التشريح؟
- أكد التشريح على أن السيدة توفيت من التسمم بأول أكسيد الكربون.
- وهل كشف استجواب باتريك كيلجور عن أي شكوك حول طريقة موت القتيلة كما قررت أنت والشريف؟
- لا، على الإطلاق.
- وبناءً على ملاحظاتك، وتحقيقاتك والتشريح، إلامَ خلصت؟
- توصلت إلى أن موتها كان حادثاً.
- شكراً لك.
- وقف محامي باتريك وقال: «ليست لديّ أسئلة سيدي القاضي».
- غادر القاضي الشرعي منصة الشهود وعاد إلى مقعده.
- قالت سوزان سبيلمان:
- استدعي مايكل بيودلي لمنصة الشهود.
- قام مايكل بيودلي وتحرك بثقل نحو منصة الشهود، راقبه باتريك من كُتب.

سألته المحامية ما إن أدى القسم: «كنت شريف المقاطعة وقت وفاة ليندسي كيلجور، أليس كذلك؟».

- بلى.

- أخبرنا بما حدث بعد وصول القاضي الشرعي.

- وصل القاضي الشرعي وتولّى أمر موقع الجريمة، كما يتطلب الأمر. ما إن انتهى من ذلك، اصطحبت باتريك كيلجور إلى مكتب الشريف للتحديث معه حول ما حدث.

- وماذا قال؟

- أخبرني، بحضور ضابط التحقيقات في ذلك الوقت «دان أبوت»، أن زوجته دخلت إلى السيارة كي تدفئ نفسها حتى ينتهي من جرف الثلج. وعند استجوابه قال إنه لم يكن على علم بأن أنبوب العادم كان مسدودًا، ولم يدرك عواقب ما حدث.

تنحى الشريف السابق وأضاف طوعًا:

- هذا النوع من الحوادث يحدث كل عام في مكان ما في الولايات المتحدة بعد العواصف الثلجية، أغلب الناس لا يدركون الخطورة.

- هل ساورتك الشكوك أنه قد يكون متعمدًا؟

- لا على الإطلاق.

- هل سألته إن كان لديه تأمين على حياة زوجته؟

- لا.

- شكرًا لك.

وقف لانج مجددًا وسأله.

- لمّ لمّ تسأل باتريك كيلجور عن زواجه أو عن التأمين؟

- كان... كان واضحًا جدًا أنه حادث مأسوي، لم يكن هناك داعٍ لمزيد من الأسئلة.

قال لانج: «لا مزيد من الأسئلة، حضرة القاضي»، وجلس.

حتى الآن يسير كل شيء في مصلحتهم. ليس لدى باتريك ما يخشاه، حتى تقف إيريكّا على منصة الشهود. بدأ يسترخي، لكنه يعرف أن دورها سيحين قريبًا وهذا يجعل الأمر مستحيلًا.

قالت السيدة سبيلمان:

- أريد استدعاء «كين دينجويل».

ما إن أدى الشاهد اليمين سألتها المحامية.

- سيد دينجويل، هل قمت بتوقيع بوليصة تأمين على حياة ليندسي كيلجور؟

- نعم.

- ما هي ملابسات شراء بوليصة التأمين تلك؟

- حضر كلٌّ من باتريك وليندسي كيلجور إلى مكثبي في نوفمبر 2008، وشرحا لي أنهما زوجان جديدان، وكانا في انتظار أن تضع طفلًا، وأرادا الحصول على بوليصة تأمين على حياتهما.

- كم تبلغ قيمة بوصيلة التأمين؟

- مئة ألف دولار لكل منهما، ومئة ألف إضافية حال موت أحدهما في حادث.

سمع باتريك جلبة حول قاعة المحكمة.

الفصل الخامس والثلاثون

سمعت ستيفاني الهمسات وشعرت بالغضب تجاه كل المتواجدين في قاعة المحكمة؛ جميعهم يرغبون في أن يصبح زوجها مذنبا.

سألته السيدة سبيلمان:

- هل كان غريباً أن يطلبوا الحصول على مبلغ إضافي في حالة الموت المفاجئ؟

خبير التأمين كان واضحاً واثقاً.

- لا، على الإطلاق. يموت غالبية اليافعين من الحوادث أكثر مقارنة بالأسباب الطبيعية، لذلك نشجع الحصول على تأمين على الموت المفاجئ.

لم تكن لدى لانج أسئلة إضافية لذا عاد الشاهد إلى مقعده. شعرت ستيفاني بكتفيتها ترتخيان قليلاً؛ يسير كل شيء بصورة جيدة حتى الآن، لكن إيريك لم تقدم إفادتها بعد.

كأن أحدهم قرأ ما يدور برأسها، استدعيت إيريكاً فوس للشهادة. شعرت ستيفاني بقلبها تتسارع نبضاته. راقبت إيريكاً تسير نحو منصة الشهود بثقة ملحوظة، ثم استدارت نحو هيئة المحلفين، ما هو انطباعهم عنها؟ كل شيء يعتمد على أيهما الأقرب للتصديق؛ هذه السيدة أم زوجها؟

سألته السيدة سبيلمان..

- سيدة فوس، هل تعرفين باتريك كيلجور؟

- نعم أعرفه.

- هل لك أن تشرحي لنا طبيعة علاقتك به؟

أومات.

- قابلت باتريك من خلال زوجته ليندسي، كنت صديقة ليندسي، وعلى الرغم من ذلك...

ترددت قبل أن تقول.

- أقمت علاقة مع زوجها باتريك، قبل موتها بأسابيع.

هناك قلق متزايد في الغرفة؛ لهذا السبب هم هنا، فكرت ستيفاني بمرارة؛ هذا القدر تم تسريبه بالفعل، كان هناك ذكر لعلاقة محتملة في الأخبار، وهي أكدتها فقط.

- علاقة حميمة؟

- نعم.

- هل كانت علاقة عابرة أم تدعين أنها علاقة جادة.

بدت إيريك وكأنها تستجمع رباطة جأشها وقالت بوضوح:

- كانت جادة، كنا عاشقين.

سمعت ستيفاني غمغمة في قاعة المحكمة وعدداً من الشهقات. تنظر هيئة المحلفين إلى إيريك باهتمام كبير. نظرت ستيفاني إلى زوجها الجالس بجوارها، يبدو وجهه جامداً ويكز على أسنانه. يحدق إلى إيريك كأنه متقزز منها.

- كم مرة تقابلتما؟

- بدأ الأمر في ليلة عندما اجتمع عددٌ منا لاحتساء الشراب معاً، عادت ليندسي إلى منزلها مبكراً، احتسيت أنا وباتريك الشراب حتى ثملنا وانتهى بنا الأمر في شقتي، في سريري، بعد ذلك كان يأتي لشقتي كلما سنحت لنا الفرصة، لم يكن الوضع سهلاً لأنه كان متزوجاً وليندسي أرادته في المنزل دائماً. كنا نتقابل وقت الغداء خلال الأسبوع، كانت زوجته تصنع له الغداء وهو يأتي إلى شقتي ليطارحني الغرام.

سمعت ستيفاني غمغمة استهجان في أنحاء قاعة المحكمة.

- هل تحدثتما من قبل عن العيش معاً وإخبار زوجته؟

- نعم، أخبرني أنه لم يكن يحبها، ويكره كونه مرتبطًا بها، ولم يرد الطفل في هذه المرحلة من حياته. تشاجرا كثيرًا، أخبرني أنه يريد البقاء معي.

- هل تحدثتما عن وضع خطط حقيقية كي تكونا معًا؟
عضت إيريكا على شفتيها.

- لم نقل الكثير. أخبرني أنه يريد أن يصبح حُرًا منها، لكنني اعتقدت أنه كان يتحدث عن الطلاق وليس القتل.

سمعت شهادات أخرى حول قاعة المحكمة، طرق القاضي بمطرقته، وخيم الصمت على الحضور مجددًا، مدهوشين بشهادتها.

- أخبرينا ماذا حدث في العاشر من يناير 2009.

- تلقيت اتصالًا من جريج ميلير، كان صديق باتريك في العمل، اعتدنا التجمع معًا. اتصل بي وأخبرني أنه هناك حادث، ذهبت إلى هناك بأسرع ما يمكن.

- هل تحدثتِ إلى باتريك؟

- لا، كنت مصدومة، وهو كان في حالة هستيرية، يبكي بحرارة. لكن عندما ابتعد عن أنظار الآخرين، نظر إليّ، كانت هناك نظرة انتصار في عينيه.

- انتصار؟

- نعم، علمت حينها أنه قتلها عمدًا، وسيهرب بفعلته.

توقفت، وبدت مستاءة، ولأول مرة، لم تكن صامدة كعادتها.

- أعتقد أنه توقع أنني سأكون سعيدة.

انطلقت غمغات من الصدمة مرة أخرى في القاعة.

- هل تحدثتِ معه بعد ذلك؟

هزت رأسها.

- ليس حينها، حاول التحدث معي لكنني تجاهلته، ذهبت إلى الجنازة وتجاهلته هناك أيضًا. اعتقدت أنه قتلها عمدًا بسببي وكنت خائفة جدًا من قول أي شيء، خشيت أن تعتقد الشرطة أنني متورطة معه. شعرت

بالذنب، اعتقدت أنه قَتَلَهَا ليكون معي، لم أستطع النظر إليه بعد ذلك، كنت أعرف ما ارتكبه.

توقفت ثم أضافت:

- لكن بعدها عرفت بأمر حملي بابنه.

المزيد من التركيز في الغرفة، حاولت ستيفاني قراءة وجوه المحلفين، لكنها لا تستطيع معرفة ما يفكرون فيه، وهم يركزون على إيريك وعلی كل كلمة وحركة منها. لا تعلم إن كانوا يصدقون قصة إيريك أم لا، لكنها تبدو مبالغاً فيها بشكل لا يصدق.

- ماذا حل بالطفل؟

- عرضته للتبني عند ولادته، لا أعلم أين هو.

- سؤال أخير، هل عرف أحدهم بشأن علاقتكما؟ هل يمكن لأحد أن يؤكد على ما قلته؟

هزت رأسها.

- لم نخبر أي أحد، أنا هنا الآن لأنني لم أعد أتحمل أكثر من ذلك. أدين إلى ليندسي بهذا، بالحقيقة، وأريد أن يعرف الجميع ما فعله لأنني خائفة بشأن زوجته الحالية، خائفة أن يفعلها مجدداً.

هناك شهقة مسموعة في قاعة المحكمة؛ ربما من الرعب أو من عدم التصديق.

- شكراً لك سيدة قوس.

راقبت ستيفاني بقلق لانج وهو يقف من أجل الاستجواب المضاد. سار ببطء نحو منصة الشهود.

- سيدة قوس، تقولين إنك وباتريك كنتما «عاشقين»، هل لديك إثبات على ذلك؟

- حسناً، لا، لم نخبر أي أحد، ولم يَرْنَا أحد، كان علينا أن نُنْقِي الأمر سرّاً.

- صحيح، إذاً هي كلمتك مقابل كلمته، هل لديك أي إثبات عن عدد المرات التي أقمتما فيها علاقة حميمية؟

- كنت حاملاً بطفله.

قالت بتحدٍّ.

- كنتِ حاملاً بطفل، لم نقرر بعد إن كان طفل السيد كيلجور، أليس كذلك؟
- انتظر إجابتها... إلى أن قالت أخيراً..
- بلى، لكنني أعلم أنه ابنه.
- على أي حال، يمكن لعلاقة جنسية واحدة فقط أن تؤدي إلى الحمل. هل لديك أي دليل حقيقي على أنكما مارستما الجنس أكثر من مرة أو اثنتين؟
- لا.
- شيء أخير، أليس صحيحاً أنك في أغسطس الماضي تقربتي من باتريك كيلجور في ايلسفورد وحاولت ابتزازه؟ ألم تهدديه أنه إن لم يدفع لك المال، ستخبرين زوجته أنه كان على علاقة بك خارج إطار الزواج وأنه قتل زوجته الأولى عمداً، وعندما فشلت في ذلك، ألم تهددي بأنك ستطلبين المزيد من التحقيقات في موت ليندسي كيلجور؟
- حبست ستيفاني أنفاسها. نظرت إيريكا إلى المحامي بهدوء تام.
- لا.. على الإطلاق، هل هذا ما أخبرك به؟ في الحقيقة، أنا تقربت منه، لكن لأخبره أنني سأتواصل مع السلطات في كولورادو وأخبرهم بالحقيقة. عندما أخبرته بذلك، أراد إعطائي المال، رفضت قبوله وأخبرته أنه لا يمكنه شرائي.
- شعرت ستيفاني بانقطاع أنفاسها، تريد أن تقفز وتصرخ: «هي كاذبة!»، لكنها تشعر أنها مقيدة في مكانها. نظرت إلى المحامي، لم يتوقع ذلك على الإطلاق، وهو يبذل ما بوسعه للتخلص من الصدمة، توقع منها إنكاراً تاماً.. وكسا الشحوب وجه باتريك.

الفصل السادس والثلاثون

غير قادرٍ على التشكيك في قصة إيريك، قال لانيج إنه لا يملك أسئلة أخرى. دعا القاضي إلى فاصل صغير للغداء وعندما عادوا، كان قد حان دور باتريك للشهادة.

قالت محامية القاضي الشرعي:

- استدعِ باتريك كيلجور.

تشعر ستيفاني بمدى توتره، ضغطت يده لتشجعه وهو يقف، لكنه لم ينظر إليها حتى. سار نحو منصة الشهود وجلس كأنه في انتظار نهايته المحتملة، أو هكذا بدا لستيفاني.

تشعر ستيفاني بالدوار، بالكاد نامت ليلة أمس بسبب الأرق ولأنها غير معتادة على الابتعاد عن التوأمتين، بالإضافة إلى قلقها بشأن ما سيحدث اليوم، ولم تستطع أن تأكل جيدًا على الإفطار. الآن تشعر بالدوار. لقد حنثت إيريكاً بقسمها للتو. حاولت التركيز على ما هو أمامها؛ هذا هو المهم، لكن عقلها يدور، والضيق في صدرها أصبح لا يحتمل.

ما إن أقسم باتريك، أخبرته السيدة سبيلمان:

- أخبرني بما حدث في صباح يوم العاشر من يناير 2009.

كان واثقًا من نفسه بشكل جيد، وكانت ستيفاني سعيدة بذلك.

- كنا ذاهبين إلى جراند جانكشن لزيارة والدتي ليندسي وأختها، ليندسي كانت متحمسة للذهاب، كانت الثلوج تنهمر دون توقف ولم أرد الذهاب، لكنها أصرت. تجادلنا قليلًا في الليلة السابقة لكنني لاحظت كم كان الأمر مهمًا بالنسبة إليها، كانت تمطر ثلجًا منذ ليلة الخميس، وأنا عملت من المنزل يوم الجمعة ولذلك كانت السيارة صبيحة السبت مدفونة

تحت الثلوج تقريبًا. خرجت كي أجرف الثلوج بعيدًا عنها وشغلتها حتى تصبح دافئة. خرجت ليندسي وجلست في السيارة تنتظر، أخبرتها أن تنتظر في المنزل، لكنها كانت متحمسة للذهاب.

- هل لاحظت أن أنبوب العادم كان مسدودًا بالثلوج؟

- لا، لم يخطر ببالي حتى أن أتفقده، لم أكن أعرف أنه قد يتسبب في التسمم بأول أكسيد الكربون حتى. ألوم نفسي على هذا الأمر كل يوم.

سألته سبيلمان:

- هل كنت على علاقة بإيريك فوس قبل وفاة زوجتك؟

تنفس باتريك وقال:

- لم أكن على علاقة بإيريك، أقمنا علاقة حميمية مرتين فقط، مرة في شقتها في تلك الليلة التي كنا مخمورين فيها، والمرة الثانية عندما طلبت مني القدوم إلى شقتها في ساعة الغداء لإصلاح شيء ما، استلقينا في السرير معًا، بعد ذلك أنهيت كل شيء.

- إذا أنت تنفي ما قالته إيريك فوس؟

- أنفي كل شيء تمامًا، كانت مجرد علاقة جنسية، وحدثت مرتين فقط. لم نكن عاشقين، لم تقل إنها تحبني قط، أو إن لديها مشاعر تجاهي. أحببت زوجتي، وشعرت أن إيريك كانت تغريني عمدًا في المراتين، كنت في الثالثة والعشرين من عمري، ولست فخورًا بخيانتني لزوجتي، لذلك وضعت حدًا لهذه العلاقة سريعًا، لم أرد أن أفسد ما بيني وبين ليندسي.

- إذا زواجك كان ناجحًا؟

- نعم، بالطبع.

- لم تتشاجرا؟

- لا، ليس كثيرًا، كنا نتفق جيدًا.

- هل حاولت التحدث مع إيريك بعد وفاة زوجتك؟

- لا، كنت أتحاشاها منذ علاقتنا المرة الثانية في شقتها. حاولت التحدث معها في الجنازة كما حاولت التحدث مع الجميع لأشكرهم على

قدومهم، لكنها أدارت ظهرها لي، كنت مرتاحًا صراحةً، لم أرد أن يكون لها أي شأن معي.

- هل هددتك إيريكّا فوس وطلبت منك المال مقابل صمتها؟

- نعم، أكثر من مرة في أغسطس هذا العام.

- هل دفعت لها المال؟

- لا.

- هل عرضت عليها المال؟

- لا.

- شكرًا لك.

وقف محامي باتريك وقال:

- لا مزيد من الأسئلة سيادة القاضي.

راقبت ستيفاني زوجها يغادر منصة الشهود، قدّم نفسه بصورة جيدة، وكان صادقًا، صادقًا أكثر من إيريكّا، لكنها لا تعلم ما رأي هيئة المحلفين. جلس بجوارها، وشدت على يده وقبضت عليها بشدة. قبض على يدها في المقابل.

- سيادة القاضي، استدعِ الدكتورة كارين سولي.

صعدت سيدة ممثلة إلى منصة الشهود وأقسمت.

- اسمك ووظيفتك من فضلك.

- اسمي هو كارين سولي، اختصاصية طب شرعي بالمقاطعة.

- هل قمتِ بعمل تشريح لجثة ليندسي كيلجور؟

- نعم فعلت.

- ماذا وجدتِ؟

- وجدت أن ليندسي توفيت إثر تسمم حاد بأول أكسيد الكربون، كما

توفي الطفل في الرحم.

- هل هناك شيء آخر ذو صلة بالتشريح؟

- لا، على الإطلاق.

ثم قالت السيدة سبيلمان: «أريد استدعاء الطبيب «جوسيف تشانج»».

- شعرت ستيفاني بدهشة باتريك بجوارها، نظرت إليه لكنه ينظر إلى الأمام، تساءلت من هو هذا الطبيب، لكن لن تنتظر طويلًا لتكتشف.
- هل لك أن تخبرنا بوظيفتك؟
 - أنا طبيب طوارئ في مستشفى «ساينت بريجيد» في دبلن. أعمل هناك منذ اثني عشر عامًا.
 - وخلال عملك هناك، هل حدث ورأيت ليندسي كيلجور في غرفة الطوارئ في مستشفى ساينت بريجيد؟
 - نعم، رأيته ليلة... (صمت ليندسي في ملاحظاته) ليلة الرابع والعشرين من 2008. سقطت من أعلى الدرج وأرادت أن تفحص الطفل. كانت حاملاً في الشهر السادس والنصف في ذلك الوقت.
 - سقطت من أعلى الدرج؟
 - هذا ما قالته.
 - سمعت صوت غمغمة في القاعة بين الحضور.
 - هل فحصتها؟
 - نعم، فحصناها بالأشعة فوق الصوتية ووجدنا أن الطفل بخير، لكنها، ليندسي، كانت لديها كدمة حديثة وكبيرة على ظهرها، وكذلك كدمات مختلفة أسفل رأسها، تحت شعرها، جميعها إصابات معتادة عند السقوط من أعلى الدرج.
 - هل ساورتك الشكوك حول السقوط؟
 - أصرت أنه كان حادثاً، لم يكن هناك سبب للشك في أي شيء، في ذلك الحين.

الفصل السابع والثلاثون

غاصت ستيفاني في مقعدها، حاولت أن تتنفس على الرغم من الألم المتزايد بداخلها الذي ينذر بنوبة هلع محتملة. لا تريد أن يراها أحد وهي تتألم. باتريك يحدق بجمود أمامه، لكنها تشعر بالتوتر في فكها المنقبض. يبدو مشدوهاً. تعرف أنه لا ينبغي لها فعل ذلك، لكنها التفتت لتنظر إلى إيريك؛ بدت إيريك متفاجئة، لم تكن تعلم بشأن ذلك، لاحظت ستيفاني ذلك وهي تشعر بالإعياء.

ماذا سيحدث الآن؟

طرق القاضي بمطرقته كأنه يجيب عن سؤالها وقال:

- استراحة قصيرة، سنكمل بعد عشرين دقيقة.

عاد باتريك وستيفاني سريعاً إلى غرفة خاصة، بصحبة لانج الذي أغلق الباب وراءهم، وجهه أحمر، تحاول ستيفاني أن تعرف ما يعنيه ذلك. أشار إليهم: «اجلسوا».

جلسوا بينما ظل هو واقفاً، ينظر إلى باتريك بتعبير صارم.

- لِمَ لَمْ تخبرني بشأن ذلك سابقاً؟

قال باتريك: «لا تروقني نبذة صوتك»، وبدأ مستعداً للعراك.

أجابه المحامي بحدة: «هناك ما يجب أن تخشاه الآن أكثر من نبذة صوتي».

راقبت ستيفاني زوجها يبلع ريقه، يضيق صدرها أكثر، لا تستطيع التحمل، لكنهما لا يلاحظان ما تعانیه، أصبحت بارعة في إخفاء الأمر.

قال باتريك بعبوس: «غاب عن ذهني».

سأله المحامي بغضب: «هل تتوقع مني أن أصدق ذلك؟».

ظل باتريك صامتاً، رافضاً النظر إلى محاميه.

- أخبرنا بالذي حدث.

- سقطت من أعلى درج المطبخ وتدحرجت حتى الباب الخلفي، كانت متعبة، وأفلتت الدرجة الأولى عندما كانت تأخذ القمامة للخارج.

وضعت ستيفاني يدها على فمها، تشعر بالاختناق يتصاعد إلى حلقها، لم يخبر أيًا منهما بشأن ذلك سابقًا. لماذا كانت ليندسي تأخذ القمامة للخارج؟ لماذا لم يأخذ القمامة من أجلها؟ كانت حاملاً في الشهر السادس والنصف. يُخرج باتريك القمامة لها دائمًا. هل نسي ببساطة أنها سقطت من أعلى الدرج قبل وفاتها بأسابيع بسيطة وكانت في المستشفى؟ ألا يلاحظ كم يبدو هذا سببًا لإدانته؟ فكرت، هل هو يكذب؟

- أين كنت؟

- كنت في المطبخ.

- هل كنتما تتشاجران؟

نظر باتريك إلى محاميه ببرود.

- لا، لم أكن بالقرب منها حتى، سقطت وحدها.

نظرت ستيفاني إلى محامي باتريك، يبدو كئيبيًا، غاص قلبها أكثر. تعلم الآن أنهم في مشكلة كبيرة. تشعر كأنها تحلق في الأعلى، وتنفصل عن جسدها، تعلم أن التعب قد يعيث بوعي الشخص، وتشعر بالسعادة لأنها تشعر بأنها تحلق بعيدًا عما يحدث في هذه الغرفة الكارثية في قاعة المحكمة. تساءلت وسط هذه الحالة الغريبة المنفصلة عن الواقع إن كانا قد تشاجرا، على الرغم من إنكار زوجها، وهل دفع زوجها زوجته من أعلى الدرج؟ تعلم أن محاميه يفكر في نفس الشيء. لم يكن باتريك عنيفًا معها قط. هل كان عنيفًا مع زوجته الأولى؟ هل هذا محتمل؟ امتدت لحظة الصمت لوقت طويل، وكأنهم جميعًا واقفون على حافة الهاوية، ولا يريد أحد منهم أن يأخذ الخطوة الأولى.

أخيرًا، نظر المحامي إلى ساعته وقال:

- سيتوجب عليك شرح ما حدث.

أومأ باتريك.

- وعليك أن تكون مقتنعًا.

عندما استدعيَ باتريك مجدداً للشهادة، وقف وسار عبر المسافة الصغيرة في قاعة المحكمة. يشعر بأن حواسه كلها تعمل بصورة أقوى. ذكّر نفسه بألا يبدوَ غاضباً، عليه ألا يكون غاضباً بشأن تواجهه هنا، ودفاعه عن نفسه ضد هذه الاتهامات بغض النظر عن مدى غضبه. لم يكن ينبغي أن يصل الأمر إلى هذا الحد قط. كل هذا بسبب إيريك، كيف تجرؤ على الكذب بشأن الابتزاز؟ عليه ألا يفكر في إيريك، لأنها تجعله يستشيط غضباً، لن ينظر إليها عندما يصل إلى منصة الشهود، سيستدير وسيجلس قبالة الناس في الغرفة المزدحمة. سينظر فقط تجاه المحامية التي تطرح عليه الأسئلة. سيبقي صوته هادئاً ومستريحاً وسيشرح ما حدث. سيصدقونه، عليهم ذلك، كما صدقوه من قبل. يشعر بذلك؛ شعر قبل قليل أن هيئة المحلفين في قاعة المحكمة كانت في صفه وليست في صف إيريك. لكن تلك المعلومات عن الكدمات أبعدهم عنه، يعرف ذلك. يعرف كيف يبدو الأمر. يشعر محاميه بالقلق، وزوجته كذلك، يشعر أنها بدأت تشك فيه، والأمر يقلقه. هذا الأمر يضايقها، لا يدري من تصدق بعد الآن.

تذكر تلك الليلة، عندما سقطت ليندسي من أعلى الدرج؛ رأى ليندسي تقع من أعلى الدرج، رأى كل شيء بالتصوير البطيء. كان يخشى أن يحقق أحدهم في أمر زيارة المستشفى ويحاول الاستفادة من هذه الحادثة. لكنه لم يعتقد أنهم سيفعلون ذلك.

سألته محامية القاضي الشرعي بصوت رزين:

- هل لك أن تشرح لنا كيف حصلت زوجتك على تلك الكدمات على جسدها؟

شغلت شيريل نشرة الأخبار المسائية في المطبخ بينما كانت تُعدّ العشاء. سمعت المراسلين يتحدثون عن جلسة التحقيق التي حدثت اليوم في كريمور. التفتت إلى الشاشة، شاهدت صوراً لزوجين بشعر داكن، يهرعان إلى داخل المحكمة، يبدو تعرضهما للمضايقة، ثم سيدة شقراء تلحق بهما. تجمد جسد شيريل بأكمله عندما تعرفت إيريكاً قوس. ما الذي تفعله هناك؟

رفعت صوت التليفزيون، وأنصتت إلى تلخيص المراسلين للمحاكمة. سمعت كل شيء، تدعي إيريكاً قوس أنها كانت على علاقة مع باتريك كيلجور،

الذي توفيت زوجته في تلك السيارة، تقول إن كيلجور قتل زوجته عمدًا، وإن لديها طفلًا منه. جمعت شيريل الخيوط؛ هذا الطفل هو ديفين، والأب على الأرجح، قاتل.

انتهى أمر التحقيق المؤلم، ذهبوا إلى مطعم إيطالي قريب لتناول العشاء، اختاروا طاولة بالقرب من مؤخرة المطعم، حتى يحظوا بمزيد من الخصوصية. لقد شرح باتريك سقوط ليندسي من أعلى الدرج تلك الليلة بطريقة هادئة، ومقنعة. بدا لانج مسرورًا بأدائه، حتى إنه ربت على كتفيه عند انتهاء كل شيء.

طلبت ستيفاني كأسًا من النبيذ الأبيض، وما إن وصلت شربت أكثر من نصفها جرعة واحدة لتروي حلقها الجاف. عليهم انتظار الحكم الآن. تتحطم أعصابهم من التوتر جميعًا. تشعر ستيفاني أنها قد استنزفت تمامًا حتى إنها مسرورة للغاية لانتهاء ذلك التحقيق الكارثي. لا تستطيع أن تفكر فيما سيحدث لاحقًا؛ يرغب لانج في مناقشة ما سيحدث، وهي ترغب في الصراخ.

طلبوا الطعام، لكنها لا تقدر على تناول أي شيء. تفكر في إيمان وجاكي، تتوق لحملهما بالقرب منها، لشم رائحتهما، لتشعر ببشرتهما الناعمة بالقرب من وجهها. ترغب بالعودة إلى المنزل. ستعود طائرتهما للمنزل في الصباح الباكر، بغض النظر عن قرار هيئة المحلفين.

تعرف الاحتمالات؛ قد تجد هيئة المحلفين موت ليندسي حادثًا، وهذا ما يأملون فيه حقًا. لكنها تعلم أن الأمر أشبه بالفوز في اليانصيب، إيريكا كانت مقنعة، وكان هناك أمر تلك السقطة المقلقة. إن لم يعلنوا أن موتها كان حادثًا سيبدأ الشريف الحالي بتحقيقاته الخاصة. ربما سيعتقل باتريك على الفور، أدركت وهي ترفع كأس النبيذ الفارغة أنها قد تعود للمنزل وحدها غدًا. هل سيكون هذا شيئًا سيئًا؟

شعرت بضيق مفاجئ في صدرها. لا تصدق أنها تفكر بهذه الطريقة. لكن سقوط ليندسي من أعلى الدرج، وإخفاء باتريك للأمر عنها، قد غير نظرتها للأمور، وضعت كأس النبيذ؛ تريد واحدة أخرى، لكنها ستقاوم. تشعر أنها قد تجاوزت خطأ ما سرًا، وهي تشعر بالذعر من نفسها.

لم يفعلها قطعًا.

ذكرت نفسها أنها تحب باتريك، وهو والد طفلتيها، لكن من الصعب أن تشعر تجاهه بنفس الشعور، كما كانت من قبل، نظرًا إلى كل الضغط الذي تمر به، لا تريد أن تصدق ولو لدقيقة أنه قاتل؛ هذا مستحيل، وغريب جدًا أن تتوقعه. لم تبدُ عليه أي بوادر عنف تجاهها على الإطلاق. ربما سقطت ليندسي حقًا كما قال باتريك، ولم يدفعها خلال شجار، هو لا يفقد أعصابه بسهولة، لم تره هكذا قط. ليس طماعًا ولا أنانيًا ولا متهورًا. هو طيب وصبور وكريم، كل هذا هو خطأ إيريك؛ إيريك كاذبة فاجرة، تقودها رغباتها الأنانية المختلة. منعدمة الضمير، لا تلقي بالًا بمن تجرحهم في طريقها.

ومن المحتمل أن تصدر هيئة المحلفين قرارًا بـ «لم نصل إلى قرار» ما يعني أن الهيئة غير قادرة بناءً على الشهادات على تحديد هل كان موت ليندسي حادثًا أم متعمدًا. لن يلوم أحد هيئة المحلفين، وسيكون القرار للشريف حينها، قد يكمل التحقيقات وقد لا يكملها. على الأرجح سيستمر في التحقيقات. تعتقد ستيفاني أنها غير قادرة على العيش مع هذا التردد أكثر من ذلك دون أن تفقد عقلها. تريد أن تصبح أمًا جيدة لأطفالها؛ هي بحاجة إلى أن يتوقف كل هذا.

صدر صوت رنين هاتف محمول، أخرج لانج هاتفه من جيب سترة بذلته. النظرة على وجهه دليل على أن هذا ما كانوا في انتظاره، تجمدت وهي تنظر إلى وجهه.

- عادت هيئة المحلفين.

تركوا المطعم سريعًا؛ لقد انتهى موعد الوجبة. قادوا المسافة البسيطة حتى المحكمة، جلسوا في مقاعدهم بينما دخلت هيئة المحلفين، سأل القاضي رئيس هيئة المحلفين إن كانوا قد وصلوا إلى قرار.

تشعر ستيفاني أنها سيغشى عليها.

- ما هو قراركم؟

- لم نصل إلى قرار سيدي القاضي.

نظرت ستيفاني إلى باتريك، ورأته يجفل، نظرت إلى لانج، يبدو كئيبيًا.

كان هناك صمت محمّل بالرعب بعد ذلك؛ لم ينتهِ الأمر على الإطلاق، بل قد تكون هذه البداية. حدقت ستيفاني إلى زوجها، شحب وجهه، لاحظت وهي تراقبه أنه توقع شيئاً آخر، توقع أن تتم تبرئته.

قال باتريك أخيراً للمحامي، بصوت مرتجف:

- ماذا سنفعل الآن؟

- الأمر يعود للشريف والمدعي العام، ستعود للمنزل وتنتظر.

الفصل الثامن والثلاثون

جلس الشريف باستيدو في مكتبه ذلك المساء في الظلام، غارقاً في أفكاره؛ ليس مسروراً بالفوضى التي حلت على عاتقه. يعلم أن هذه فرصة، وهذا ما يقلقه؛ هذه التجربة قد ترفع من شأنه أو تحط من قدره، وهو يرغب في أن يبتعد عن المشكلات، هو ثابت ومنهجي وهذا يفي بالأمر. لكنه على دراية بأن هذه القضية ستقلب حياته رأساً على عقب. لكنه لا يستطيع التظاهر بأنه لم يرَ شيئاً. هذا ما فعله الشريف السابق، وأدى إلى هروب باتريك كيلجور بجرime قتل.

راقب جلسة التحقيق باهتمام بالغ، وسجل ملاحظاته. عندما انتهى الأمر، كان في حيرة من أمره كهيئة المحلفين تماماً. هو حريص بطبعه، لكنه على دراية بالضغط الذي يقع على عاتقه كي يفعل شيئاً. عليه أن يتحدث مع المدعي العام في بداية الصباح.

عانى باتريك حتى يستيقظ في الصباح التالي عندما رن منبه هاتفه في الخامسة والنصف صباحاً. لم يستطع النوم حتى الثالثة صباحاً، يشعر بشعور مزٍر، استيقظت ستيفاني بجواره. - هيا، لدينا طائرة.

قالها، وذهب إلى حمام غرفة الفندق. دلف إلى حوض الاستحمام، تاركاً المياه الساخنة تغسل آثار ما حدث. لكن الصفو أسوأ؛ يربعه التفكير فيما سيحدث، حاول أن يتذكر ما قاله المحامي ليلة أمس، لكنه كان مكروباً جداً فلم يستوعب أيّاً مما قاله. بدأ عقله يدور ويفقد توازنه، لو أُلقي القبض عليه،

وتعرض للمحاكمة، لن يستطيع الخروج بكفالة على الأرجح. سيقضي في السجن بضعة شهور، بعيدًا عن زوجته وبناته. في المحاكمة، سيحاولون إثبات قتله لزوجته بما لا يدع مجالًا للشك، لكن هناك الكثير من الشك في هذه القضية. لا يوجد اختلاف على الحقائق؛ ليس عليهم أن يقلقوا بشأن الأدلة الجنائية، يعرفون أن زوجته جلست في السيارة المشغلة والأنبوب كان مسدودًا بالثلج.

أخبره المحامي بصراحة: «لن يستطيعوا إثبات أنك أنت من سدّدت الأنبوب أو أنك تركتها تجلس في السيارة وأنت تعلم أنه مسدود وأنه سيقتلها». الأمر كله متعلق بنواياه، ولا يوجد ما يثبت نواياه مما لا يدع مجالًا للشك. هذا ما قاله لانج الليلة الماضية، محاولًا تهدئته عندما شعر أن حياته الهادئة تنفلت من بين يديه وقد عصفت بها أعاصير الخوف.

أخبره لانج:

- ربما سيقررون التحفظ عليك. لكن ليس لديهم ما يكفي من الأدلة للمحاكمة.

لكن المشكلة في وصمة العار؛ سيعتقد الجميع أنه فعلها، ستتلوث سمعته بهذا الأمر لبقية حياته، لا يوجد سبيل لإثبات أنه لم يفعلها. لا سبيل لذلك، حتى لزوجته. لم يأمل في أن تنتهي الأمور بهذا الشكل، لن تستطيع ستيفاني أن تذهب إلى المنزل الآن وقد تخلصت من الأمر برمته. ستنتظر ما سيحدث تاليًا، لن تحظى بفرصة التعافي من الكارثة.

ونايل، الذي كان داعمًا له عندما سمع بشأن جلسة التحقيق المنتظرة، لم يَرُقْهُ سمعة الأمر، أخبره باتريك أن يتفهم ذلك. أصبح هناك شرخٌ عميقٌ بين الاثنين منذ أن أخبره باتريك بالأمر. يعلم باتريك أن نايل لن يقبل بما هو أقل من تبرئة كاملة، وهو لم يحصل عليها. هل سيرغب نايل الآن في حل الشراكة بينهما؟ كيف ستتعامل ستيفاني مع الموقف؟ يعرف أنها لن تتقبله جيدًا. قد يضطرون إلى العيش الفترة القادمة من أموال ستيفاني. ستكون المصاريف القضائية مكلفة للغاية إن استمروا في هذا الأمر.

عاد إلى غرفة النوم، وجد ستيفاني قد استيقظت وترتدي ملابسها، لا تتحدث، لم تقل له أي شيء منذ انتهاء التحقيق. يريد أن يعرف ما يدور في ذهنها.

- ستيف؟

- نعم؟

أجابته، وهي ما زالت تدير ظهرها إليه وهي ترتدي قميصًا، لم تنظر إليه حتى.

- ستيفاني، انظري إليّ.

التفتت ببطء، تقف على الجانب الآخر من السرير غير المرتب.

- ستكون الأمور على خير حال، لم أفعلها، لن يستطيعوا إثبات ذلك.

أومأت. سار إلى الجهة المقابلة من السرير واحتضنها.

- ستيف، أنا أحبك، تعرفين ذلك، أليس كذلك؟

نظرت له للأعلى، كانت هناك دموع في عينيها، انسلت دمعة على وجنتها، فمسحها بلطف.

- سنتخطى هذا، أعرف أننا قادرون على ذلك.

التفتت بعيدًا.

قال نايل: «غير معقول، اللعنة لا أصدق ذلك».

لا تصدق. نانسي الأمر أيضًا. استيقظ كلاهما في الصباح الباكر وقرأ الأخبار على الإنترنت؛ كل شيء استطاعا معرفته عن التحقيق في كولورادو.

نظرت نانسي بعيدًا عن الحاسوب المحمول على طاولة المطبخ وقالت: «عليك أن تأكل شيئًا».

هز رأسه، بدا الاستياء واضحًا عليه بينما أراح ظهره على طاولة المطبخ. دفعت كرسيها إلى مكانه وتوجهت نحو ماكينة القهوة، وسكبت له كوبًا من القهوة وناولته إياه. التفت إليها غير مصدق وقال:

- أعني... لا بد أنه كان حادثًا، لن يقتل باتريك زوجته!

لم يكن الحكم كما توقعوه.

- هي تكذب.

وافقته نانسي. لكن المعلومات التي كشف عنها التحقيق كانت صادمة. تساءلت كيف تتعامل ستيفاني مع كل هذا، شعرت بشفقة مريضة تجاهها. لكن أكثر ما تشعر به هو الفزع.

قالت بمرارة: «اختار السيدة الخطأ ليقيم معها علاقة.. وكذلك أنت».

أغلق نايل عينيه وقال: «نانسي، لا تبدئي بهذا».

أخذت نفساً عميقاً، هو محق؛ عليهما التكاتف معاً، لا ينبغي لهما التشاجر فيما بينهما، ليس الآن.

أخبرته بهدوء أكبر:

- عليك أن تقطع علاقتك بباتريك.

اتسعت عيناه.

- نانسي، ربما علينا الانتظار لنرى ما سيحدث، لم يعتقلوه.

- لم يعتقلوه بعد.. عليك أن تقطع علاقتك به. والأهم من ذلك، علينا أن نبتعد عن إيريك، ما دامت تقف بجوار باتريك، وهو يعمل معك، ستظل تحت ناظريها.

أضافت بقلق.

- تستمر في مهاافتك، يبدو الأمر كالتحرش.

أوماً لها وبدا مضطرباً. يعلم أنها محقة، فهو قلق من إيريكاً مثلها تماماً.

قال بغضب: «يثقل قلبي أن أتخلى عن صديقي وقت الضيق».

- لا تملك الخيار، يمكنك إنهاء الشراكة وإحضار شخص آخر، لكن كن لطيفاً معه، أنا واثقة أنه سيتفهم الوضع.

في دينفر، جابت شيريل المطبخ جيئةً وذهاباً وهي تعبت بيديها بينما يحدق جاري إلى الأرض. جريدة الأخبار مفتوحة على منضدة المطبخ، يجلسان بمفردهما بينما ذهب ديفين مبكراً إلى المدرسة من أجل تدريب كرة القدم.

قال جاري قاطعاً حبل الصمت:

- بالطبع هي تكذب بشأن الابتزاز.

- فعلت هذا بنا، بلا شك ستفعل هذا به.

سألته شيريل بحرص: «هل خبرهم؟».

- لا نستطيع.

دفنت شيريل وجهها بين كفيها وشرعت في البكاء.

- لا أصدق أن هذا يحدث معنا.

بكت، سمعت صوت حركة الكرسي ثم شعرت بذراعي زوجها حولها وهو يحتضنها بقوة. بعد أن بكت ريثما تشاء، ابتعدت عنه، وقالت:

- يا لها من امرأة! قد تكون كذبت بشأن كل شيء في التحقيق. هي أم

ديفين، لكنها قد تكون مختلة اجتماعيًا. ماذا لو أن هذه الأمور وراثية؟

تشعر أنها تفقد صوابها؛ طفلها المثالي. نظر جاري إليها، تعرف أنه مضطرب بهذا الشأن أيضًا.

- ماذا لو أنه قتل زوجته الحامل عمدًا؟ لن يكون طبيعيًا هو أيضًا... وهو

والد ديفين البيولوجي. لا أستطيع تحمل هذا الأمر، لا أستطيع!

نظر جاري في عينيها مباشرة وقال:

- استمعي إليّ، ديفين ولد رائع، مَنَحْنَاهُ نشأة رائعة. سيكون بخير،

أنت أم جيدة وهو سيصبح عظيمًا، تعرفين ذلك. من فضلك لا تقلقي،

سنكون بجواره دائمًا.

توجه الشريف باستيدو إلى مكتب المدعي العام. تحدث سريعًا مع القاضي الشرعي يانسيك عبر الهاتف، هذا الصباح، وتناقشا حول القرار، وما يعنيه.

- يا لها من فوضى.

قال يانسيك الذي لم يكن مسرورًا.

- كيف لم يلحظ مايك هذا الأمر؟ هذا يضعنا جميعًا في موقف صعب.

تذكر باستيدو كم بدا الشريف السابق خائفًا البارحة في المحكمة، لكنه لم يبدُ متأسفًا جدًّا. يعرف أن يانسيك في موقف دفاع عن النفس، لكن باستيدو لا يواجه نفس الموقف، لم يكن هو الشريف حينها. لكنه يعرف ما يرمي إليه

يانسيك؛ هناك ما يكفي من الضغط على مكتب القاضي الشرعي وهو ليس بحاجة إلى هذا الوضع الفوضوي أيضًا. هو محق، هذه فوضى تامة.

- السؤال هو: ماذا سنفعل الآن؟

سأله باستيدو، وقد بات ليلته يفكر في الأمر.

- سأقابل المدعي العام هذا الصباح.

- ماذا ستفعل برأيك؟

- لا أدري، لكنني سأطلعك على ما ستقوله.

وصل الشريف إلى مكتب المدعي العام، رأى اسمها على الباب، «أورورا ليديا دومينجيز». لا يوجد الكثير من الجرائم في هذا المجتمع القروي، لذا ستنظر في الأمر بعناية. كما ستأخذ منصبها في الاعتبار. يعتقد باستيدو أنه أمر مثير للسخرية كيف يهتم الكل بمنصبه فوق أي اعتبار آخر.

عندما طرق الباب، قالت دومينجيز: «تفضل».

امرأة في نهاية عقدها الثالث، تربط شعرها المهندم كذيل حصان. ترتدي بذلة جيدة، وحذاءً لطيفًا. لاحظ وجود زوجين من الأحذية بكعب عالٍ في إحدى زوايا المكتب. تبدو أذكى من أن ترتدي ذلك طيلة النهار. يثق بأنها ستتخذ القرار الصحيح. هو لا يعلم ما هو القرار الصحيح، لكنه يأمل أنها تعرف.

- أغلق الباب.

الفصل التاسع والثلاثون

كانت رحلة العودة إلى المنزل كالكابوس؛ عانت ستيفاني رؤية أشخاص يختلسون النظر إليها ثم يحدقون مجددًا عندما يتعرفونها. انتشرت القصة في صحف الأخبار هذا الصباح مرفقة بصورة، كما عرضت شاشات التلفزيون لقطات لهم وهم يدخلون ويخرجون من قاعة المحكمة؛ على الرغم من أنها رفعت شعرها وارتدت نظارات شمس، تعرف المارة عليهما لأن باتريك يبدو كما هو.

عندما وصلا إلى منزلهما أخيرًا؛ أوقفا السيارة في مدخل السيارات. جُلّ ما تريده ستيفاني هو أن تترك كل أشيائهما وتهرع إلى الجهة المقابلة من الشارع لتحضر الطفلتين من منزل هانا. لا تريد أن تنتظر باتريك حتى يأتي معها، لا تريده معها.

- هل لك أن تجهز الأشياء هنا؟ سأحضر الطفلتين، هما بحاجة إلى الإطعام.

وهكذا سارت عبر الشارع، يكاد قلبها ينخلع من القلق؛ كيف تمكنت الطفلتان من المكوث دونها؟ تشعر بالسوء لتركهما. لكنها تركت عدة زجاجات من حليبها مع هانا. هي تأمن على الطفلتين مع هانا أكثر من أي شخص آخر. لكنها تهرع نحو منزل هانا الآن، تتوق لرؤية طفليتها. كيف ستصرف هانا؟ لم يصدر الحكم كما توقعته ستيفاني.

منذ عدة أسابيع، أخبرت ستيفاني هانا بشأن الاستجواب. كانت قد ذهبت لزيارة هانا مع الطفلتين، وضعت الطفلتين في منطقة اللعب المخصصة مع تيدي الصغير في غرفة المعيشة. لم تذكر ستيفاني أي شيء بخصوص هذا الأمر سابقًا لهانا، لكن ميعاد الاستجواب يقترب، وهي تدرك أن عليها إخبار

هانا بالحقيقة، فهي بحاجة إليها كي تعتني بالطفلتين الليلتين. سينتشر الخبر في الأخبار وستكتشف كل شيء في القريب العاجل.

رؤية التعبيرات التي طرأت على وجه هانا وهي تستمع إلى القصة، من عدم التصديق لعدم الارتياح، زادت من حدة الكرب الذي تمر به ستيفاني، الذي كانت تمر به على مدار الأسابيع القليلة الماضية. تعلم أن باتريك حَظِيَ بمناقشة صعبة مماثلة مع نايل؛ أخبرها أن نايل تعاملَ جيدًا مع الأمر، لم تصدقه تمامًا. لكن هانا تدعمها بشكل لا يصدق؛ هي تعتبر هانا الآن الكتف الوحيدة التي تستطيع الاتكاء عليها. تتمنى ستيفاني لو أن لديها عائلة، لو كان أبواها ما زالوا على قيد الحياة، لو أن لديها إخوة. تشعر بوحدة مقبلة في هذا العالم. الشخص الوحيد الذي تعتمد عليه في هذا العالم هو باتريك.

فتحت هانا الباب بوجه عابس ومتعاطف، وعلى الفور، احتضنت ستيفاني بين ذراعيها. شعرت ستيفاني بنفسها تغوص في أحضان هانا المريحة. ابتعدت السيدتان عن بعضهما دون التحدث عن الحكم، الذي عرفته هانا من الأخبار بالطبع. سألتها ستيفاني، مقطوعة الأنفاس:

- أين هما؟

تراجعت هانا إلى الوراء، ورأت ستيفاني التوأمتين في غرفة المعيشة، خلعت حذاءها وهرعت تجاههما. سقطت على الأرض المفروشة، وضمت الطفلتين لصدرها، تشم رائحتهما، وتشعر بجسديهما بالقرب منها، حاولت ألا تبكي لكن الدموع انهمرت رغماً عنها. اللعنة على كل شيء؛ هل هناك أم لا تبكي عند رؤية أطفالها بعد يوم كامل وليلتين دونهم؟ احتضنتهما؛ تدرك أنها قد تفعل أي شيء من أجلهما، فهُما تمثلان لها العالم بأكمله. نظرت إلى هانا وهي تدخل إلى غرفة المعيشة، وتبتسم لها.

- كانتا رائعتين؛ أكلتا جيدًا، ونامتا جيدًا، لكن من الواضح أنهما سعيدتان بعودتك.

نظرت ستيفاني إلى طفليتيها المبتسمتين، اللتين تغمغمان، وتحبوان تجاه صدرها، هي بحاجة إلى أخذهما إلى المنزل.

- سأجهز أمتعتهما.

أخبرتها هانا وهي تجمع الألعاب والأغذية داخل حقيبة الأطفال.

- شكرًا جزيلاً لك هانا، لا أدري كيف سأرد لك...

- من فضلك، لا تقلقي بشأن هذا، هذا من دواعي سروري.
- أعرف، لكن إن رغبت في أي وقت في ترك تيدي معنا، سنكون في غاية السعادة.

لاحظت ستيفاني شيئاً عابراً يطرأ على وجه هانا لكنه اختفى سريعاً، ثم أدركت أن هانا لن تترك تيدي الصغير معهم أبداً، لأن باتريك قتل زوجته على الأرجح. الرعشة التي شعرت بها ستيفاني صاحبها طيلة عودتها إلى المنزل واستقرت في قلبها، حيث سكنت هناك إلى الأبد.

انتظر الشريف باستيدو المدعي العام لتجلس خلف مكتبها ثم عدل من جلسته في الكرسي قبالتها.

قالت دومينجيز: «يا لها من فوضى.. قضية كلاسيكية؛ هو يقول وهي تقول، من منهم يقول الحقيقة؟!».

رد باستيدو: «هناك طريقة أخرى للنظر إلى القضية، هي من منهم الكاذب»، ولاحظ حاجبها يرتفعان إلى أعلى، فعقب: «بالطبع أحدهما يكذب.. يجب أن أstdعيه للاستجواب».

أومات بعد تفكير، ووافقته قائلة: «نعم عليك ذلك، استدعه».

ثم عبست وأكملت: «لكن لا أريد البدء في شيء لن أستطيع الفوز به».

مالت إلى الأمام على مكتبها وتابعت: «زوجته كانت تجلس في السيارة المشغلة وأنبوب العادم كان مسدوداً بالثلج، هل كان يعلم؟ هل فعلها عمدًا؟ من المستحيل إثبات النية لإدانته بالقتل، إلا إذا كان قد أخبر شخصاً ما بما يخطط له وأنا واثقة أنه لم يفعل».

- ربما علينا أن نركز على تهمة أقل؟

- هزت رأسها نافية..

- لا، إما أنه فعلها عمدًا وهو على دراية بما سيفعله، وإما لم يفعلها. لو لم يفعلها فهو حادث، لا نستطيع أن نلجأ لهذه الطريقة ونعامله بشكل مختلف إلا إن كان قد فعلها عمدًا.

أوما الشريف.

- سأستدعيه إلى هنا وسأطلب منه إجراء اختبار كشف الكذب. أوامات.
- حاول أن تضغط عليه، ربما تستطيع أن تجعله مهتمًا في التفاوض.

- يدرك باتريك أن نايل لا يتوقع منه الذهاب إلى العمل اليوم، لكنه يريد الانتهاء من هذا الأمر. عليه أن يشرح ملابسات القرار غير المتوقع. وكانت ستيفاني تحمل التوأمتين بين ذراعيها.
- لم لا ترتاحين قليلًا؟ تبدين مرهقة.
- أخبرها بلطف. فأوامات دون انتباه. قبل رأسها ثم سألتها:
- هل ستكونين بخير إن ذهبت قليلًا؟
- سألته وهي تنظر إليه: «إلى أين؟».
- المكتب.
- فجأة، أصبح الجو في الغرفة متوترًا أكثر مما كان عليه منذ قليل. فيما بينهما، كانا يعتقدان أن الحكم الوحيد المقبول هو أنه كان حادثًا.
- كيف سيكون ردة فعله برأيك؟
- سألته.
- لا أدري، لا أظن أن أيًا منا توقع ذلك، ولم نتحدث بشأنه.
- التفت ليغادر الغرفة.
- لن أتأخر.

- جابت ستيفاني الغرفة جيئة وذهابًا وهي تتخيل ما سيحدث في المكتب، سيرغب نايل في طرد باتريك. أي شخص سيرغب في ذلك، لا يمكن أن يكون لديك شريك عمل مشتبه به في قضية قتل.
- سمعت صوت سيارة باتريك تدخل مدخل السيارات، توقفت بلا حراك في غرفة المعيشة، تنتظره يدخل إلى المنزل. دخل وألقى بمفاتيحه على الطاولة بجوار الباب واستدار لينظر إليها. أدركت من نظراته أن النبأ غير سار.

- ماذا حدث؟
- سيحل الشراكة.
- هل يستطيع فعل ذلك؟
- بالطبع يمكنه، طبقاً للشروط والأحكام في عقد الشراكة، سيشتري نصيبي.
- شعرت بثورة من الغضب؛ إن كان الصديق هكذا، ماذا تنتظر من العدو؟

جلست إيريك في شقتها تحتسي كوباً من القهوة. «لم يصلوا إلى قرار». لقد أصبحت الكرة في ملعب الشريف الآن؛ عليه أن يفعل شيئاً ما بعد سماع الأدلة. لا بد أن باتريك مرعوب؛ فكرت للحظة في زوجته ستيفاني، بدت في حالة مريضة في جلسة التحقيق. فقدت الكثير من الوزن لكن ليس بدرجة كبيرة. كان وجهها فارغاً، فكَرَّت إيريك أنه لا بد وأن ستيفاني تمر بوقت عصيب. تذكر نفسها أن هذه ليست مشكلتها، وأنها تسدي معروفًا لستيفاني؛ عليها أن تعلم حقيقة زوجها. تأمل أن يلقوا القبض عليه.

تذكر نفسها بأن كل نقمة تحمل في طياتها نعمة، هذا هو الوضع دائماً دون استثناء.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الأربعون

مر اليوم الأول بعد عودة ستيفاني ضبابياً ومتعباً؛ الاهتمام بالطفلتين والقلق بشأن المستقبل. خيم الظلام والمطر، وبدأ الناس يجهزون حدائقهم لعيد الهالوين. لم تنفك ستيفاني عن التفكير في الكدمات على جسد ليندسي. هل دفعها باتريك من أعلى الدرج؟ هل فعلها؟ يبدو متوترًا، ترى شروخًا في القناع المزيف الذي يرتديه طوال الوقت، ما يجعلها تفكر. استنشاق غضبًا في وجهها ذلك اليوم لأنها تركت المنزل دون لبن. انفجرت غاضبة هي الأخرى.

في وقت متأخر من تلك الليلة وهي تحديق إلى الظلام، تساءلت كيف كان الوضع بالنسبة إلى ليندسي؛ أن تتزوج في هذه السن المبكرة، أن تصبح حاملًا، وتمكث وحيدة تمامًا طيلة اليوم بعيدة عن أهلها. لم يمتلكا الكثير من المال؛ عندما يدخل الفقر من النافذة يهرب الحب من الباب. هل عرفت بخيانتها لها؟ هل ساورتها الشكوك؟ هل واجهته؟ على الأرجح واجهته ولم يرقه الأمر، ولذلك دفعها من أعلى الدرج... لا، لا ينبغي لها التفكير بهذه الطريقة، لا يمكن! الغضب هو ما يدفعها إلى التفكير بهذه الطريقة، الغضب تجاهه وتجاه كل شيء. الغضب من خيانتها لزوجته، وكيف جلب كل هذا على نفسه، وعليها وعلى ابنتيهما الجميلتين. قد يخسران كل شيء لأنه أقام علاقة حميمية مع امرأة مثيرة لبضع مرات بينما لم يكن ينبغي له فعل ذلك. لكن النصيب الأكبر من غضبها انصبَّ على إيريك التي طارحت زوج صديقتها المقربة الغرام، ولفقت تلك القصة المجنونة عن جريمة القتل، ولأنها كذبت بشأن الابتزاز على منصة الشهود.

تحاول ألا تلوم باتريك على ما فعله، لكن خيانتها لزوجته مع صديقتها المقربة ذنب لا يغتفر، فلم غفرته له؟ هل غفرت له ما حدث فعلاً؟

لم تقرر بعد، ما زالت تدور في حلقات مفرغة. لم يقدم على خيانتها هي على حد علمها، هل تهجره على أي حال بسبب ما فعله؟ لأن من يخُن مرة يخُن ألف مرة. حتى وإن أغلقت القضية، وانتهى كل شيء، سينظر إليها الناس لبقية حياتها على أنها متزوجة من قاتل وهذا في أفضل الحالات طبعًا. تذكرت التعبير الذي طفا على وجه هانا عندما عرضت عليها أخذ تيدي.

إذا تركته الآن، ستبدو أنها لا تصدقه ومقتنعة بكونه قاتلاً، لا تقدر على فعل ذلك به. كما أن لديها الطفلتين لتفكر فيهما، فهو والدهما. لا تريد لهما أن تكبرا وهما تعتقدان أن أمهما تصدق بأن والدهما قتل زوجته الأولى، خاصة وأن ذلك كله كذب.

في اليوم التالي، ذهب باتريك إلى متجر البقالة لشراء بعض الأشياء. رن الهاتف، وأجابت ستيفاني على مضمض.

- مرحبًا.

- هل يمكنني التحدث مع باتريك كيلجور؟

سألها رجل ما. تشنج جسدها بأكمله على الفور؛ الصوت الذي يهاتفها يبدو جادًا وذا سلطة.

- هو ليس بالمنزل، هل يمكنني أن أعرف من المتصل؟

تتسارع نبضات قلبها.

- معك الشريف باستيدو من مكتب عمدة المقاطعة. هل لك أن تخبريه

بأن يتصل بي حالما يصل من فضلك؟

أعطاهما رقمه، ودونته، ترتجف يدها، وعقلها في حالة هلع. أنهت المكالمة وسارت نحو غرفة المعيشة حيث انهارت فوق الأريكة. هذا يحدث بالفعل، سيلقون القبض عليه. تشعر بالدوار يجتاحها. دفنت وجهها بين ركبتيهما ثم غاب كل شيء.

بعد عدة دقائق، سمعت باتريك يعود للمنزل، لا بد أنه لاحظها وهي مائلة إلى الأمام كمن أغشى عليها، لكنها لا تستطيع رفع رأسها.

- ستيفاني، ما المشكلة؟

صرخ باتريك، وجثا على ركبتيه أمامها، بدا صوته قلقًا: «هل أنت بخير؟».

لكنها لا تستطيع التقاط أنفاسها، تشعر بحمل يجثم على صدرها ونقط سوداء تدور أمام عينيها.

- تنفسي.

مرت تلك اللحظة العصبية، واختفت النقاط السوداء، وأصبحت قادرة على رفع رأسها والنظر إليه. أبعد خصلة من شعرها عن وجهها. وسألها بنبرة قلقة:

- ما المشكلة؟ ماذا حدث؟

قالت: «جاءك اتصال، من شريف المقاطعة»، ولاحظت الخوف يجتاح وجهه، كلاهما مرعوب. «يريدك أن تعاود الاتصال به. ترك لي رقم هاتفه».

نهض باتريك سريعًا ونظر إليها بعينين هلعتين.

- ماذا يريد؟

نظرت إليه، مذعورة.

- لم يخبرني، هو يريدك أن تعاود الاتصال به فقط.

بدأ يجوب الغرفة.

- اللعنة، اللعنة.

لن يتجاوزا هذا الأمر مطلقًا. هذا ما فكرت فيه ستيفاني، وقد بدأت تهلع. سيلقون القبض عليه. سيزج به في السجن، سيحاكم، لا تظن أنها قد تتحمل المحاكمة؛ جلسة التحقيق كانت أكثر مما يمكنها تحمله.

قال باتريك: «سأتصل بلانج وأسأله عما يتوجب عليّ فعله».

أومأت وهو يخرج هاتفه ويجري الاتصال. راقبت ستيفاني باتريك وهو يتحدث مع المحامي، كانت مكالمة قصيرة.

سألته بتوتر: «ماذا قال؟».

أجابها بسخرية: «طلب مني أن أهدأ.. من السهل عليه أن يقول ذلك، يريدني أن أعرف ما يريدونه وأتصل به».

جاء باتريك الغرفة لعدة مرات، لا يستطيع مهاطفة الشريف من شدة الاهتياج. راقبته يذهب إلى المطبخ، وسمعته يسكب لنفسه كأسًا من الشراب، عاد إلى غرفة المعيشة ويده كأس الشراب، واحتساها على مرتين، انتظر للحظة طويلة قبل أن يتحدث ثانية.

- أين الرقم؟

أحضرت له الورقة التي دونت عليها الرقم، ابتلع ريقه ثم هاتفه، تستطيع أن تستمع إلى جانب واحد من المحادثة، لكنها قادرة على فهم ما يحدث.

- ما الذي يعنيه ذلك بالضبط، هل ستلقون القبض عليّ؟

سأله باتريك؛ وراقبت هي وجهه وقد هرب الدم منه.

- حسنًا، بالطبع.

أنهى المكالمة، والتفت لها ببطء.

- يريدونني أن أجري اختبار كشف الكذب.

وقف باتريك ثابتًا بلا حراك؛ هاتفه لا يزال في يده. يشعر بالعرق يتجمع عند منبت شعره. بحركة لا إرادية، مدّ يده ليحل ربطة عنقه لكنه يرتدي قميصًا، لم يعد يرتدي ملابس العمل بعد الآن، ثم أسقط يده.

نظرت زوجته إليه، وسألته بحرص: «لا بأس في ذلك، أليس كذلك؟ لن يلقوا القبض عليك، سيجرون اختبار كشف الكذب وستنجح. ربما سيسقطون الأمر برمته، وسيدعوننا وشأننا، سيدركون أنك لم تفعلها!».

التفت نحوها، وقال بنبرة متوترة: «الأمر ليس بهذه السهولة، ستيفاني».

تداعت ستيفاني، شحب وجهها.

- ماذا تقصد؟

أطبق الصمت المشحون عليهما للحظات.

- لا يمكن الاعتماد على تلك الاختبارات، كما لا يعتد بها في المحاكم.

- إذًا لماذا يجرونها؟

نظر إليها، والغضب يشتعل بداخله، هؤلاء الملاحين؛ حاول أن يحافظ على هدوئه.

- سأخبرك لماذا، لأن الشرطة تستطيع التلاعب بالنتائج، يستطيعون أن يضعوني في موقف سيئ.

- بالطبع لن يستطيعوا حملك على الرسوب إن كنت تقول الحقيقة.

التفت بعيدًا عنها، لا يريد النظر إليها. نظر إلى هاتفه مجددًا، عليه التحدث مع محاميه.

الفصل الحادي والأربعون

اليوم التالي، صبيحة الثلاثاء، استيقظت ستيفاني مبكرًا، نظرت إلى زوجها، ما زال نائمًا، ولم تستيقظ الطفلتان بعد. حدثت إلى جسده الراقد، الكتفين المألوفتين، الشعر الداكن والوجه الوسيم. تذكرت كم كانت تحبه، لم يكن ذلك منذ زمن بعيد؛ تساءلت، هل الحب وهم كبير؟ ألا يجتمع الحب ومصائب الحياة على طاولة واحدة؟ خلصت إلى أن الحب شعور حقيقي، فالحب الذي تكنه لطفليها حقيقي، لكن الحب بمعناه الرومانسي، محض وهم.

عليها أن تجهز الطفلتين مبكرًا لتأخذهما إلى هانا، ستسافر هي وباتريك إلى دينفر اليوم. سيقابلان لانج في مكتبه في دينفر، ثم سيذهبون جميعًا إلى مكتب شريف المقاطعة في كريمر. لا تملك أدنى فكرة عما سيحدث، والتوتر لا يحتمل. مرًا بلحظة مريعة عندما كان باتريك يحجز التذاكر عبر الإنترنت، كان في حيرة من أمره؛ هل يحجز تذكرتين للعودة في نفس اليوم أم يحجز تذكرة واحدة. حذره لانج بأنه قد لا يعود. أخيرًا، قرر حجز تذكرة عودة لنفسه أيضًا، لم يكن هناك فارق كبير في التكلفة مقارنة بتكلفة حجز تذكرة واحدة. تعلم أنها وحدها على الأقل، ستعود إلى المنزل على متن رحلة الليلة. طمأنت هانا بذلك، ستعود في وقت متأخر من الليل لأخذ الطفلتين إلى المنزل. تجادل باتريك معها حول فكرة زهابها، أصر على بقائها وكان صارمًا. ليس بوسعها فعل شيء، ينبغي لها أن تبقى في المنزل وتعتني بالطفلتين، لم يكن هذا كجلسة التحقيق حيث كان مظهرهما مهمًا. سيذهبون إلى مكتب الشريف بناءً على طلبه، وأيًا يكن ما سيحدث، سيحدث بعيدًا عن أعين الناس، ليس هناك حاجة إلى وجودها هناك، هذا ما طمأنها به.

لكنها أصرت على موقفها. لم يستطع استيعاب أنها أرادت أن تكون هناك، أرادت أن تسمع بأذنيها ما لدى المحامي ليقوله. علاوة على ذلك، أرادت أن ترى باتريك وهو يخضع لاختبار كشف الكذب في مكتب الشريف.

نهضت من السرير بهدوء ونزلت إلى الطابق السفلي لتحضر القهوة. مر الوقت ضبابياً مشوشاً؛ أطعمت الطفلتين، وألبستهما، وحمّصت ساندويتشاً لباتريك بينما كان يستحم، وأخذت الطفلتين إلى المنزل في الجهة المقابلة من الشارع قبل رحيلهما مباشرة. كانا في السيارة بحلول السادسة صباحاً، ستقلع طائرتهما في الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة. لم ينبسا بكلمة في أثناء رحلتها الطويلة إلى المطار.

قضت ستيفاني معظم الوقت مستندة إلى النافذة، لا تفكر في أي شيء. أخبرت هانا أنهما سيقابلان محامياً في دينفر وأن الشرطة أرادت استجواب زوجها. لم تدّر هانا ماذا تقول، لكنها احتضنتها بعمق.

هبطت الطائرة في الوقت المحدد لها، وبعد فترة وجيزة استقلّ سيارة أجرة إلى مكتب المحامي. نظرت ستيفاني بجمود أمامها، لم تكن مهتمة بدينفر. تبدو شركة المحاماة حديثة وأنيقة وتُمنّ عن السرية في التعامل، كان لانج في استقبالهما.

- كيف كانت رحلتكما؟

سألها، وخاصاً محادثة سريعة، لم يكونا في مزاج جيد للتحديث.

- اتبعاني.

قادهما نحو مكتبه، كانا هنا من قبل للتجهز لجلسة التحقيق. ما إن دلفا إلى مكتبه وجلسا في مقعديهما، شرع في الحديث.

- آسف على ذلك، لكنني غير متفاجئ. كما أخبرتك بعد جلسة التحقيق، بعد صدور حكم غير محدد، سيحاولون أن يبدو الأمر وكأنهم يفعلون شيئاً ما. استجوابك سيكون الخطوة التالية. يتوجب عليهم فعل ذلك. كما أنه من الشائع في كولورادو أن يجروا اختبار كشف الكذب للمشتبه بهم.

- ماذا لو رفضت القيام به؟

سأله باتريك، ونظرت إليه ستيفاني باستياء.

أجابه المحامي: «سيلقون القبض عليك».

سألت ستيفاني: «لا أفهم أيًا من ذلك، لماذا سيجرون اختبار كشف الكذب إن كانوا غير قادرين على استخدامه؟».

نظر إليها لانج.

- دعيني أشرح لك المزيد عن اختبار كشف الكذب. يعتمد الاختبار على قياس عدة تغيرات فيسيولوجية، مثل معدل ضربات القلب، ضغط الدم، التعرق، التنفس وما إلى ذلك عندما يسأل الممتحن كل سؤال. اعتمادًا على النتائج، يقرر الممتحن إن كان الشخص يكذب أم لا. لكن النتائج لا يمكن الاعتماد عليها، ونعم، لهذا السبب لا يستخدمون تلك النتائج في المحكمة عامةً.

سألت ستيفاني: «إذا لم يقوموا بإجراء هذه الاختبارات؟».

أجاب المحامي بحرص.

- على الرغم من عدم استخدام النتائج في المحكمة، تعتقد الشرطة أن النتائج ذات دلالة مهمة.

ردت ستيفاني، محاولة قراءة ما بين السطور: «إذا، الشرطة تصدق تلك النتائج، لكنهم لا يستطيعون استخدامها في المحكمة».

لم يجب المحامي، والتفت نحو زوجها.

- إن اجتزت الاختبار، ستكون هذه نهاية كل شيء، هذا ما يحدث غالبًا. وسيصبح إثبات جريمة القتل في أثناء المحاكمة أمرًا مستحيلًا.

نظرت ستيفاني إلى زوجها الذي انصب تركيزه على المحامي.

مال المحامي إلى الأمام على مكتبه.

- دعني أخبرك شيئًا ما عن اختبارات كشف الكذب، هي خطيرة جدًا. لا ندع عملاءنا يخوضون تلك الاختبارات دون أن نجرِّي لهم واحدًا مع أحد ممتحنينا أولًا.

تركهما يستوعبان الأمر، وهو يرمقهما بنظرة جادة.

- تحت أي ظرف، قبول إجراء اختبار كشف الكذب يحمل نفس أهمية إعطاء إفادة إلى الشرطة. قد يخدعونك ويتلاعبون بك كي تعترف بمعلومات تدينك. فعلى الرغم من أن النتائج لا يعتد بها في المحكمة، سيأخذون بالأسئلة والإجابات التي ستدلي بها، أحيانًا، يفضل ألا

تحدث معهم على الإطلاق. هذا قرار مهم، يجب عدم الاستخفاف به. في أغلب الأحيان، يكون اختبار كشف الكذب الذي تجريه الشرطة غير مفيد، وأحياناً، يصبح مهماً جداً.

جلسوا في صمت غير مريح، ثم قال باتريك: «إذا، ماذا نفعل؟».

- كما أخبرتك خلال المكالمة، سنضعك على الجهاز ونجري اختبار كشف الكذب هنا. استعد، سأعود حالاً.

لم يخبرها باتريك أنهم سيجرون اختبار كشف الكذب في شركة الحمامة أولاً. جلست ستيفاني في مقعدها، يدور رأسها. يبدو المحامي غير واثق من اجتياز باتريك للاختبار. وهذا طبيعي، على الأرجح غالبية عملائه مذنبون، ويفشلون دائماً. لكن باتريك لم يقتل زوجته قطعاً، سيساعدهم ذلك، بالتأكيد. نظرت إلى باتريك، يجلس متوترًا في مقعده، رافضاً النظر في عينيها. اجتاحتها رعشة، كأن أصابع باردة تتلمس جسدها.

عاد المحامي وبصحبه رجل آخر، يحمل في يديه جهازًا. جهزوا كل شيء سريعًا على منضدة في أحد أركان المكتب الواسع، هناك شريطان من المطاط على صدره، ومشبك حول السبابة. راقب المحامي وستيفاني المشهد من بعيد.

- فقط استرخ، «رودي» هو أحد المهرة في هذا المجال، ضابط شرطة متقاعد، هو على دراية تامة بما يفعله.

نظر باتريك بتوتر إلى الممتحن.

- سي طرح رودي عليك بعض الأسئلة التي جهزناها لك، أجب بنعم أو لا فقط.

أوماً الممتحن تجاه لانج.

أعطى المحامي إشارة البدء: «حسنًا لنبدأ».

تحدث الممتحن بصوت هادئ وقور.

- هل نحن في شهر أكتوبر؟

- نعم.

- هل ستجيب عن أسئلتني بصراحة تامة؟

- نعم.

- هل سبق وأن كذبت كي تنجُو بنفسك من مأزق؟
تردد قليلاً.

- نعم.

- هل كنت تعيش في كريمور، كولورادو، في يناير 2009؟
نعم.

- قبل وفاة زوجتك ليندسي كيلجور في العاشر من يناير 2009، هل كنت على دراية بأن تواجد شخص داخل سيارة ومحركها يعمل، وأنبوب العادم مسدودٌ بالثلج يعرض ذلك الشخص للخطر؟
لا.

- يوم وفاة زوجتك، هل أخبرتها أن تنتظر في السيارة بينما تجرف الثلج عن السيارة؟
لا.

- قبل وفاة زوجتك في العاشر من يناير 2009، هل كنت تعلم أن أنبوب العادم بسيارتك مسدود بالثلج؟
لا.

- هل تعيش الآن في 17 دانبري درايف، ايلسفورد، نيويورك؟
نعم.

- هل دفعت زوجتك ليندسي كيلجور من أعلى الدرج مطلقاً؟
لا.

- هل حاولت قتل زوجتك ليندسي كيلجور بتركها تجلس داخل السيارة ومحركها يعمل، بينما كان أنبوب العادم مسدوداً بالثلج؟
لا.

- قبل العاشر من يناير 2009، هل سمعت بشخص تُؤفّي في أثناء تواجده في سيارة يعمل محركها وأنبوب العادم مسدود بالثلج؟
لا.

أخيراً، أطفأ الممتحن الجهاز ونظر إلى لانج. هز رأسه، وقد تجهّم وجهه. رأّت ستيفاني نقاطاً سوداء تدور أمام عينيها.

الفصل الثاني والأربعون

ظل باتريك جالسًا في مقعده مدهوشًا ومشدوهُا، يمسك مسند الذراعين بيديه، وينبض قلبه بجنون داخل صدره. لا؛ لا يمكن أن يكون الأمر كما يبدو. لكن لانج يقف بجوار الممتحن يفحص النتائج بوجه صارم.

فجأة، سمع ستيفاني تشهق، تحاول أن تملأ رئتيها بالهواء بلا توقف، بينما تقبض بيديها على صدرها، التفت الجميع نحوها. رآها وهي عاجزة عن الحركة. جثا لانج على ركبتيه بجوار ستيفاني. لا يزال باتريك موصولًا بالجهاز، كأنه في كرسي الإعدام الكهربائي. راقب زوجته في ذهول، هي تمر بإحدى نوبات الهلع.

يطلب منها المحامي أن تتنفس، مال رأسها إلى الأمام بين ركبتيها، أدرك باتريك أن هذا ما تفعله عندما تسوء الأمور. هو يعرف جيدًا بشأن نوبات الهلع، أخبرته بكل شيء عنها، ووصفت له ماهيتها. يعلم أنه فشل في اختبار كشف الكذب، هذا واضح من تعبيرات المحامي والممتحن.

انصب اهتمامهم جميعًا على زوجته، بينما لا يدري أحد أنه يمر بصدمة مماثلة. شيئًا فشيئًا هدأت الأصوات المكروبة التي تصدرها زوجته، وبدأت تتنفس بهدوء.

- أحسنت.

أخبرها لانج بصوت هادئ. شعر باتريك بيدي الممتحن عليه، يفك الجهاز عنه. يريد باتريك أن يتحدث، لكنه غير قادر على أن ينبس بكلمة.

تغيير المزاج العام في الغرفة، هو يشعر بذلك. حذق إلى زوجته، لم يرغب في قدومها، كان ينبغي لها المكوث في المنزل كما أخبرها، كان يجب أن تُعفى من كل هذا.

وقف لانج على قدميه ووضع يديه على كتف ستيفاني، وهي ما زالت منحنية إلى الأمام، على الأرجح لأنها لا ترغب في رؤيته. يعتقد باتريك أن أسوأ مخاوفها أصبحت حقيقة. لكنها مخطئة. التفت لانج نحو باتريك، أخذ نفساً عميقاً، وقال ما يعرفه الجميع بالفعل.

- أنا آسف، أنت فشلت في الاختبار، باتريك.

هز باتريك رأسه.

- لا، هذا مستحيل. هذا الاختبار غير دقيق!

ببطء، أسندت ظهرها إلى الوراء، لكنها كانت قد تحولت إلى حجر. لماذا تصدق الآلة أكثر منه؟ أخبرها أن تلك الاختبارات غير دقيقة. بعد أن تحرر من الأسلاك، تعثر باتريك نحو زوجته، ركع بجوارها.

- ستيفاني، تعرفين أن هذه الاختبارات غير دقيقة. كان حادثاً!

لم تنظر إليه.

- اسمع، علينا أن نتخذ بعض القرارات.

أخبره لانج، ثم أوماً للممتحن الذي غادر الغرفة بهدوء مع الآلة.

- شكراً رودي.

ثم التفت نحو باتريك.

- اجلس.

طلب منه، ثم جلس خلف مكتبه.

- هناك عمل بين أيدينا.

التفتت ستيفاني للمحامي. لا يروق باتريك التعبير على وجهها. يدرك ما يدور في رأسها الآن. تعتقد أنه قتل زوجته، على الأرجح لقد انتهى كل شيء بينهما الآن، هذا ما فكر فيه باتريك بخدر. لن تثق به أبداً بعد الآن. لن تحبه من الآن فصاعداً. تساءل كم من الوقت تبقى حتى تتركه. ترعبه الفكرة، وتشعره بالفراغ.

- الشريف بانتظارنا في مكتبه، وهذا ما أقترحه؛ نحن نعلم أنهم سيطلبون منك إجراء اختبار كشف الكذب. أنصحك بالألا تجري الاختبار، وبناءً على ذلك سيقون القبض عليك بتهمة القتل من الدرجة الثانية أو الأولى. سيعتمد الأمر على درجة التعمد التي يعتقدونها في القضية.

لم يكن بوسع باتريك فعل شيء سوى التحديق إلى المحامي، والذهول يكاد يشلّه.

- سيتحفظون عليك، لا تتحدث معهم، سأكون هناك معك. أقترح أن تدليّ بأقوالك وتنفي كل شيء بصراحة. ستوضح مجددًا أن ما وقع كان حادثًا. وهذا كل شيء. لن أسمح لهم باستجوابك أكثر من ذلك. سيتوجب عليهم حينها أن يثبتوا واقعة القتل بما لا يدع مجالًا للشك في المحاكمة. لن نسمح لهم بالحصول على المزيد، هل تفهمني؟
أومًا باتريك، وهو غير قادر على التحدث.

- لن تعود إلى المنزل الليلة.

نظر المحامي إلى ستيفاني، وتابع باتريك نظراته بسأم.

- لن تستفيدي أي شيء من ذهابك إلى مكتب الشريف معنا.

أخبرها المحامي، ووافقه باتريك، بدت ستيفاني وكأنها خلصت إلى نتيجة أن زوجها قاتل. يريد لها أن تذهب إلى المنزل، هي لا تساعد في أي شيء.
التفت المحامي نحوه، لا بد أن الرعب الذي يشعر به جليًا على وجهه، حيث أخبره لانج: «تجلّد، الأمر متروك لهم لإثبات أنها جريمة قتل مما لا يدع مجالًا للشك. كن واثقًا، العبء يقع عليهم هم. صراحة، لا أعتقد أنهم قادرون على جعل الأمر يصل إلى حد المحاكمة».

تساءل باتريك؛ هل المحامي يعتقد أنه مذنب؟ هل يهتم لانج بالأمر؟ أم أنه بالنسبة إليه مجرد عميل آخر. نهض لانج من مقعده من وراء مكتبه وساعد ستيفاني على الوقوف حيث وضع كفه أسفل مرفقها.

- أنا آسف، لكن عليك العودة إلى المطار، سأجعل سكرتيرتي تتصل بسيارة أجرة من أجلك. دعينا نخرج.

راقبها باتريك وهي تغادر المكتب مع محاميه دون أن تنظر إليه، ينتابه شعور مريع، وعلى الرغم من مطمئنات المحامي له، يربعه ما سيلاقيه. وكل هذا بسبب تلك الخائنة العاهرة إريكا.

تجولت ستيفاني بلا هدف داخل المطار، تقتل الوقت حتى موعد رحلتها. يا له من وضع غريب أن تكون بمطار غير مألوف لها، تنتقل بين المحلات، بينما يواجه زوجها تهمة القتل العمد في مكتب الشريف.

أخيرًا، بعدما شعرت بالإرهاك، توقفت عند محل «ستاربكس»، وجلست إلى طاولة، طلبت كوبًا من القهوة. هي بحاجة إلى شخص يمكنها التحدث معه، شخص تثق به، تهتاج من الداخل، ولا يوجد أي شخص يمكنها أن تلقى بهذا الحمل له. فكرت في هانا، هل يمكنها أن تثق بها؟ هل تخبرها بما حدث في مكتب المحامي اليوم؟ لا، لا تستطيع.

بالكاد تستوعب ما يحدث. لم يجتز الاختبار، وماذا يعني ذلك؟ أنه فعلها، قتل زوجته وطفلتها في أحشائها عمدًا. تصارعت مع الفكرة، تحاول أن تجد أي منطق فيما يحدث، لا يمكن الاعتماد على اختبارات كشف الكذب، هي تعرف ذلك، لم يقصد قتلها، لا يمكن.

لكن الشرطة تعتد بنتائج اختبارات كشف الكذب، سيصدقون أن زوجها مذنب إن اكتشفوا أمر الاختبار. التفت لها المحامي في مكتبه وطمأنها بصوت خفيض بأن الشرطة لن تعلم أبدًا بشأن الاختبار ورسوبه فيه، هذه معلومات سرية. ربما ترغب في معرفتهم بالأمر. كانت لحظة مريبة.

هي الشخص الوحيد بالإضافة إلى باتريك والمحامي والممتحن على دراية بما حدث، كان حملًا أثقل من أن تتحمله، لكنها تدرك أنه لا يمكن إخبار أي شخص. عليها الاحتفاظ بالسر لنفسها. والآن عليها أن تقرر ما ستفعله.

الفصل الثالث والأربعون

وقف باتريك مشدوهاً، وسار باتجاه مبنى مكتب الشريف. حاول أن تبدو الصرامة على وجهه. هو رجل بريء، ويعامل معاملة غير عادلة. يحاول أن يفعل ما أخبره به محاميه.

- مستعد؟

سأله لانج الواقف بجواره.

صعدا الدرجات، فكر باتريك في آخر مرة صعد فيها هذا الدرج، صباح يوم وفاة ليندسي. كانوا في فصل الشتاء؛ لا يصدق أنه قد عاد إلى هذا المكان. يشعر بالإعياء بداخله، كان مريضاً يومها، فقد كانت تتلج.

يتوقعون قدومه؛ أخذوه إلى غرفة الاستجواب، ولانج يقف على مقربة منه. كان الشريف وضابط شرطة في زيِّه الرسمي، كل هذه مجرد رسميات. ما سيأتي لاحقاً هو ما يخيفه. قضاء الليالي في السجن، المحاكمة. هو يفكر في المستقبل، بالكاد يستطيع الانتباه لما يحدث الآن. سمع محاميه يشرح أنه لن يجري اختبار كشف الكذب بناءً على نصيحته، فالنتائج غير دقيقة، ولن يعتد بها تحت أي ظرف. جلس باتريك مشدود القامة، ونظر بحزم في عيني الشريف، لا يرغب في أن يبدو هذنباً. رأى الشريف يبتسم بخبث، أدرك أن الشريف يعرف أنه أجرى اختباراً وفشل فيه بالفعل. شعر كأنه تلقى لكمة في أحشائه. فجأة بدا الوضع أسوأ مما توقع؛ الشريف الجالس قبالتهم يعتقد أنه قاتل.

قال له الشريف: «نرغب في طرح بعض الأسئلة عليك، هل أنت موافق؟».

فأجاب المحامي: «سيدلي بالشهادة فقط، هذا كل شيء، باتريك؟».

جلس المحامي وانتظر باتريك ليدليّ بشهادته، وكانا قد تناقشا فيما سيقوله داخل السيارة في طريقهما.

تنحّح باتريك، وتحدث بصوت صارم مقنع.

- لم أتعمد قتل زوجتي، كان حادثاً، لم أعرف أن أنبوب العادم كان مسدوداً، أو أنها كانت معرضة للخطر بأي شكل.

- هل ترغب في إضافة أقوال أخرى؟

سأله الشريف بعد دقائق؛ ونظر باتريك بقلق نحو لانيج.

قال المحامي بيّسر: «لا، هذا كل شيء».

نهض الشريف وقال:

- باتريك كيلجور، أنت رهن الاعتقال بتهمة قتل ليندسي كيلجور في العاشر من يناير 2009...

تجمد ذهن باتريك فتلاشت كل الأصوات بعد ذلك. شعر بشخص ما يلكّزه.
- من فضلك قف.

تعثر باتريك حتى وقف على قدميه، تتسارع الدماء إلى عقله.

- ضع يديك وراء ظهرك، من فضلك.

أخبره الضابط في زيه الرسمي بهدوء.

وضع باتريك يديه وراء ظهره، وشعر بالأصفاد. وهكذا، اعتُقل بتهمة القتل، وسيُزجُّ به في السجن.

شعرت ستيفاني بالامتنان تجاه سرية رحلة الطيران إلى المنزل دون زوجها سيئ السمعة. هو وسيم ويسهل التعرف عليه، بينما وحدها، تبدو كسيدة عادية ومتعبة؛ لم يزعجها أحد أو ينظر إليها كما حدث عند عودتهما من جلسة التحقيق. أثار باتريك بضع نظرات فضولية، وبسبب ذلك، نظر إليها بعض الأشخاص أيضًا. تدرك ما فكر فيه الناس حين نظروا إليها: من هذه التي تتزوج من شخص قتل زوجته الأولى؟

قرؤوا في الصحف وشاهدوا التغطية الإعلامية في التلفزيون وافترضوا أنه مذنب. كما أنها تعرف شيئاً لا يعرفونه: فشله في اختبار كشف الكذب. ترغب في الصراخ: لم أكن أعلم، لم أكن أعلم بأي من هذا، لم أكن أعلم!

ترغب في الانتحاب وهي تميل برأسها على نافذة الطائرة، لكنها لا تسمح لنفسها بذلك. ستتجنب الليلة في منزلها وحدها بعد أن تخلد التوأمتان إلى النوم. ستخرج ما بجعبتها بطريقة لم تسمح لها الظروف بها قط في أثناء تواجد باتريك في المنزل. ربما سيساعدها ذلك وستستطيع النوم أخيراً والتفكير بوضوح بشأن الوضع برمته.

تلقت رسالة من المحامي يخبرها أن الأمور سارت كما توقعوا وأنهم القوا القبض على باتريك وهو الآن رهن الاحتجاز في سجن المقاطعة. لن تتلقى أخباراً من باتريك مباشرة بعد الآن، إلا إذا هاتفها من هاتف السجن. تخيلته في الزنزانة، يرتدي بدلة السجن. تتوقع أنهم أخذوا حزامه، رباط حذائه وأي شيء قد يستخدمه لقتل نفسه. لكنها عاجزة عن تخيل ما يدور في رأسه، لأنها لا تملك أدنى فكرة عما يدور في رأسه على الإطلاق. سرت في جسدها رعشة عندما فكرت في أن الآلة تعلم أشياء عن زوجها تجهلها هي. هل عرفته على الإطلاق؟

ربما ستشعر بالأمان أكثر إن ظل في السجن، هي وإيمي وجاكي، إن كان قاتلاً حقيقياً، سيكون من الأفضل لهن أن يظل محبوساً هناك، بعيداً جداً عنهن. فكرت في الرعب الذي أصابها بسبب حريق المطبخ، لا تذكر أنها وضعت المقلادة على الموقد ذلك اليوم، هل فعلها باتريك؟ هل كانت إيريكا؟ هل أراد باتريك التخلص منها ومن التوأمتين حتى يحصل على أموالها، أكثر من ثلاثة ملايين دولار.

لا تصدق ما يحدث، لا تصدق أنها خدعت بهذا الشكل في شخص أحبته، لكن لا يزال لديها قليل من الشك ينأى بها عن البؤس المقيت. لا تدري أين الحقيقة، ولا تدري ماذا تفعل بعد الآن. يتوقع محامي باتريك أن تكون داعمة له، وتقف بجواره، لكن، هل يمكنها فعل ذلك؟ هل ينبغي لها فعل ذلك؟ ماذا لو فعلت ذلك، وفَرَّ هو بفعلته وعاد إلى المنزل. بالطبع لن يفعل ذلك...

لكن ربما كان بريئاً. كيف ستأكد من ذلك؟

عند هبوط الطائرة، كان الوقت متأخراً بالفعل. استعادت السيارة من موقف السيارات الخاص بالمطار وقادت لمدة ساعة ونصف نحو المنزل،

تحترق عيناها من الألم. المنزل مظلم، تمنّت لو أنها تركت ضوء الشرفة الأمامية مضاءً. أخيرًا، فتحت الباب ودلفت إلى المنزل بتوتر، كل حواسها في حالة انتباه قصوى. يربعها البقاء وحيدة في المنزل في الليل. اعتادت وجود باتريك هنا، كان وجوده يشعرها بالأمان، الآن، تفزعها حتى الأصوات البسيطة، تقفز عند رؤية أي ظل، تساءلت ما إذا كانت ستشعر بالأمان مطلقًا مجددًا. لكنها أخبرت نفسها أن تتوقف عن هذا.

سريعًا، أشعلت المدفأة والأضواء في المنزل بأكمله، ارتدت بنطالًا رياضيًا وأخذت مفاتيحها وأسرعت عبر الشارع لتأخذ طفلتيها. فكرت فيما ستقوله لهاننا، لن تخبرها بشأن اختبار كشف الكذب رغم أنها تتوق للإفصاح عن الأمر لشخص ما.

عندما فتحت هانا لها الباب وابتسمت لترحب بها، فوجئت ستيفاني بنفسها، حيث انفجرت باكيةً. احتضنتها هانا ورافقتها إلى داخل المنزل الدافئ بعيدًا عن صقيع عتبة الباب. نظرت إليها بتعاطف.

- ادخلي، الأطفال كلهم نائمون بالأعلى، سأحضر لك شيئًا لتحتسيه.

- هل أنت واثقة؟ تأخر الوقت.

- أنا واثقة.

كانت متعبة جدًا ولا تقدر على الاعتراض، ووحيدة تمامًا في هذا العالم، تبعتها ستيفاني نحو المطبخ، لكنها ترغب في رؤية الطفلتين أولاً.

- سأسير على أصابع قدمي وأتفقدكما، حسنًا؟

- بالطبع.

أخبرتها هانا، ثم غيرت الاتجاه.

- لنكن هادئتين، لا نريد إيقاظهما.

كان مهد الطفلتين موضوعًا بجانب مهد تيدي، حيث تنام طفلتاها بهدوء. تسللت ستيفاني داخل الغرفة ونظرت إليهما، هناك شعاع ضوئي هادئ على وجهيهما، تنامان على ظهريهما، وقد أدارتا وجهيهما نحو بعضهما بعضًا، أيديهما مقبوضة، وقد ثنيتا ركبتيهما، يرتفع صدراهما ويهبطان، هما بريئتان جدًا. يتحطم قلبها عند النظر إليهما.

- حسنًا؟

سألتها هانا: «حسنًا؟».

أومأت ستيفاني وغادرت الغرفة بهدوء. عادا إلى الطابق السفلي، تبعت ستيفاني هانا نحو المطبخ، فوجئت برؤية «بين» زوج هانا، بالطبع هو يعيش في هذا المنزل. بينما هي...، هي المتطفلة التي تعتمد على طيبة الآخرين.

- لا تلقي بالاً لبين، هو يشاهد شيئاً ما في القبو.

أوماً تجاهها بؤدٌ، ولم يحدق إليها بلباقة منه، تناول زجاجة بيرة من الثلاثة. فكرت ستيفاني بسخرية أنه يتوقع أن يعرف كل الأخبار لاحقاً على الأرجح، لكن لا ينبغي لها أن تسخر منهما، لم يبدُ منهما سوى كل خير تجاهها. يجب ألا تترك ما حدث يشوه صورة الجميع في مخيلتها.

عاد بين إلى القبو مصطحباً زجاجة البيرة

سألتها هانا: «شاي؟ أم مشروباً أقوى؟».

- هل لديك نبيذ؟

جلستا في غرفة المعيشة ومعهما زجاجة من النبيذ وكأسان، الأضواء منخفضة، سألتها هانا:

- ماذا حدث؟

ردت ستيفاني بصراحة: «اعتقلوه».

بدت هانا مندهشة ومتعاطفة وخائفة في آن واحد، وسألتها بهدوء:

- ماذا ستفعلين؟

- لا أدري.

في وقت متأخر من تلك الليلة، استلقى باتريك على السرير في زمراته، تتسارع الأفكار في رأسه. تخيل ستيفاني مستلقية على سريرهما، يقظة، تحدق إلى السقف، أم أنها تتجول بلا هدف في المنزل، كما اعتادت أن تفعل منذ بداية كل شيء؟ هل تفكر فيه؟ هل تعتقد أنه فعلها؟ هل صدقت اختبار كشف الكذب؟ أم تراها هدأت وبدأت تتضح لها الأمور؟ هذا الاختبار اللعين، لم يكن ينبغي أن تكون هناك، توقع أن يجتاز الاختبار، كانت صفقة قوية له عندما فشل.

الفصل الرابع والأربعون

تشعر شيريل بأنها عالقة داخل كابوس بعد معرفتها بشأن والدي ديفين البيولوجيين. بدأت تفكر في تصرفات ديفين وتحلل كل شيء متعلق به. لاحظت مؤخرًا بعض التصرفات الخاصة به التي كانت تغض الطرف عنها. أحيانًا، يضع ديفين مصلحته أولاً قبل أصدقائه، يمتلك سحرًا خاصًا، ويستخدمه كيفما يشاء حتى يحصل على ما يريد. لم تلق بالًا لهذا الشأن سابقًا. لا تقوى على الاعتراف بذلك لنفسها، لكنها تعتقد أنها ترى فيه صفات المختل اجتماعيًا.

يخبرها جاري أنها تتخيل أشياء غير حقيقية، وتبحث عن مشكلات غير موجودة. يطمئنها بأن حبها له كافٍ، الحب يجد حلًا لكل شيء. لقد ربيا ديفين على أكمل وجه، هما شخصان جيدان، وسيجتازان هذا الأمر.

تجلس إيريكافوس في شقتها في الصباح التالي تتصفح الأخبار على هاتفها، ثم توقفت فجأة. إلقاء القبض على المشتبه به في قضية كيلجور. شعرت بدفعة من الأدرنالين، ضغطت الرابط، وقرأت المقالة الصغيرة سريعًا. ثم اعتدلت مجددًا في مقعدها وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيها. هذا ما يستحقه، هذا ما يحدث عندما يعذب أحدهم معها.

التقطت هاتفها وهاتفت عائلة مانينج، خططت بالفعل لما ستقوله لهم.
- مرحبًا.

سمعت صوت شيريل من الجانب الآخر من المكالمة.

قالت إيريكافوس: «مرحبًا شيريل».

- من المتكلم؟

تستطيع إيريك سماع الشك والخوف في صوت المرأة، لقد هيأتها لذلك عند زيارتها لها في منزلها.

- إيريك، والد ديفين.

كان هناك صمت طويل مخيف.

- ماذا تريدان؟

قالت إيريك: «لا أدري إن كنتِ تتابعين الأخبار...»، ثم انتظرت.

بصوت متردد همست شيريل: «تقصدين جلسة التحقيق؟».

- لا بد أن الأمر كان صادمًا، أن تعرفي كل هذه الأشياء عن والد ديفين.

سألته بعنف: «أخبريني الحقيقة، هل قتلها حقًا؟».

- بالطبع قتلها.

- ماذا تريدان؟

- أريد أن أرى ابني أكثر من ذلك.

- هو ليس ابنك، بل ابننا، أسقطتِ كل حقوقك كأم عندما تبنيناه.

- أنا لا أهتم بالحقوق القانونية، هو لك، لكن أعتقد أن من حقه أن يعرف

أصله، ألا تعتقدين ذلك؟ يمكنني مقابلته، وأخبره أنه متبنّى، أتوقع أنك

لم تخبريه أنه متبنّى أليس كذلك؟ وسأخبره بشأن أبيه، ولم تخلت عنه

رغم أنني لم أرغب في ذلك.

انتظرت قليلًا ثم أضافت:

- هل تعرفين أنهم ألقوا القبض على باتريك هذا الصباح؟

سمعت شهقة من الجانب الآخر من المكالمة.

- بتهمة القتل.

- سأنهي المكالمة.

قاطعتها إيريك: «لا، لن تفعلي، ستستمعين إليّ، ستخبرين جاري أنني

أريد مئة ألف دولار أخرى، أو سأخبر ديفين بأشياء لا أعتقد أنك ترغبين في

أن يعرف عنها شيئًا. لا يمكنك مراقبته كل ثانية كل يوم. سأتصل بك لاحقًا،

وفي الوقت الحالي، جمّعا الأموال».

ثم أضافت:

- عندما يُحاكم باتريك، لا أريد إخبارهم بأنني على علم بمكان ديفين، وأتركك تَمُرِّين بأمر اختبار البنوة برمته، سيكون الوضع مريعًا بالنسبة إلى ديفين، أن يعرف الحقيقة بتلك الطريقة الصعبة.

التقطت ستيفاني جريدة الأخبار من أمام الباب وحملتها إلى الداخل وهي تدخل إلى المطبخ، كان الطقس باردًا وممطرًا. جلست إلى منضدة المطبخ وتصفححت الجريدة، تبحث عن أي ذكر عن الاعتقال. أخيرًا وجدت الخبر، في نهاية الجزء الأمامي. على الأقل لم يحتلّ الخبر الصفحة الرئيسية. تساءلت كم سيتطلب الأمر من الوقت حتى تتحدث كل وسائل الإعلام عن الموضوع.

ضغطت بكفيها عينيها المحترقتين. مكثت لوقت طويل في منزل هانا، كان أكثر مما خططت له وشربت أكثر مما كان ينبغي لها. لكن الاستناد إلى هانا أشعرها بالتحسن، كان من الجيد أن تخرج ما في جعبتها وهي محاطة بعطفها وتهديتها لها. أرادت أن تفضي لها بكل شيء، تخشى الآن أن تكون قد أفضت بالكثير حول مخاوفها، لكنها لم تذكر أي شيء حول اختبار كشف الكذب.

عادت مجددًا إلى الصفحة الرئيسية من مجلة الأخبار، لديها بضع دقائق قبل أن تجهز الطفلتين الهادئتين في غرفة المعيشة إلى الخروج، سيتمشين إلى المتجر هذا الصباح وسيبتعن بعض الأشياء. تأمل ألا تقابل أي شخص تعرفه، لكنها تعلم أن هذا ما سيحدث، هذا يحدث دائمًا.

جذبت انتباهها مقالة في الصفحة الثانية. قصة بشعة عن رجل من ألبانيا قتل زوجته وأطفاله ثم قتل نفسه، تهَيَّئ نفسها ألا تقرأ القصة، لكنها قرأتها بالطبع، هناك قصص من هذا القبيل دائمًا وهي تقرأها طوال الوقت. خنق الرجل أطفاله بالوسائد، قبل عودة زوجته المنفصلة عنه من العمل، عند عودتها طَعَنَهَا عدة مرات في الصدر، ثم استقل سيارته بهدوء وألقى بنفسه من فوق الجسر.

جلست، يدور رأسها من هول ما قرأته. هذا النوع من الأشياء يحدث طيلة الوقت، ولا يتوقعه أحد.

رن هاتف المطبخ مما جعلها تقفز، نظرت إليه، لا تريد أن ترد. أيًا يكن المتصل، لا بد أنها أخبار سيئة. لا يمكنها أن تتخيل أي شيء آخر هذه الأيام. تلقت المكالمة.

- نعم؟

- مرحبًا ستيفاني، أنا روبرت لانج.

غاص قلبها في جوفها، ماذا بعد؟

- ما الأمر؟

- أردت أن أخبرك أن باتريك سيُعرض على القاضي هذا الصباح للنظر في التهم الموجهة إليه.

لم تدرِ ماذا تقول.

- إن استمروا في هذا، وأنا لا أدري كيف سيفعلون ذلك نظريًا، سنحدد ميعادًا للمحاكمة الربيع القادم أو بداية الصيف.

أغلقت عينيها ومالت بجسدها على الطاولة.

- حسنًا.

- سأحتاج إلى عربون.

بطريقة أو بأخرى، مرت الأيام، أشرقت الشمس وغربت رغم انهيار كل شيء. لا تزال ستيفاني بحاجة إلى أن تأكل وتنام، والطفلتان بحاجة إلى الرعاية، الطعام، الملابس، وتغيير الملابس. كما أن عليها الإجابة على المكالمات التي تتلقاها من باتريك من السجن.

مصادفاتهما زائفة، متكلفة وغير طبيعية، وهل لها أن تكون غير ذلك؟ الوقت الذي يقضيه منفصلين يخلق أميالًا من البعد بينهما، حيث يتشاركان قليل القليل من يومهما. هكذا هو الحال عندما يبتعد الأزواج عن بعضهما، هذا ما فكرت فيه ستيفاني. كما يصبح الوضع أسوأ بكثير عندما يكون أحد الأطراف في السجن يواجه تهمة بالقتل، والطرف الآخر غير مقتنع ببراءته تمامًا.

- ستيفاني، يجب أن تصدقيني، أنا لم أفعلها.

يقول باتريك دائماً.

- أعرف.

تقول تلقائياً. تدرك أن صوتها لا يدل على اقتناعها التام، تبدو منفصلة عن الواقع ورافضة له.

- سيسقطون التهم، وسأخرج من هنا، وسأعود للمنزل.

- أعلم.

تكرر بنبرة روتينية، تحقق من النافذة دون أي تعابير. لا تشعر بأي شيء وهي تتحدث معه.

- يقول لانج إنهم إن لم يستطيعوا إيجاد أي أدلة أخرى، لن تكون هناك محاكمة، ستكون كلماتها ضد كلمتي حول العلاقة، والعلاقة ليست دليلاً كافياً على قتلي لزوجتي. وكذلك التأمين، ليس لديهم أي دليل مباشر على قتلي لليندسي.

هي لا تستمع حقاً إلى ما يقول. فجأة تذكرت شيئاً ما أخبرتها به إيريكاً ذلك اليوم عند الشرفة الأمامية، ربما لاحظته أحد الجيران يتردد على شقتها، أو سمعهما يتطارحان الغرام من خلال الحائط. إن وجدوا جازاً واحداً رآه هناك، مرة أو مرتين، سيثبت أنه كاذب. قال باتريك إنه ذهب إلى شقتها مرتين فقط.

- ستيفاني، عليك أن تبقي قوية من أجلي ومن أجل الطفلتين، حسناً؟
يحمل صوته نبرة من اليأس الآن، لقد سقط قناعه قليلاً. هو خائف، بالطبع هو كذلك.

- لانج يريد عربوناً.

- نعم، أخبرني أنه اتصل بك.

- يريد مبلغاً كبيراً.

- أعلم، وأنا آسف.

يبدو على صوته الندم.

- عندما ينتهي كل هذا، وأقف مجدداً على قدمي، لن يصبح ذلك مهماً.
ستيفاني، هذا مجرد مال، سأنشئ شركتي الخاصة، وسأكسب كل ما

أنفقناه مجددًا. ينسى الناس سريعًا. بعد عدة سنوات من الآن، سنذكر ما حدث كحلم سيئ.

بينما كان الشريف باستيدو يقود شاحنته في شارع كريمور الرئيسي، أدرك أن ليس لديهم دليل واحد ضد كيلجور، ومحاميه الذكي يدرك ذلك أيضًا، وإن لم يفتح كيلجور فمه لن يكون لديهم ما يكفي لإكمال المحاكمة.

وعلى الرغم من ذلك، أوقف الشريف باستيدو شاحنته أمام صيدلية «كيه أند آر» حيث كانت تعمل إيريكافوس. إنه عمل عائلي. سار باتجاه الباب الخلفي، وجد رجلًا عجوزًا خلف طاولة البيع. نظر إليه الرجل، وأراه الشريف شارته.

- هل أنت المالك؟

أومأ الرجل وقال: «كيف يمكنني مساعدتك حضرة الشريف؟».

- أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة حول موظفة سابقة هنا، إيريكافوس، هل تذكرها؟

رمقه الرجل بنظرة تتم عن معرفته بالأمر.

- كنت أتساءل متى ستأتون.

أومأ باستيدو، القصة منتشرة في كل وسائل الإعلام، هو مهتم بمعرفة رأيه في كل ما يحدث. لا يوجد حولهم شخص يمكنه سماعهم.

- ماذا لديك لتخبرني به عنها؟

- كانت موظفة رائعة.

قال الصيدلي ثم أضاف: «لكن هذا ما أعرفه».

- ماذا تقصد؟

- كانت ذكية جدًا، يمكن الاعتماد عليها، تجيد التعامل مع الزبائن، تتعلم سريعًا وطموحة.

- أعتقد أنك ستقول «لكن».

قال باستيدو.

رمقه الصيدلي بنظرة امتنان.

- تعرضنا لأكثر من حادثة اقتحام في تلك الأيام، سرقة بعض الأدوية، غالبًا الأوكسيكودون⁽¹⁾، هذا النوع من الأشياء الذي يمكن بيعه في الشارع، لم يستطيعوا ضبط الفاعل قط.
- ثم؟
- ثم لم أستطع إثبات أي شيء، لكنني كنت مقتنعًا بأنها هي الفاعلة، أو متورطة بشكل ما. ذكرت ذلك للشريف في ذلك الوقت كاحتمالية، لكنهم لم يجدوا أي شيء. كما قلت، كانت ذكية.
- تركتها تذهب؟
- لا، لم أتمكن من ذلك؛ لم أكن لأطردها دون دليل، ولم أمتلك أي أدلة. لكنني سألتها، صراحة، ونفت الأمر. إما أنها كانت تقول الحقيقة وإما أنها كاذبة محترفة.
- ماذا حدث بعد ذلك؟
- تركت المدينة بعد وقت قصير من حادثة عائلة كيلجور، سعدت أنا وزوجتي لانتقالها، لم نتعرض للسرقة مطلقًا بعد ذلك.
- رفع حاجبه تجاه الشريف.
- هل تدري ما أعتقد؟
- ماذا؟
- لم أكن لأصدق كلمة واحدة تتفوه بها.
- شكرًا لوقتك.
- على الرحب والسعة.
- قاد الشريف باستيدو سيارته عائداً إلى مركز الشرطة، تدور الأسئلة في رأسه عما سمعه للتو، من الأفضل أن يبحث في الأمر.

(1) أوكسيكودون (Oxycodone) هو مسكن آلام مخدر من عائلة المواد الأفيونية (Opiates)، ويُستعمل في معالجة الآلام المتوسطة والشديدة، مثل: الآلام الناجمة عن الجراحة، أو الجروح، أو الأمراض المزمنة، مثل: السرطان. وكغيره من مسكنات الألم من هذه العائلة فإن تناول هذا الدواء محدود جداً، لأنه يسبب شعوراً بالمتعة والنشوة مما يؤدي إلى سوء استخدامه وإدمانه. (المترجم)

تلك الليلة، اتصلت إيريكاً. شعر جاري بالعرق يتجمع تحت إبطيه، وفي منتصف ظهره، تراقبه شيريل بتوتر من الجهة المقابلة من الغرفة. كانا يتوقعان اتصالها، كانا في الانتظار، ذهبا إلى القبو كي لا يستمع ديفين لما يقولانه، في حالة كان مستيقظاً.

- مرحباً جاري، أعتقد أنك على دراية بمكالمتي مع زوجتك ذلك اليوم.

أجابها بصراحة: «أواجه مشكلات في جمع هذا القدر من المال».

أجابت وكأنها تصدقه: «بالطبع».

- أنا جاد.

هذا حقيقي. ولهذا يتعرق بشدة، لقد تلقوا أكثر من ضربة قوية في عقارين من عقاراتهم التجارية خلال نصف السنة الأخير.

- أنا أعاني عجزاً مالياً هذه الفترة.

- هراء، لا أصدقك.

- لماذا لا تصدقيني؟ هذه أميركا، الجميع يعاني عجزاً مالياً!

تنفس بعمق.

- اسمعي، سأحصل على المال، أنا فقط بحاجة إلى مزيد من الوقت. لا

نريدك أن تتحدثي مع ديفين وتفسدي حياته وحياتنا، تعرفين ذلك.

انتظر للحظة طويلة حيث بدا أنها تفكر.

- حسناً، يمكنك الحصول على المزيد من الوقت، سأتصل بك بعد بضعة

أيام.

الفصل الخامس والأربعون

بزغت الشمس مجددًا بعد أيام طويلة من المطر الذي لا ينضب. مكث باتريك في السجن معظم أيام الأسبوع. اليوم هو صبيحة الثلاثاء ومن المقرر أن تأخذ ستيفاني الطفلتين وتقابل هانا وتيدي في وقت متأخر من الصباح ويذهبون إلى الحديقة معًا ثم إلى مقهى بعد ذلك. تشعر بالأمان عند خروجها مع هانا، بعد انتشار خبر اعتقال باتريك، أصبحت هانا الملاك الحارس الخاص بها، خط دفاعها ضد العالم. يزعج الصحفيون ستيفاني، لكنهم على الأقل لا يبيتون أمام منزلها.

تجلس الطفلتان في مقعديهما العاليتين، حيث تطعمهما ستيفاني البازلاء المهروسة، تدور أفكارها في دوائر مفرغة، كعادتها منذ أن فشل باتريك في اختبار كشف الكذب. إن كان فعلها حقًا وقتل زوجته بدم بارد، سيتوجب عليها مواجهة زوج قاتل. كم تغيرت أفكارها منذ بداية كل شيء، في البداية اعتقدت أنه كان مجرد زوج خائن، وإيريك كان يحاول ابتزازهما للحصول على المال. مرت ستيفاني بأسابيع من الهلع والذعر والارتياح مخافة أن يُتهم زوجها بشيء لم يرتكبه. لكن الآن...

ماذا تريد؟ هل ترغب في أن يطلقوا سراحه؟ أم تريد أن تثبت التهمة عليه؟ ماذا لو عاد إلى المنزل؟ حدثت إلى الحائط وفكرت: حتى وإن أطلقوا سراحه، لن يعني هذا أنه بريء.

هناك الكثير من الدلائل ضده، سقوطها من أعلى الدرج، اختبار كشف الكذب، لا تستطيع خداع نفسها، إن كان حقًا هو القاتل، فلن تستطيع تعريض نفسها والطفلتين للخطر. قررت: يجب ألا يعود للمنزل.

اعترفت أخيرًا لنفسها، هي لا تصدق أن زوجها بريء.

تمت مرافقة باتريك نحو الغرفة التي يستخدمها المساجين للتحدث مع محاميهم. شعر أنه لبث سنين في السجن، كيف يتحمل الناس عقوبة الأعوام العشرين؟ أو مدى الحياة؟ كلما فكر في هذا الأمر، يشعر بالغثيان في معدته، ويتعرق خوفاً. تفوح رائحة كريهة منه ومن ملابس السجن الخاصة به. لا يتأقلم بصورة جيدة كما توقع، لكن هل يعلم أي شخص كيف سيتأقلم مع السجن، وتهمة القتل حتى يجرب الأمر؟ هذه بلدة غريبة عنه، وهو لا ينتمي إلى هنا؛ هو لا يشبه الرجال الآخرين هنا، فأغلبهم مجرمون بدم بارد غير متعلمين. يبدو غريباً بينهم، لا يزال يتصارع مع الفكرة كل يوم، يتساءل إن كان سيستوعب الأمر مطلقاً.

حيّاه لانج، وهو يقف.

- باتريك.

سار تجاهه، وألقى بجسده بقوة على المقعد بينما تراجع الحارس وأغلق الباب خلفه. ينظر المحامي إليه باهتمام يقدره باتريك. يشعر باتريك أن زوجته لا تهتم به بهذا القدر وأنها ستتركه، لن يلومها حقاً نظراً إلى الأمور القائمة.

سأله لانج: «كيف حالك؟»، يبدو القلق جلياً على وجهه.

أجاب باتريك: «ماذا تعتقد؟».

ثم قال بلين: «أنا مرعوب، إن كنت ترغب في معرفة الحقيقة فعلاً، أكره كل شيء هنا، عليك أن تخرجني من هنا».

يعلم أنه يبدو يائساً.

أوما المحامي محاولاً طمأنته.

- هذا ما سنفعله، باتريك، عليك أن تصمد فقط، هل يعاملونك جيداً؟

أوما بتعب.

- أعتقد.

- في حال استمروا في هذا، علينا أن نعيد التحدث في كل شيء، كل شيء قد يؤذي. لو أن هناك أي شخص، أي شخص على الإطلاق قد يؤذي أطلعني على الأمر. يمكننا أن نطعن في مصداقية الشهود إن علمنا

بأمرهم سابقًا، لكنني لن أستطيع التعامل مع المفاجآت، هل تعي ما أقوله؟

نظر إليه باتريك، يشعر بالاضطهاد، لانج يصدق أنه مذنب.

- ماذا عن صديقك جريج ميلير؟

- ماذا عنه؟

مال المحامي تجاهه عبر الطاولة.

- اسمعني، محاكمات القتل تختلف كثيرًا عن جلسات تحقيق القاضي

الشرعي. المحاكمات وحشية ولا ترحم، هل تفهمني؟ هو كان يعرفك

حينها، هل يعرف أي شيء قد يضرّك؟ هل أخبرته قط حتى على سبيل

المزاح أنك قد تتخلص من زوجتك؟

شعر باتريك بالصدمة

- لا، بالطبع لا.

- لا يوجد من يتربص بك الدوائر وسيظهر من العدم ليقول إنك استأجرته

للتخلص منها؟ لأن مثل هذه الأشياء تحدث.

جلس باتريك، يتعرق بغزارة. يغرق في ملابسه. هو غير قلق بشأن شيء

كهذا، لكن هناك أمرًا آخر: على الرغم من أنها لم تكن علاقة حب جادة مع

إيريك، فإنه قلل من شأن عدد المرات التي طارح فيها إيريك الغرام أمام

ستيفاني، وفي جلسة التحقيق. هو يكذب وإيريك تدرك ذلك.

هزّ رأسه.

- لا، أقسم، لم يحدث شيء كهذا.

- إذًا، كيفين.

قال الشريف باستيدو للرجل النحيل مرتديًا بنطالًا متسخًا من الجينز في

غرفة الاستجواب. هم يستجوبون كل تجار المخدرات الحاليين أو السابقين

الذين يعرفون بشأنهم في المنطقة.

- لماذا لا تخبرني لم أنا هنا؟ أنا لم أفعل أي شيء خطأ منذ سنوات.

- أنت لا تواجه مشكلة معنا. فقط نريد أن نتحدث معك.

سأله الرجل، الذي كان متوترًا.

- عن ماذا؟

- كنت تاجر مخدرات مشهورًا هنا منذ قرابة عشر سنوات.

- نعم، وقضيت مدة عقوبتي، أنا أعمل بشرف الآن، اسأل الجميع.

- سألنا ونعرف ذلك بالفعل، أنت لا تواجه أي مشكلات، فقط نريد أن نتحدث معك بشأن إيريكافوس.

تجمد الرجل، وفكر ثم ابتلع ريقه.

- حسنًا.

- تعرف من نتحدث عنها؟

- نعم، بالطبع. تتصدر عناوين الأخبار كلها بسبب ذلك الرجل الذي قتل زوجته في السيارة.

- ما نحن بصده هنا هو ما كانت تفعله إيريكافوس، أخبرنا عن المخدرات.

قال بيستدو وهو يميل نحوه عبر الطاولة.

ابتلع كيفين ريقه مجددًا.

- قضيت مدتي بالفعل، أيًا يكن ما سأقوله الآن لن يورطني في المشكلات، أليس كذلك؟

- صحيح، أنت حر وطيّق، أنت تساعدنا فقط.

- حسنًا، نعم، كانت متورطة، بنسبة بسيطة، ولفترة وجيزة.

- كانت تتاجر؟

أومًا.

- كانت تتاجر بالأوكسيكودون. وحصلت على البعض منه.

- كيف حصلت هي عليه؟

- سرّقه، كانت تعمل في صيدلية، هكذا حصلت عليه.

الفصل السادس والأربعون

في الصباح التالي ألقت المدعي العام بمجلد القضية على مكتبها بتقزز. قالت دومينجيز: «سنطلق سراح باتريك، لن نفوز بهذه القضية، إلا إذا انهار واعترف».

أوماً باستيدو وقال: «نعم، ومحاميه اللعين لن يترُكه يتحدث، لم نستطع الحصول على كلمة منه».

فكرت للحظات ثم قالت: «وشاهدتنا الوحيدة متَّهمة بسرقة المخدرات والإتجار بها».

ثم أضافت: «للأسف قانون المهلة القانونية يمنعنا من ملاحقتها بسبب المخدرات».

قال باستيدو بعد لحظات بتعبير مرهق على وجهه: «اسمعي، من الناحية الإيجابية...، فكري في الأموال الطائلة التي سنوفرها على الدولة بما أننا لن نعقد محاكمة، لن نضطر إلى الدفع حتى يقضي حكم بمدى الحياة في السجن».

أصدرت صوتًا ساخرًا مستهجنًا.

- نعم، لكن لديّ حدسًا بأنه قد فعلها.

- أنا أيضًا.

نهض ليرحل.

- سأخبرهم بأن يسقطوا التهم، ويطلقوا سراحه.

تلقى روبرت لانج مكالمة على هاتفه، سيسقطون التهم ضد باتريك، وسيطلقون سراحه. أخيرًا. اتجه لانج إلى السجن كي يخبر عميله بهذا الخبر السار. عند وصول لانج، قابله الشريف باستيدو في المدخل، دخلا معًا إلى غرفة الاستجواب، حيث أحضروا باتريك. كان متعبًا وخائفًا عندما رأى الشريف مع محاميه. كان هذا غير متوقع، بدا وكأنه يتوقع الأسوأ. أسرع لانج لطمأنته، والابتسام له.

- باتريك، لدي أخبار سارة، سيسقطون التهم، أنت حر، ستذهب إلى المنزل.

سمع باتريك الكلمات لكنه لم يستوعبها حقًا. تقدم محاميه إلى الأمام واحتضنه، فجأة استوعب الأمر، وغمرته الراحة. للحظات، استراح على صدر لانج؛ شعر أنه سيموت في السجن رغم طمأنة لانج له، كان مرعوبًا من المحاكمة، ومن إثبات التهم عليه، ومن أنه لن يرى نور الصباح مجددًا.

- سنرحل حقًا؟ الآن؟

تمكن باتريك من السؤال.

- نعم، ستعود لمنزلك هذه الليلة. وجدت مقعدًا لك على متن طائرة الظهرية، حجزت لك بالفعل.

بدأ باستيعاب الأمر، تختفي الصدمة وتغمره الراحة. لا يستطيع الانتظار لتمزيق ملابس السجن النتن، وغسل آثار السجن المقززة عن جسده، والنوم في سريره مجددًا.

- لنبدأ بإنهاء الإجراءات.

تساءل باتريك عن ردة فعل ستيفاني حول عودته إلى المنزل بشكل غير متوقع.

وكانه يقرأ ما بذهنه، أخبره المحامي:

- سنتصل بزوجتك ونبلغها بالأخبار الجيدة.

جلست ستيفاني على الأريكة في غرفة المعيشة، مدهوشة. تحدثت للتو مع باتريك عبر الهاتف، هو في طريقه إلى المنزل، لا تصدق ما سمعته، ظنت أنه في السجن وسيواجه محاكمة بتهمة القتل. الآن، أطلقوا سراحه، وأسقطوا

التهم. سيكون في المنزل هذه الليلة. ظنت أن لديها مزيدًا من الوقت لتفكر في الأمور. الآن لا تدري فيم تفكر وماذا تفعل.

إيريك كاذبة؛ هي متأكدة من أنها كذبت في جلسة التحقيق حول الابتزاز. لكن زوجها كاذب أيضًا. هذا ما يقوله جهاز كشف الكذب. من تصدق؟ تريد أن تتخلص منهما الاثنين. انتابتها أفكار سيئة حول باتريك. لم تره منذ أن فشل في اجتياز اختبار كشف الكذب، عندما تفقد الثقة في أحدهم، يختفي الحب، وتبدأ بحماية ذاتك.

قد تهجره؛ يمكنها الرحيل وأخذ الطفلتين معها قبل عودته، ولن تخبره إلى أين ستذهب. جلست، مرتعبة على الأريكة، تفكر في الأمر. ليس لديها الكثير من الوقت، والضغط يشل تفكيرها. إن هربت سيكتشف مكانها في النهاية، وسيقف القانون في صفه، لا تملك حق أخذ الطفلتين منه والهروب، في نظر القانون هو رجل بريء، وله الحق في ابنتيه.

فكرت في الطفلتين، تشعر بقلبها يدق في حلقها، عصافيرها الصغيرة، شعرت بالخوف يجتاحها، لو أنه قتل زوجته الأولى حقًا وطفلتها في أحشائها، إن كان قادرًا على فعل ذلك... فإن حاولت أخذ الطفلتين وتركه... هل سيقتل جاك وإيما؟ هل سيقتلها؟ شعرت بالدوار في رأسها، واجتاحتها رغبة في التقيؤ. أصبحت تفكر كثيرًا مؤخرًا في الرجل الذي قرأت عنه في الأخبار، ذلك الذي خنق أطفاله بالوسائد وطعن زوجته حتى الموت، هذا شيء عليها أن تنتبه له.

هل كان باتريك عنيفًا قبل زواجهما؟ هل دفع زوجته من أعلى الدرج؟ هل كانت حياتها مع باتريك كذبة كبيرة، وكانت تعيش مع قاتل طيلة هذا الوقت؟ الأهالي، وغالبًا الآباء، معروف عنهم قتل أبنائهم للنيل من زوجاتهم المنفصلات عنهم، ثم يقتلون زوجاتهم. لا يتوقع أحد ذلك أبدًا، وهو فعلها مرة بالفعل على الأرجح.

وهو عائد للمنزل الليلة.

الفصل السابع والأربعون

تعثر باتريك وهو يضع مفتاح الشقة في الباب. لقد تركت إنارة الشرفة الأمامية مضاءة من أجله. تأخر الوقت، لقد اجتازت الحادية عشرة. قضى رحلة طويلة حتى عاد إلى المنزل. أجزّ سيارة من مطار «لاجارديا»، عوضاً عن جَعْل ستيفاني تقود بالطفلتين إلى المطار كي تقلّه إلى المنزل.

حَظِيَ بكثير من الوقت للتفكير؛ اصطحبه لانج مباشرة إلى مطار دينفر، حيث احتفلا واحتسبا مشروباً في الحانة ثم صعد على متن الطائرة. بدأت السعادة التي كان يشعر بها سابقاً تهدأ وهو يفكر في القادم. لكن على الأقل، انتهى كل شيء وإلى الأبد، ولن يتغير ذلك مهما حدث. لن تستطيع إيريك أن تفعل له أي شيء بعد الآن. لا يملكون الدلائل الكافية للمحاكمة، وإيريك فقدت مصداقيتها بالكامل. هي كاذبة ومجرمة، وهو حر منها ومن الماضي.

عليه أن يقنع ستيفاني الآن أن كل شيء سيصبح على ما يرام، وأنهم يستطيعون البدء من جديد، ولن يُلْحَق الماضي الأذى بهم مجدداً. هم أحرار! لقد تمت تبرئته، سينتشر في الأخبار خبر إسقاط التهم عنه. لم يكن لديه أدنى فكرة عن اتجار إيريك بالمخدرات في ذلك الوقت. لم يعرف الكثير عنها حينها، كانت معرفة شهوانية فقط. سيتخطى ذلك كله، وسيبدأ من جديد. سينشئ شركته الخاصة، وسيجعل نايل يرى ما هو قادر على فعله. سيندم نايل على تخليه عنه، وسيُري ستيفاني أن لديها سبباً لتفخر به.

لكن الآن، عليه أن يتحدث مع ستيفاني، ويشرح لها، حاول ألا يتضايق من شكوكها الواضحة تجاهه، على الرغم من أن كذب إيريك في جلسة التحقيق كان واضحاً وضوح الشمس لستيفاني.

يمكنه أن يبزر فشله في اختبار كشف الكذب. يدرك أن ستيفاني توقفت عن تصديقه في مكتب المحامي في ذلك اليوم، لا يزال يذكر ردة فعلها عندما أدركت أنه فشل في الاختبار. عاد المشهد مرارًا وتكرارًا في ذهنه بينما كان في السجن. تعتقد أنه قتل زوجته عمدًا، وعلى الأرجح ما زالت تعتقد ذلك، حتى بعد إطلاق سراحه. عليه أن يغير رأيها. يأمل أن تعفو عنه ويبدأ من الصفر. أحبته يومًا ما، ولم يكن ذلك منذ زمن بعيد، لا تزال لديهما الطفلتان كي يفكرا في شأنهما، لديهما حياة ليخططا لها معًا.

فتح الباب، هناك ضوء خفيض يأتي من غرفة المعيشة، لا بد أن الطفلتين نائمتان بالطابق العلوي. وضع مفتاحه على الطاولة الجانبية، نزع معطفه، وعلقه، ثم سار ببطء نحو غرفة المعيشة. كانت زوجته في انتظاره؛ تجلس على الأريكة في ظلام شبه دامس، وعندما نظرت إليه لم تتحرك. لم تجرّ تجاهه أو تحيطه بذراعيها، لم يتوقع أن تفعل ذلك، لكنه يشعر بخيبة الأمل.

تسمر في مكانه بينما حدّقًا إلى بعضهما بعضًا. لا يروقه التعبير على وجهها، تبدو خائفة، كأنها مرعوبة منه. هل هكذا ترحب به، بعد أن تمت تبرئته؟ بعد كل ما مر به؟ لم يعط ستيفاني أي سبب لتخشاه، كان محاميه فرحًا لأجله، محاميه يعرف أن اختبارات كشف الكذب لا قيمة لها. يجب أن تكون هي سعيدة أيضًا، هي زوجته، يجب أن تمنحه بعض الثقة أو على الأقل تظل تساورها الشكوك.

قال بصوت مرتبك، وهو يتقدم داخل الغرفة:

- ستيفاني. أنا هنا، كل شيء على ما يرام. سيكون كل شيء بخير. انتهى كل شيء. لن تستطيع أن تؤثر فينا بأي شيء بعد الآن.

حدقت زوجته إليه، بعينين متسعيتين. عليه أن يجعلها تصغي إليه، وتفهمه. خطأ خطوة أخرى إلى الأمام.

- إيريكا كاذبة.

قال بنبرة أقوى.

- أنت تعرفين ذلك؛ أرادت المال، أرادت أن تؤذيني، هذا كل شيء، لقد تركوني لأنهم لا يمتلكون قضية، يعرفون أن هذا كله كذب وافتراء، لقد اختلقت كل هذا. هي فاقدة للثقة ولا يمكن الاعتماد عليها.

سألته بصوت حاد:

- ماذا حدث؟

شرح لها..

- اكتشفوا أنها سرقت المخدرات من الصيدلية التي عملت بها وتاجرت بها. لديهم دليل على ذلك، شاهد.

رأى الصدمة في وجهها، كان واضحًا أنها لم تتوقع ذلك.

- ستفعل أي شيء كي تحصل على المال.

أضاف بمرارة.

- لا تأبه بمن تضر.

ظلت صامتة، كأنها غير قادرة على فهم ما يقوله. وواصل كلامه، محاولًا ألا تصيبه خيبة الأمل في ردها

- هذه أخبار جيدة، ستيفاني.

قالت ستيفاني أخيرًا:

- أنت فشلت في اختبار كشف الكذب باتريك. ماذا تتوقع مني؟

شعر بنوبة من الاستياء، كم مرة عليه أن يشرح هذا؟ اقترب منها وجلس بجوارها.

- أعرف، ويمكنني أن أوضح ذلك.

أبعد بعض الشعيرات عن وجهها، حركة مألوفة لكنها أبعدت نفسها عنه، غاص قلبه، وابتعد عنها قليلًا كي يعطيها مساحة.

- لم يشعر أحد بالصدمة كما شعرت أنا حين فشلت في الاختبار.

نظر إليها وانتظر حتى رفعت نظرها إليه.

- الأبرياء يفشلون في اختبار كشف الكذب دائمًا.

سكت قليلًا ثم أكمل.

- ربما فشلت في الاختبار لأنني كنت متوترًا. لأنني كذبت عليك بشأن أمر

آخر. ستيفاني، كذبت بشأن مدة علاقتي بإيريك.

أغلق عينيه للحظة، حتى يتحاشى النظر في عينيها، ثم فتحهما مجددًا كي يراقب ردة فعلها.

- أخبرتك أنني طارحتها الغرام مرتين، لكن الحقيقة أكثر من ذلك.

بدت كأنها ستتقيأ. أكمل كلامه وهو يشعر كأنه يقف على حافة الهاوية، كل شيء يعتمد على تصديقها له من عدمه.

- لم أرد خسارتك؛ أنتِ والتوأمتان تمثلون عالمي بأكمله. أنا أعرف أنني لست قاتلاً، لكنني اعتقدت أن معرفتك بعدد المرات التي طارحت فيها إيريك الغرام ستحُك على هجري، ولن تصدقي أي شيء آخر. ولأنني كذبت بشأن هذا الأمر عليك، كان عليّ أن أقول نفس الشيء في جلسة التحقيق. أشعرته الطريقة التي تنظر بها إليه بالتوتر، لذا بدأ بالسير جيئةً وذهاباً في الغرفة أمام الأريكة، بذات الطريقة التي اعتادها منذ أن عادت إيريك إلى حياته. - أرادوا أن يُجروا اختبار كشف الكذب ولهذا كنت خائفاً. كنت مرتبكاً، ولهذا أعتقد أنني فشلت في الاختبار.

نظر إليها واليأس في صوته.

- لكن الأمر ليس كما ادعت، لم نكن عاشقين، كانت علاقة جسدية بحتة، كنت في الثالثة والعشرين فقط، وزوجتي كانت حاملاً، وتوقفنا عن ممارسة الجنس معاً، أعرف أن هذا ليس بعذر، أعرف. لكن من المستحيل أن أقتل ليندسي، ليس من أجل إيريك، ولا من أجل أي شيء آخر. أنا لست بقاتل! الفكرة كانت لتكون مضحكة لو لم تكن مرعبة ولعينة!

نظرت إليه بفزع وقالت:

- كذبت في الاستجواب، حنثت بالقسم لتنجو بنفسك. أوماً.

- أعرف، لكن كل شيء انتهى الآن. لن يعرفوا أبداً.

فكر أنه لن يحدث ذلك إلا إذا أخبرتهم بنفسها.

حدقت إليه ستيفاني بعينين واسعتين، أخيراً سألته بصوت قاس:

- هل دفعتها من أعلى الدرج؟

نظر إليها بفزع.

قال بصوت مهزوم: «لا! لا! كيف تفكرين في ذلك؟ أحببتها. أنا آسف ستيفاني، أنا آسف جداً، جداً، لكل ما تسببت به، أعدك أنني سأقضي ما تبقى من عمري أعوزك عما حدث».

نظر إليها بعينين متذللتين، كل شيء يعتمد على ما سيحدث لاحقاً.

الفصل الثامن والأربعون

نظرت ستيفاني في عيني زوجها، وتساءلت ما إن كانت تنظر في عيني قاتل. تبدو كلماته فارغة وبلا معنى بالنسبة إليها، يستمر في إخبارها بأنه أخبرها بكل شيء بالفعل، لكن هناك المزيد في جعبته طيلة الوقت، ماذا بعد؟ هل سيقف فوقها يومًا ما بسكين في يده ويخبرها قبل أن ينحر عنقها: نعم، شيء آخر، أنا وضعت الثلج في أنبوب العادم بنفسني وانتظرت موتها؟ شعرت برعشة تسري في جسدها، ضغطت بيديها حافة الأريكة لتجمع من رباطة شأنها، لا تقدر على التحدث.

توسل إليها، وصوته يتداعى: «ستيفاني، قولي شيئًا من فضلك».

قالت أخيرًا بصلافة: «لا أدري.. لا أدري ماذا أقول».

لكنها تفكر في مدى سهولة الكذب بالنسبة إليه، كذب عليها، كذب في أثناء جلسة التحقيق، حنت بالقسم، ولا يبدو أنه يكثر بالأمر. نظرت إليه.

- كنت تكذب عليّ طيلة الوقت.

قالت أخيرًا، وقد أصبح صوتها مسموعًا أكثر.

- لماذا أصدقك الآن؟ هل لديك أدنى فكرة عما أشعر به الآن؟

فاجأه هذا قليلًا، لماذا فاجأه هذا الأمر؟ هل توقع أن تصدّقه؟ فقط لأن إيريك كاذبة لا يجعله هذا صادقًا. تعتقد ستيفاني أنهما حبة بقول قد انقسمت إلى نصفين؛ متمثلان ويستحقان بعضهما بعضًا. ربما قدّر لهما أن يكونا معًا.

- لديك كل الحق لتكوني مستاءة.

- مستاءة!

صرخت، ثم أخفضت صوتها.

- ما أشعر به ليس القليل من الاستياء باتريك.

تساءلت إلى أي مدى يمكنها أن تزعبه أكثر، على الأرجح زوجها قاتل، إلى أي مدى تجرؤ على مجاراته واستفزازه لتتأكد ولتري إلى أي مدى سينزعج؟ هل سيدفعها هي أيضًا من أعلى الدرج؟ فكرت بتهور أنه ربما عليها أن تتأكد، من المهم لها أن تعرف، أن تعرف ما حدث حقًا في أثناء العاصفة الثلجية منذ كل تلك السنوات. تشعر بالقرب من ليندسي الآن أكثر من أي شخص آخر، تشعر بالقرب من زوجته الميتة أكثر من زوجها. لقد تلاعب بها كل من باتريك وإيريك طيلة هذا الوقت.

سألته فجأة:

- هل هناك ما يحدث هنا ما زلت على غير دراية به، باتريك؟

- ماذا؟ ما الذي تتحدثين عنه؟

تشعر بالإرهاك الجسدي والعاطفي؛ هي مرتبكة جدًا ولا تستطيع التفكير. الجميع يسعى وراء المال، مالها هي؛ هل يعملان معًا للنيل من مالها؟ تداعت أفكارها واحدة تلو الأخرى في تتابع مذعور، هل لا يزال باتريك وإيريك يحبان بعضهما؟ أو ربما هما عاجزان عن الحب، لا يستطيعان الشعور بأي شيء سوى حب الذات، مختلان متورطان في هذا معًا. لا، لا يمكن أن يكونا يعملان معًا. هذا جنون، عليها أن تستعيد رباطة جأشها وتوقف هذا كله، عليها أن تتعامل مع ما بين يديها، ليس ما تتخيله.

سألها بإلحاح: «ما المشكلة؟».

- لا شيء، وكل شيء.

t.me/soramnqraa

جلس مجددًا بجوارها، وضمها إليه بحذر.

- كل شيء سيكون على ما يرام ستيفاني.

تركته يضمها إلى صدره، ويلف ذراعيه حولها، ضمها لفترة طويلة، تشعر بدقات قلبه، تشعر بشفتيه تقبلان رأسها. يعتقد أنها ستسامحه على الأرجح، لكنها لن تسامحه؛ هي تحاول أن تجد طريقة للهروب من كل شيء.

في الصباح التالي، جلست ستيفاني مع باتريك والطفلتين في المطبخ يتناولون الإفطار ويتظاهرون بأن كل شيء على ما يرام، رغم أنه لا يوجد أي شيء على ما يرام، ليس بالنسبة إليها. لا تستطيع أن تتخيل أن يعود كل شيء لطبيعته، لكن باتريك يبدو مقتنعًا بذلك. كانت ستيفاني تسكب لنفسها كوبًا من القهوة عندما سمعت صوت جرس الباب. أشاحت بنظرها عن ماكينة القهوة ونظرت من مدخل الباب الأمامي، رأت شخصًا لم تتبين من هو بسبب الزجاج المموج، اعتقدت أنها إيريك، وغاص قلبها.

- سأفتح الباب.

قال باتريك ودفع كرسيه إلى الوراء، حاولت ألا تستسلم لنوبة من الدوران، بينما ثرثرت الطفلتان في مقاعدهما العالية، لا يدركان ماذا يحدث.

راقبت ستيفاني الباب وهو يفتح، وحاولت دفع الهلع عنها، رأت وجه هانا المألوف. وقد فغرت فاهها من الصدمة.

قالت هانا: «باتريك».

أفاقست ستيفاني، وأسرعت نحو المدخل.

- مرحبًا هانا.

قالت سريعًا، لا بد أن هانا توقعت أنها لن تكون سعيدة بعودة باتريك.

- لقد عدت.

قالت هانا لباتريك، وهي تحاول أن تبدؤ طبيعية.

تشعر ستيفاني بشيء ما في صوت هانا، بالإضافة إلى الصدمة الواضحة، هناك توتر وخوف على الأرجح.

قال باتريك بسهولة: «نعم.. أسقطوا التهم كلها بالأمس، عدت للمنزل ليلة أمس، تمت تبرئتي بالكامل، كما هو متوقع».

شعرت ستيفاني بالإعياء قليلًا حول طريقته في شرح الأمر، تمت تبرئتي بالكامل. هل هذا ما سيخبر به الجميع؟ لكن هذه ليست الحقيقة، أليس كذلك؟ هم فقط غير قادرين على إثبات التهم عليه. نظرت هانا إليها وهي تقف وراءه، كأنها تطلب منها أن ترد عليه بصمت. خطت ستيفاني إلى الأمام.

- هل ترغبين في احتساء كوب من القهوة؟

هزت هانا رأسها.

- لا، لا أملك الوقت الكافي، بين يعتني بتيدي من أجلي للحظات، عليه أن يعود للعمل. فقط أردت أن أدعوك والطفلتين لمنزلي هذا الصباح. ربما في العاشرة؟ سأخبز بعض الكعك.
- بالطبع، سأحب ذلك.

أجابت ستيفاني، محاولةً الابتسام. هي تحاول الخروج من المنزل والابتعاد عن باتريك، حتى ولو لبضع ساعات. لا تقدر على التفكير بعقلانية وهو حولها، تشعر أن عليها الحذر منه طيلة الوقت وتقدير الأمور. إنه لأمر منهك ألا تستريح أبدًا. عليها أن تتعامل بصورة طبيعية، لكنها لم تعد تعرف ما هو «الطبيعي» بعد الآن. لا يوجد شيء طبيعي، ليس هنا، ينبغي لها أن تكون مع شخص تستطيع أن تستريح حوله، حتى ولو لوقت قصير.

قضت الليلة السابقة مع باتريك في فراش الزوجية، أدارت ظهرها له بينما احتضنها من الخلف ولفَّ ذراعه حولها، كرهت الأمر. غفا سريعًا. لكنها ظلت مستيقظة لوقت طويل، ما إن بدأ بالشخير، أزاحت يده من حول خصرها، وابتعدت بعيدًا عنه نحو النصف الخاص بها في السرير.

اكتشفت إيريكما ما حدث بنفس الطريقة التي تكتشف بها كل شيء، صفحة الأخبار الرئيسية على هاتفها. كانت تتناول وجبة إفطار متأخرة في شقتها عندما رأت القصة على هاتفها. أسقطت التهم الموجهة إلى باتريك، ولم يفصح عن السبب. هاتفت مكتب الشريف في كريمور، بالكاد الساعة الثامنة صباحًا في كولورادو، هي محظوظة لأن الشريف في مكتبه. انتظرت بصبر حتى حوّلوا مكالمتها له.

أخيرًا، أجب على الهاتف.

أخبرها الشريف باستيدو:

- كنت أتساءل إن كنت ستتصلين.

شرح لها أنهم لا يمتلكون أدلة كافية ضده، ثم غلى الدم في عروقه عندما أخبرها أنهم اكتشفوا ماضيها عندما عملت تاجرة مخدرات لوقت قصير. ظنت أن تلك القصة قد أصبحت طي الكتمان. وأنه لن يكتشف أحد القصة.

اعترضت:

- هذا غير صحيح بالمرة.

- صحيح.

أنهت المكالمة دون كلمة أخرى.

جابت شقتها في حالة من الاحتياج، استشاطت غضبًا حول مجريات الأمور، أمسكت بالوسائد فوق الأريكة وألقت بها عبر الغرفة. هي ثائرة جدًا حتى إنها قلبت طاولة القهوة وكل ما فوقها، الكتب والمجلات وطبق الحلويات طارت كلها في الهواء. ثم انهارت على الأريكة وحاولت أن تهدأ.

لا يهم حقًا إن تمت محاكمة باتريك أم لا، لكن كان سيصبح من المسلي أن تراه يعاني، لكن من الناحية المادية، لن يشكل هذا فارقًا، لن ترغب عائلة مانينج برؤيتها تتجول حول ابنهم، وإخباره بالحقيقة. سيدفعون لها، وسيستمرون بالدفع لها.

كانت ستيفاني في طريقها للخروج متجهة إلى منزل هانا مع الطفلتين عندما أوقفها باتريك ليقبّلها قبلة الوداع. تركته يقبل شفقتها، رغم كرهها لتلك اللمسات، لا تستطيع منع نفسها من التفكير في إيريك. حاولت أن تخفي اشمئزازها منه، لا تريده أن يكتشف حقيقة ما تشعر به، وما تفكر فيه، هي بحاجة إلى مزيد من الوقت.

فقط لأن إيريك كاذبة، لا يعني أنها كذبت بشأن باتريك. كما أنها غير راضية عن تفسيره لفشله في اختبار كشف الكذب. لكنها تعلم الآن على الأقل أنه أقام علاقة جنسية مع إيريك مرات عدة وأنه كذب بشأن ذلك، وأنه حنث بقسمه.

لا تدري كيف سيتصرف لو تركته. يبدو مهووسًا بها منذ أن عاد للمنزل، يحاول لمسها طوال الوقت، ربما لأنها لم يزعجها الأمر من قبل لم تلحظ ذلك قط، أو ربما هو اشتاق لها وهو في السجن، أو ربما يشعر برغبتها في الابتعاد عنه، كيف سيتصرف لو تركته؟

هل سيلجأ إلى العنف؟ سيكون غاضبًا جدًا بالطبع. لكنها لا تدري ماذا سيفعل، لو تركته وأخذت الطفلتين والأموال معها، هي لا تعلم ما هو قادر على فعله. هل تبقى أم ترحل؟ لا تستطيع أن تقرر. ربما مع مرور الوقت سيتبين لها القرار الصائب، وسيصبح أكثر وضوحًا.

استلقت في سريرها الليلة الماضية، وظلت مستيقظة حتى الفجر، تفكر كيف أن مشكلاتها كلها ستحل لو أنه مات في حادث سيارة؛ ربما ستصدمه

سيارة يقودها سائق مخمور، لكن هذه الأشياء لا تحدث فقط لأنك تمنيت وقوعها. ويبدو أن الطيبين فقط هم من تؤخذ أرواحهم بتلك الطريقة.

هي محاصرة. فكرت ستيفاني في كل هذا وهي تقف على عتبة باب هانا، تكاد يغشى عليها من التعب، ثم قرعت جرس الباب. فتحت هانا الباب ودعتها للداخل. أجلس ستيفاني الطفلتين في غرفة المعيشة بينما عادت هانا للمطبخ لتحضر القهوة. تشم ستيفاني رائحة الكعك. أغلقت عينيها للحظات، محاولة كبخ دموعها، تذكرت كم كانت الحياة بسيطة، هي وهانا تجتمعان معًا تتحدثان عن الأطفال والقهوة والكعك وأهم الأخبار. كيف ساءت الأمور إلى هذا الحد؟ سمعت هانا تعود إلى غرفة المعيشة وفتحت عينيها، كابحةً الدموع.

- دقائق وستصبح القهوة جاهزة.

أخبرتها هانا، ثم نظرت إليها عن قرب وقالت: «أخبريني ماذا يحدث؟». لا تدري ستيفاني ماذا تقول. هذا أمر آخر فكرت فيه ليلة أمس أيضًا، ماذا ستقول لهانا؟ هل تتظاهر بأن كل شيء على ما يرام؟ أم تكون صادقة معها؟ هي ليست مستعدة لذلك، أخيرًا، ترسم ابتسامة مفتعلة على شفثيها.

- كل شيء على ما يرام.

أخبرتها لماذا أسقطوا التهم، وأوضحت لها بشأن إيريكا وماضيها الجنائي. نظرت هانا إليها باهتمام، هي لا تنخدع بسهولة.

- لكن ماذا تعتقدين أنتِ؟

ابتلعت ستيفاني ريقها

- خان زوجته الأولى، أنا أعرف ذلك، تمكنت من مسامحته على ذلك، أعتقد. لكن إيريكا كاذبة وهذا واضح، لم تكن تنفوه سوى بالأكاذيب عن الحادث. الجميع يعلم ذلك الآن. كان الأمر مريعًا، وحادثًا رهيبًا. توقفت قليلًا ثم أضافت.

- لكن باتريك يعلم لو أنه خانني يومًا، سأهجره.

استمرت هانا في النظر إليها بقلق، لكن ستيفاني ابتسمت لها.

- ليس لدي ما ينبغي القلق بشأنه بعد الآن، كل شيء على خير حال، لكنني أتصور جوعًا لواحدة من كعكاتك.

الفصل التاسع والأربعون

أخذت نانسي حقيبتها ومعطفها وغادرت المنزل متجهة لجلسة التمرينات الرياضية. كادت تفتح باب سيارتها عندما رأت سيدة تقترب منها وقد نزلت من سيارة متوقفة في الجهة المقابلة من الشارع. تعرفت إيريكاً على الفور، وشعرت بالخوف. لماذا هي هنا؟ ترغب نانسي في قيادة سيارتها بسرعة وبعيداً عنها، لكن فجأة، لم تقدر على الحراك. عوضاً عن ذلك، وقفت تشاهد إيريكاً تسير تجاهها حتى وقفت بجوارها في مدخل السيارات، تعبث الريح بشعرها الأشقر، كيف لامرأة أن تحمل بداخلها كل هذا الجمال والقبح في آن واحد.

قالت إيريكاً: «مرحباً نانسي».

سألتها بجدية: «ماذا تريدان بحق الجحيم؟».

- لا يجيب زوجك على مكالماتي.
- بالطبع لن يفعل. أخبرتك أنه سيهجرك ما إن أخبرته أنني عرفت. لا يريد رؤيتك أبداً مجدداً. لا يريد خسارتي.

رمقتها إيريكاً بنظرتها الفاحصة التي ترزعج نانسي كثيراً، هي تعرف الآن ماهية هذه السيدة، لم تكن تعلم من قبل عندما واجهتها في شقتها، وهي مرتعبة الآن. هي فقط تريدها أن تختفي من حياتهم. كيف لها أن تتخلص منها؟

- إن كنت متأكدة جداً، لم أنت متوترة؟

سألتها إيريكاً باستفزاز.

- أنا لست كذلك.

- مِمَّ أنت خائفة؟

سألتها إيريكا ببطء.

- ماذا تخفين؟

- لا شيء.

أجابت نانسي فورًا. فكرت للحظات وقالت: «لِمَ لا تصدقين بوجود رجل يرغب في إنهاء علاقة غرامية غبية والإبقاء على زيجته».

- أخبريه أن يتصل بي.

صرخت نانسي: «ابتعدي عن حياتنا بحق الجحيم!».

ابتسمت إيريكا وأخبرتها.

- اجعليه يتصل بي، حسنًا؟

استدارت وسارت باتجاه سيارتها مجددًا، شاهدتها نانسي تقود بعيدًا، ثم أغلقت باب سيارتها وهي ترتعش، وعادت إلى المنزل.

أوصدت الباب خلفها وانهارت على الأريكة، وتكورت على نفسها في وضع الجنين. يغشاها الخوف والرعب. هي خائفة من أن تكتشف إيريكا ما تخفيه هي ونايل منذ ست سنوات. لا تريد أن تفكر في الأمر، لكن الخوف والذنب يسحبانها إلى الماضي.

وقعت الحادثة في ليلة ماطرة في نهاية نوفمبر. كانت عائدة بصحبة نايل بعد تناول العشاء في أحد المطاعم بمقاطعة «ويست تشستر» التي تبعد قرابة ساعة عن ايلسفورد. كانا يحتفلان معًا، بعد أن نُشرت عن نايل مقالة رائعة في إحدى مجلات الهندسة المعمارية، احتسبا الكثير من الشراب وتناولوا الطعام.

سألته وهما يتناولان معطفيهما:

- هل أنت واثق من قدرتك على القيادة؟

- نعم أنا بخير.

قال نايل وبدا بخير فعلاً، لم يبدُ مخمورًا؛ لكنها احتستت الشراب هي الأخرى، وربما لم يكن حكمها في محله.

بعد أن بدأ بالقيادة بفترة وجيزة، هطلت الأمطار بشدة، ومال نايل على عجلة القيادة محاولاً النظر جيداً في ظلمة الليل. السيارة كانت دافئة.

كان صوت احتكاك المساحات بالزجاج الأمامي صاخبًا ومنظمًا كالمنوم المغناطيسي، مما جعل نانسي تنام.

فجأة، أيقظها صوت اصطدام عنيف، شعرت بالسيارة تنحرف ثم تعود مجددًا لوسط الطريق.

- ما هذا؟

صرخت، ونظرت إلى زوجها، الذي بدا مذهولًا.

- لا أدري، ربما اصطدمت بشيء ما، لم أرَ جيدًا.

استمر في القيادة، تقبض يده بشدة على عجلة القيادة، كادت تخبره أن يتوقف لكنها لم تفعل، حاولت إقناع نفسها أنه لم يكن هناك أي شيء، وما إن قادا لبضع دقائق كان من المستحيل العودة مجددًا.

- كان أرنبا على الأرجح.

قال نايل بعد دقيقة، لكن كليهما يعلم أن الأرنب لن يحدث صوتًا كهذا. عادا إلى المنزل ولم يذكر الموضوع ثانية. استلقيا في السرير وغفوا في النوم.

في الصباح التالي، استيقظت نانسي والتقطت جريدة الأخبار من أمام الباب الأمامي للمنزل. رأت قصة صغيرة في نهاية الصفحة الأولى، وتغيرت حياتها إلى الأبد. تعرض شاب في مقتبل العمر كان يسير بجانب الطريق السريعة في المطر على حافة مقاطعة ويست تشستر، على الأرجح مسافر متطفل⁽¹⁾، لحادث حيث اصطدمت به سيارة تسببت في وفاته على الفور ليلة أمس. هربت السيارة، ولم تكن هناك كاميرات مراقبة أو شهود. تناشد الشرطة من لديه معلومات حول الحادث.

قرأت نانسي المقالة مرتين، حتى اجتاحتها استياء مريع، دلفت مذعورة إلى المطبخ ومنه إلى الباب الملحق بالجراج. استغرق الأمر بضع دقائق حتى استجمعت قوتها لتفتح الباب. فكرت في إيقاف نايل، لكنها أرادت أن ترى الأمر بنفسها أولاً، في الجراج، جثت على ركبتها تشعر بالبرد القارص في

(1) المسافرين المتطفلين: Hitch-hikers أو إيقاف السيارات، هي طريقة سفر قليلة التكلفة، يستخدمها غالبية الشباب في رحلاتهم. ينتقل الرحال من مكان إلى مكان مستخدمًا الإشارة بيده لأصحاب السيارات كي يصحبوه معهم في طريق سفرهم دون أن يدفع أجرًا مقابل خدمتهم له.

ملابس النوم التي ترتديها وقدميها العاريتين، وتفحصت السيارة. كان هناك بعض الضرر في المصد الأمامي ناحية المقعد المجاور للسائق، لكنه لم يكن ملحوظاً.

هرعت إلى الطابق العلوي وأيقظت نايل، ودفعت بجريدة الأخبار في وجهه.

- هل نحن من فعلناها؟

سألته بخوف. راقبته وهو يقرأ المقالة ورأت الذعر يملك منه. نظر إليها، والخوف واضح على وجهه، هز رأسه مراراً وتكراراً.

- لا أدري، ظننت أنه لم يكن شيئاً.

- لكن الموقع، كنا هناك عندما اصطدمت بشيء.

أصرت.

سألها نايل وهو يلتفت إليها: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

- لا أدري.

قال نايل بصوت مرتجف: «لقد وقع الضرر، لقد مات الرجل. لو أنني من اصطدمت به، يا إلهي».

نهض من السرير وبدأ يجوب الغرفة.

- على الأرجح تجاوزت الحد المسموح به في السرعة، وهربت من موقع الحادثة. غالباً سيزجون بي في السجن.

- لا، لا، لا.

صرخت نانسي، والدموع تنهمر على وجنتيها.

- سأتصل بوالدي، لينصحن بما ينبغي لنا فعله.

- لا، أبقيه بعيداً عن هذا.

- يمكنه مساعدتنا، نايل! هو قاضٍ، سيعرف ما يفعله.

اعترض نايل.

- سيطلب مني تسليم نفسي للعدالة.

- سيفعل فقط لو أن هذا هو الخيار الأفضل. سأتصل به.

جلس نايل يائساً، رأسه بين يديه بينما تتصل نانسي بوالدها. أخبرته أنها حالة طارئة، وقدم إلى منزلهما بعد ساعة فقط، دون والدتها كما طلبت منه. سألهما بصورة مباشرة:

- ما الأمر؟ ما المشكلة؟

أخبراه بكل شيء وأرياه الجريدة، اكفهرَّ وجه القاضي، وسأل نايل بتقزز: - كيف قدت السيارة وأنت مخمور؟ كيف تركت موقع الحادثة؟ فيم كنت تفكر؟

- أبي من فضلك ساعدنا.

توسلت نانسي، التي ترى بوضوح الصراع في عيني والدها. لم يكن قادراً على تحديد موقفه. يعرف الجميع أن على نايل تسليم نفسه، لكنها أرادت من والدها أن يسمح له بالألا يفعل ذلك أو كي يساعدهما فيما حدث. انتظرت. - دعيني أرى السيارة.

اتجهوا نحو الجراج، نظر إلى السيارة لوقت طويل دون أن يتحدث. أخيراً قال: «لو أنها اصطدمت بشخص ما، كان ليكون هناك ضرر أكبر». تنفست نانسي أخيراً.

- ربما صدمه شخص آخر.

استدار القاضي مجدداً، وعاد لداخل المنزل منكس الرأس، ما إن عاد إلى كرسيه في غرفة المعيشة قال:

- لا أستطيع أن أخبرك ما عليك فعله، الطريقة الوحيدة للتأكد هي أن تسلم نفسك للعدالة.

قالها القاضي ونظر مباشرةً إلى نايل.

- دعهم يفحصون السيارة، سيقدّر النادل في المطعم مقدار الشراب الذي احتسيتموه، ستواجه عقوبة بالسجن على الأرجح. بدأت نانسي بالانتحاب مجدداً.

انتظر القاضي للحظات ثم قال:

- لكن يمكنني أن أقول لك إن معدل حل قضايا الاصطدام والهروب هزلي الآن. لا توجد كاميرات مراقبة أو شهود.

صمت للحظة أخرى، لحظة طويلة، بدا مستاءً.

- أيًا يكن ما ستقرره، لن أقول أي شيء.

نظرت نانسي إلى نايل، ماذا سيفعل الآن. انتظرت والدها حتى يكون أكثر وضوحًا حول ما يجب فعله.

سأله نايل: «ماذا عن السيارة؟».

قال القاضي بتعب: «لا شيء. لا تأخذها للإصلاح، ليست بحاجة إلى ذلك، كما أنهم يراقبون مثل تلك الأمور الآن، لن يلحظ أحد الأمر».

ولم يلحظ أحد. لوقت طويل كانت نانسي تستيقظ كل يوم آملّة أن يعرفوا القاتل وأن يكون شخصًا آخرَ بسيارة متضررة بشدة، دليل دامغ على براءتهما. لكن هذا لم يحدث. اختفت القصة سريعًا من عناوين الأخبار.

الآن، تتكور نانسي على الأريكة، وقد ضمت ركبتيها لصدرها، تقاوم رغبتها في مهاتفة أبيها.

الفصل الخمسون

شعر باتريك بقليل من الرضا عندما رأى الصدمة على وجه موظفة الاستقبال عند دخوله إلى المكتب.

- باتريك!

- مرحباً كيري.

قال بابتسامة منتصرة: «هل نايل هنا؟».

لا بد أن نايل سمع بوجوده لأنه هرول نحو ردهة الاستقبال.

- باتريك!

بدا مدهوشاً تماماً كموظفة الاستقبال.

كانت لحظة حرجة؛ عندما تحدثا آخر مرة، كان باتريك يتوقع أن يتم القبض عليه، كما أخبره نايل عن فض الشراكة بينهما، كان الوضع قاسياً. ما زال نايل يبدو في حال جيدة؛ اللعنة عليه، هذا ما فكر فيه باتريك. لماذا لا يسعد من أجله؟ لم لا يمتلك أي صديق حقيقي على الإطلاق؟

- لدي أخبار جيدة. أسقطت جميع التهم عني، تمت تبرئتي تماماً، كما توقعت.

- هذا رائع! حقاً أخبار رائعة.

قال نايل، وبدا مرتاحاً، لكنه لم يكن متحمساً كما توقع باتريك.

- هل يمكننا التحدث قليلاً؟

- بالطبع، تعال إلى مكتبي.

سار باتريك في أعقاب نايل وجلس على المقعد الذي اعتاد الجلوس عليه، يومياً تقريباً، لمدة أربع سنوات. فكر لدقيقة أنه في هذه اللحظة بالأمس كان

- في السجن، معتقدًا أنه سيقضي نحبه هناك. غريب كيف تتبدل الأحوال على حين غرة بالخير والشر على السواء.
- قال نايل: «أخبرني؛ ماذا حدث؟».
- ليس لديهم أي دليل، لا شيء على الإطلاق. ما إن حققوا بجدية في الموضوع، اكتشفوا أن إيريكافوس مجرمة وكاذبة.
- أوضح باتريك كل ما اكتشفوه عن ماضي إيريكافوس، وهز رأسه.
- كل تلك الأكاذيب التي قالتها عني، كادت تضعني في السجن لبقية حياتي.
- شحب وجه نايل.
- يا إلهي. هل سيوجهون لها التهم؟
- لا أدري، لكنني بريء، وتخلصت منها. أنا مستعد للعودة إلى العمل، دون أي تشتيت.
- بدا نايل ممتعضًا.
- ماذا؟
- سأله باتريك بحيرة.
- نايل، لقد تمت تبرئتي، تمامًا. أدركوا كم أخطؤوا عندما ألقوا القبض عليّ من الأساس، أخبروني بذلك.
- كان يكذب.
- استهل نايل الحديث:
- أعتقد أن هناك سوء تفاهم.
- ما الذي تعنيه بسوء تفاهم؟
- لقد اتفقنا على فض الشراكة بالفعل، باتريك. سأعطيك حصتك من الأموال.
- هذا كان سابقًا، تغيير كل شيء الآن.
- احتج باتريك.
- لماذا ترغب في فض الشراكة حتى الآن؟!

أدرك باتريك أن هذا ما يرغب به نايل بالفعل، وشعر بالأدرنالين يملأ عروقه.

احمرَّ وجه نايل.

- لا تُسئ فهمي، باتريك. أنا مسرور جدًا وسعيد للغاية من أجلك وممتنٌ لأن كل شيء قد انتهى. يجب أن تتعفن تلك المرأة في الجحيم لما فعلته بك. لكن نظرة الناس ليست جيدة، أعني، كل سكان هذه المدينة يلوكون أخبارك بأسننتهم، إنها فضيحة تقريبًا.

- والآن سيتحدثون عن إطلاق سراحي. لم أفعلها يا نايل!

- أعلم وأنا آسف. لكن كي أكون صريحًا معك، كنت أفكر في الأمر قبل ذلك كله، كنت في حالة سيئة لشهور يا باتريك ولا تستطيع إنكار ذلك.

- هذا بسبب التوأمتين! لم أحتَ بِليلة هنيئة لشهور! تعاني الطفلتان المغص، لكنهما بخير الآن. عاد كل شيء لطبيعته، أستطيع العودة إلى العمل وأبذل مئة في المئة من طاقتي. أكثر من مئة في المئة حتى!

- أنا آسف لإخبارك بهذا.

قال نايل وهو يشيح بناظريه عن باتريك.

- وجدت شريكًا جديدًا بالفعل.

رمقه باتريك بنظرة غاضبة، يكاد لا يصدق ما يسمعه.

- يا بن العاهرة!

- لا داعي للسباب باتريك.

قال نايل بانزعاج.

يرغب باتريك في لكم وجه شريكه وصديقه السابق. إذا، هكذا ينتهي كل شيء؛ السنوات الأربع من العمل الجاد لبناء هذا العمل معًا. أدرك أنه لم يتبقَّ له شيء ليخسره بعد الآن.

قال بنبرة اتهام:

- كنت تطارحها الغرام، اعترف بذلك.

شحب وجه نايل أكثر، وبدأ قلقًا فجأة.

- هل جعلتك تلك العلاقة تشعر بالرضا عن نفسك؟ دعني أعطيك نصيحة؛ ابتعد عنها، هي خطيرة، وأنت لا تملك أدنى فكرة عما تتعامل معه.

قال نايل بنبرة مرتعشة:

- لم أعلم شيئاً عن نواياها تجاهك، اكتشفت نانسي بشأن علاقتنا لذا انفصلت عنها، ثم، عندما أخبرتني عن التحقيق ودور إيريكا فيه، شعرت بالإعياء. كانت نانسي تهددني بأنها ستهجرني بالفعل، أردت أن أبتعد عنكم.

غاص في مقعده يعتريه الخزي.

- أيها الجبان اللعين.

قال باتريك وقد هدأت ثورته قليلاً. قرر أن يعفو على مقدرة منه، سيتولى أمره بنفسه. نهض ورحل، رافضاً النظر إلى كيري عند مروره بمكتب الاستقبال، ثم صفق الباب وراءه وخرج.

الفصل الحادي والخمسون

مر قاطنو منزل دانبييري درايف بأيام عصيبة. يتصرف باتريك بعاطفة شديدة تجاه ستيفاني والتوأمتين، متظاهرًا بأن كل شيء عاد كما كان من قبل. إلا أنه بالنسبة إلى ستيفاني، فقد تغير كل شيء.

لم تعد ستيفاني قادرة على اتخاذ القرارات؛ تشعر بالشلل، لذا سلكت النهج الأسهل، وهو ألا تفعل أي شيء. انصب تركيزها على التوأمتين: إطعامهما، استحمامهما، إلباسهما، وتغيير الملابس لهما. تأخذهما للتنزه، تقرأ القصص لهما، وتلعب ألعاب العدّ على أصابعهما.

بدت وكأنها تعاني نوعًا من أنواع الانهيار الداخلي الذي ابتلع كل طاقتها، أو ربما لأنها لا تستطيع النوم. عادت تمارس عاداتها القديمة؛ تجوب المنزل المظلم في الليل، تفكر، وتحقق إلى الطفلتين النائمتين، وتفكر في أبشع ما قد يرتكبه البشر، وتتخيل أشياء، أشياء مريعة.

حان وقت الانفلات منه وهجره. لكنها خائفة، وأكثر ما يخيفها هو التوأمتان. التوأمتان بحاجة إلى أم قوية. أيًا ما يحدث، عليها النجاة، عليها الاعتناء بالطفلتين وحمايتهما. ترعبها فكرة الموت حرقًا في منزلها مع الطفلتين، تفكر في المقلاة المشتعلة على الموقد. لا تدري من وضعها هناك، ربما هي وربما لا.

قطع باتريك حبل أفكارها السقيمة.

- سأخرج قليلًا.

كانت مستغرقة في التفكير فلم تلاحظ وجوده حتى.

غادرت إيريكاً منزلها للتو، كانت متجهة نحو سيارتها عندما شعرت
باهتزاز هاتفها. نظرت إليه وتفقدت هوية المتصل. إنه باتريك، ترددت ثم
أجابت على الاتصال.

- إيريكاً.

قال بنبرة خفيفة.

تتلاحق أنفاسه كأنه يهرول، تسارعت نبضات قلبها رغماً عنها، نظرت
وراءها وتفحصت موقف السيارات خارج شقتها. هو غير موجود، لا. انتظر.
نبض قلبها بجنون، تراه، في الجهة المقابلة من الموقف، يمشي تجاهها،
حاولت أن تُبقي صوتها هادئاً، واستجمعت ثقتها القديمة.

- ما الذي تفعله هنا؟

عندما اقترب، أنهت المكالمات وألقت بهاتفها داخل حقيبة يدها. اقترب
منها حتى كان قاب قوسين أو أدنى من وجهها، هذه هي المرة الأولى التي
ينظران فيها إلى بعضهما منذ جلسة التحقيق.

- لماذا ذهبت إلى القاضي الشرعي بحق الجحيم؟ ألم نصل إلى اتفاق.
همس بشراسة.

نظرت إليه في دهشة.

- هذا ما أعتقد أنه أيضاً، حتى حاولت خداعي، ماذا كنت تتوقع؟

- عم تتحدثين بحق الجحيم؟

إنه يحدق إليها، تشم رائحته، هو يتعرق قليلاً، رائحة مألوفة. رفعت
وجهها في وجهه وهمست:

- حاول شخص ما دهسي. لا تتظاهر أنه لم يكن أنت.

ثم قالت بنبرة غاضبة:

- كان ينبغي لك قتلها هي، وليس قتلي أنا.

كانت تتنفس بصعوبة، يتناثر اللعاب من فمها.

- بالطبع ذهبت إلى الشرطة، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لأحمي
نفسي.

اكفهر وجهه بالغضب والاهتياج.

- هراء! لم أحاول دهسك! ألا يمكنك التوقف عن التفوه بالكاذب اللعينة؟
لم تمنحيني الوقت المناسب، كان عليّ التأكد بأنهم لن يشكوا فيّ أبدًا،
الآن، بفضلك بالطبع، لن أستطيع التخلص من ستيفاني مطلقًا، وهذا
كله خطؤك أنت. بذهابك إلى الشرطة أفست الأمور على كلينا!

- لا، أنت من أفست كل شيء. أتمنى أن تحظى بحياة مريعة مع زوجتك
المتحكمة المتغترسة. هذا إن لم تترك.

قالت بمرارة ثم هزت كتفيها وتجاوزته، استقلت سيارتها وقادت بعيدًا.
خطا باتريك سريعًا وبغضب نحو سيارته. بينما كان يقود عائداً إلى
ايلسفورد، فكر مجدداً في تلك الأيام المضطربة عندما منحه إيريكافرسه
الخيار الصادم بين أن يقتل زوجته أو تذهب هي إلى السلطات. كاد يشله
الموقف، جافاه النوم وتملكه الخوف فلم يستطع التفكير. كان يعيش في
حيرة وتردد.

في ذلك اليوم حين ذهب للتنزه مع ستيفاني، كان ثائراً وغير قادر على
اتخاذ القرار. في أثناء الغداء كان قد فكر بالفعل في نصف خطة؛ في طريق
العودة وفي أثناء نوم ستيفاني والتوأمتين في السيارة، سيفلت عجلة القيادة
من بين يديه فجأة ويزعم أنه غط في النوم أو فقد السيطرة على السيارة
ومن منطقة يعرفها جيداً سيسقط من جانب الطريق في البحيرة. لن يحاول
إخراج ستيفاني أو التوأمتين من السيارة الغارقة، سيمنعها من الهروب حتى
لو اضطر إلى ذلك. لكنه سيحاول أن يجعل كل شيء يبدو وكأنه حاول
إنقاذها. لكن ستيفاني أصرت على القيادة في أثناء العودة، حاول الاعتراض،
لكنها بدت وكأن لديها حاسة سادسة، كأنها تعلم ما ينتويه. في النهاية، شعر
بالارتياح، لم يكن ليفلت منها على الأرجح، كانت فكرة بائسة وليدة وضع أشد
بؤساً. ما إن خلص إلى أن الخيار الأفضل هو التخلص من إيريكافمصدر كل
مشاكله، كانت قد ذهبت إلى القاضي الشرعي بالفعل.

لطالما خطط للتخلص من ستيفاني يوماً ما وبطريقة ما، لكن إيريكافكبلت
يديه. تذكر كيف بدأ كل شيء؛ اصطدامه الأخرق بليندسي أعلى الدرج عندما
أدارت ظهرها له. تظاهر بأنه حادث لكنه كان على دراية تامة بما يفعله. كانت
تسقط من على درجات الدرج نحو الطابق السفلي، وظن أن الأمر قد انتهى.
وقعت جثة هامدة لدقيقة بجوار الباب الخلفي، ثم فجأة تحركت... كانت بخير.
ثم أدرك سريعاً ما ينبغي له فعله وهروا إلى أسفل الدرج ليساعدها، مكرراً

أسفه، ومتهيجًا حولها، متظاهراً بالاهتمام. لم تشكّ في أي شيء، كانت قلقة بشأن الطفل فقط وأصرت على الذهاب إلى المستشفى لعمل الأشعة فوق السمعية. استقلا سيارة أجرة إلى المستشفى وظل يفكر طويلاً وهو جالس في المستشفى أمام جناح الحالات الطارئة كيف سيتخلص منها ومن طفلها. ثم بعد عدة أسابيع، خلال العاصفة الثلجية في تلك الليلة قبل رحلتها إلى منزل والدتها، فكر في الأمر. أنبوب عادم السيارات، يا له من خيار رائع. كان فخوراً بنفسه وبهذه الفكرة التي خطرت بباله. كانت سهلة التنفيذ ودون خطورة كبيرة. تذكر النظرة التي رمقته بها إيريك في أثناء الجنازة. كأنها تعلم. لكن كيف؟ كان خائفاً منها منذ ذلك الحين.

الفصل الثاني والخمسون

عند عودة باتريك، كانت ستيفاني في مدخل السيارات تضع الطفلتين في المقعد الخلفي، رآته خلال المرأة الخلفية يقود إلى الداخل ويوقف سيارته بجانبها. تساءلت عما كان يفعله خلال الساعات القليلة المنصرمة.

- مرحبًا.

قال وهو يخرج من السيارة ويقف وراءها. ما زال رأسها بداخل السيارة تربط أحزمة الأمان للطفلتين. قال بنبرة استرضاء لها، لكنها لا تهتم، هي لا تدري ما الذي يتوقعه منها. لقد قلب حياتهم رأسًا على عقب، وحولَ زواجهما إلى علاقة قائمة على الغش والاحتيال، ويبدو أنه غير مقتنع بأن ما حدث كله هو خطؤه وحده.

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

سألها بعد أن أخرجت رأسها من السيارة واستدارت لتقف وجهاً لوجه له.

- إلى المتجر.

- ليس عليك أن تأخذيهما، عدت للمنزل، يمكنك تركهما معي.

- لا، هما مستعدتان بالفعل، لا بأس.

لاحظت أنه يبدو مستاءً، على الرغم من أنه يحاول التظاهر بعكس ذلك. عيناها جامدتان وتائهتان.

- لا، اتركيهما معي، أنتِ تتذمرين دائمًا بشأن التسوق معهما، ومدى صعوبة الأمر.

هذا صحيح، لكنها لا ترغب في تركهما معه. هذه هي المرة الأولى التي تتضح فيها هذه الفكرة في رأسها، أفزعته الفكرة، هي خائفة من ترك الأطفال في سيارته.

- أعلم.

قالت واستدارت بعيدًا.

- لكن التنزه جيد لهما، هما بحاجة إلى الخروج، نذهب إلى الحديقة كل يوم، لذا المتجر سيكون تغييرًا لطيفًا. أسمح لهما بلمس البرتقال وأكياس الأرز، هما تحبان الأمر.

كما يتوقف الجميع ليخبروني بمدى لطافتهم وأنا بحاجة إلى ذلك الآن، هذا يسهل كل شيء بالنسبة إليّ، هذا ما فكرت فيه.

أيًا يكن ما ستفعله وما ستقرره، هو من أجلهما، من أجل جاكى وإيما. ربما ستسقل سيارتها مع التوأمتين وحقيبة الحفاضات وحقيبة يدها وتقود... سألهما: «هل آتي معك؟».

تمكنت من الابتسام له، وقالت: «لا، لا بأس. أقوم بهذا طول الوقت».

- حسنًا، لا بأس.

نظر إليها للحظة ثم استدار ودلف إلى المنزل.

قادت نحو المتجر، بذهن مضطرب.

تلك الليلة، بعد وجبة ليلية يشوبها التوتر، وبعد وضع الطفلتين في سريريهما، جلست ستيفاني على الأريكة في غرفة المعيشة مع الحاسوب المحمول الخاص بها، رأت باتريك يصعد إلى الطابق العلوي نحو غرفة نومهما.

جلست ستيفاني على الأريكة بعينين جافتين، لقد ذرفت كل ما تملكه من دموع، الدموع علامة على الضعف، هذا ما تعتقده. كل ما تشعر به الآن هو الجمود والعزم والإصرار، وهو ما لم تشعر به من قبل قط. تملكها نوع من القوة نابع من عدم وجود أي خيارات سوى أن تواجه الموقف وتتعامل معه.

تأخر الوقت، تشير الساعة إلى الحادية عشرة تقريبًا، أغلقت حاسوبها المحمول، وتركتها على طاولة القهوة وصعدت ببطء إلى الطابق العلوي. هي

منهكة للغاية، تشعر وكأنها تتسلق جبلاً من الإرهاق. توقفت عند أعلى الدرج. ما زالت تتشارك نفس السرير مع زوجها حتى الآن، هل يجب أن تنام في سرير آخر في غرفة الضيوف؟ ستحب ذلك. لكن هل تجرؤ؟

سارت ببطء نحو غرفة نومهما، يكتم السجاد صوت وقع خطواتها. وقفت أمام باب الغرفة؛ باتريك يقف أمام خزانة الملابس، يدير ظهره لها، لكن ليس تمامًا، ما زالت ترى ما يفعله. يحمل مسدسه في يده اليمنى، كأنه يتفحصه. شعرت بقلبيها ينبض في حلقها، كيف غاب عن ذهنها أمر المسدس؟ لطالما كان هناك. بداخل الخزانة الحديدية المغلقة بإحكام. يتركه باتريك في ذلك المكان في حال اقتحم أحدهم المنزل في أثناء نومهما، لن يستغرق سوى لحظات ليصل إليه.

حدقت إليه، لا تقدر على الحركة، يكاد قلبها ينخلع من بين ضلوعها. الخزانة، الموضوع على أحد أرفف خزانة الملابس وحيث يحتفظ بالمسدس، مفتوحة، تعلم بوجود ذخيرة هناك، هل حشا المسدس بالرصاص بالفعل؟ هل هذا كل شيء؟ هل سينتهي كل شيء هكذا؟ هو لا يشعر بوجودها، يبدو غير مدرك لوجودها تمامًا. فكرت سريعًا، لا تستطيع الالتفات والركض، لن تصل أبدًا إلى التوأمتين وتخرجهما من المنزل بسرعة كافية. تسمرت في مكانها.

وضع المسدس في الخزانة مجددًا، وأغلقها، ثم التفت، كان مدهوشًا لرؤيتها. لا بد أنه لاحظ شحوبها، لذا سألها:

- ما المشكلة؟

- لا شيء، أشعر بالتوعك فقط، سأخلد للنوم.

تفحّصها موافقًا: «نعم، لا تبدين بخير».

اتجهت نحو جهتها من السرير وتناولت ثياب النوم من أسفل الوسادة واستدارت، بدلت ملابسها. لا تريد أن تثير حفيظته، لم تجرؤ على الذهاب إلى غرفة الضيوف. انسلت إلى السرير دون أن تهتم بغسل وجهها أو تفريش أسنانها. أدارت ظهرها له وواجهت الحائط، حاولت النوم، لكن نبضات قلبها تتسارع.

عندما خلد باتريك إلى النوم أيضًا وامتدت الليلة الطويلة، لم تستطع النوم لأن ذهنها مشغول بالمسدس.

الفصل الثالث والخمسون

في الظلام الدامس، حدّق باتريك إلى ظهر زوجته، ظهرها هو كل ما يراه منها هذه الأيام. تتظاهر بالنوم، وهو يعلم ذلك. تلك النظرة على وجهها عندما رأته يحمل المسدس، يا إلهي، كأنها تتوقع أنه سيطلق الرصاص عليها. الوضع أسوأ مما توقع.

لولا إيريكافوس، لم تكن ستيفاني لتعلم شيئاً، كانت لتغدو سعيدة، لا تساورها الشكوك، برفقة توأمتين نائمتين، وحافطة استثمارية بقيمة ميلوني دولار. الآن، سيخسر كل شيء.

يشعر بنفسه على حافة الانهيار. يشعر بغضب عارم تجاه إيريكافوس وبالحنق تجاه نايل، وخيبة الأمل في ستيفاني. كان يتوقع أنه سينجح في اختبار كشف الكذب. كان قد درس كيف يتغلب عليه، كيف يقضم بشدة على فمه من الداخل حتى تمكنه نوبة الألم من التغلب على الاختبار. توقع أن ينجح، كان من المفترض أن ينجح. لو لم تُعدّ إيريكافوس إلى حياته، لو لم تعد من ايلسفورد...

تذكر كيف بدأت علاقته مع إيريكافوس في بداية الأمر. كانوا مجتمعين في حانة بعد العمل ليلة الجمعة بصحبة جريج. انضمّت ليندسي إليهم وأحضرت صديقتها إيريكافوس معها. كانت حبيبة جريج هناك أيضاً. قالت ليندسي إنها متعبة وذهبت إلى المنزل بعد بضع كؤوس من البيرة منخفضة الكحول. تنهّدت بخطواتها نحو الباب، وقد أثقلها الحمل. غادرت وتركت صديقتها المقربة وزوجها، لم تُلقِ بالآقط، لماذا قد تفعل؟ أخبرته أمام الجميع ألا يرحل

ويمكث لقضاء بعض من الوقت الممتع لأنه بعد ولادة الطفل، لن يكون قادرًا على فعل ذلك. ابتسم لها، لكن إذنها وتحذيرها تركا انطباعًا سيئًا بداخله.

كان يبلغ من العمر الثالثة والعشرين ويعمل في وظيفة حقيقية للمرة الأولى ولم يكن مستعدًا لأن يصبح أبًا. شاهد زوجته تمشي بصعوبة خلال الحانة حتى خرجت من الباب، تساءل لو كان ينبغي له مرافقتها حتى المنزل، لكن سريعًا ما تشتت ذهنه بشيء ما قالته إيريك. قابلها سابقًا، لكنهما لم يتبادلا الحديث طويلًا. لكن تلك الليلة، حلت البيرة عقدة لسانه، شعر بالتهور، وبعد مغادرة ليندسي، بدا وكأن إيريك تحاول مغازلته قليلًا. كان مستمتعًا بالأمر، لم يتوقع حدوث أي ضرر؛ هي صديقة ليندسي على كل حال. قرروا احتساء كأس أخرى وأخيرة، وحاول إقناع جريج أن يبقى، لكنه وحببيته أرادا الذهاب. لم يبدُ أنهما وجدا أي غرابة تجاه ترك باتريك وإيريك وحدهما لاحتساء كأس أخيرة.

ما إن أصبحا وحيدين، تغير المزاج من حولهما سريعًا. أدرك أنها ترغب في إقامة علاقة حميمية معه، وأدرك أن مطارحتها الغرام ليس أمرًا مستحيلًا. تصارع مع نفسه قليلًا؛ كانت صديقة زوجته المقربة. احتسب كآسًا أخرى، ولم يعد الأمر صعب المنال. همست له أن ليندسي لن تعلم أبدًا. ولم تكن هناك طريق للتراجع.

غادرا الحانة، وما إن أصبحا في الخارج، أمسكت بيده وسحبته نحو زاوية المبنى. مالت إلى الحائط في الظلام وقربته منها، كان الأمر كالتحليق في السماء. هذا النوع من الجرأة والإثارة، كان شغوفًا معها أكثر مما كان مع ليندسي. تساءل كيف انتهى به الأمر مع ليندسي، كيف أصبح على وشك أن يغدو أبًا؟ كان من المفترض أن يطارح الغرام مع امرأة كهذه.

أخذته إلى شقتها، كانت على بعد مسافة قريبة، كل شيء في بلدة كريمور الصغيرة كان على بعد مسافة صغيرة. أبقى عينيه مفتوحتين على المارة حتى لا يراهما شخص يعرفه، لكنه لم يرَ أحدًا. عندما دخلا إلى المبنى ثم إلى المصعد وحدهما، كاد أن يتجرد من ملابسه، لكن الباب انفتح سريعًا ولم يكن هناك وقت كافٍ. تخيل ما هما على وشك الإتيان به.

ما إن دلفا إلى شقتها، لم يكن هناك الكثير من الأثاث، لم يمتلك أي منهما الكثير في تلك الأيام. قادته نحو غرفة نومها، وسريعًا غابت تفاصيل كل

شيء وسط ذروة الإثارة، وكسر الحواجز. استلقيا على السرير، منهكين، مسد شعرها وأخبرها أنها رائعة.

ابتسمت له وقالت: «أعلم»، ثم ضحكا معًا.

لم تخبره أنه رائع أيضًا.

- يجب ألا تكتشف ليندسي.

أخبرها بنبرة جادة. لم يكن بحاجة إلى أي مأساة في حياته. نظر إليها وهي تستلقي بجانبه، عارية، بجسدها الشاحب والرقيق، ثم خايلته صورة زوجته. كانت مقارنتها بزوجه خطأ كبيرًا، لم يكن خطأ ليندسي أنها قد امتلأت، وتمدد جسدها وأصبحت داكنة، وبرزت عروقتها، كانت على وشك أن تصبح أمًا. لكن يا إلهي. أراد المزيد من هذا الكمال النائم بجواره.

- بالطبع، سيقتلها الأمر.

وافقته. هل كانت تنتظر ردًا منه؟

- هل سنعاود الكرة مجددًا؟

سألها. لم تجاوبه، ابتسمت وأخبرته:

- عليك العودة إلى زوجتك.

كانت هذه طبيعة إيريكّا تعشق السيطرة، لم تتغير. عاد إلى المنزل، شعر أنه قد طُرد من منزل إيريكّا. تساءل كيف سيتصرف بصورة طبيعية حول إيريكّا وزوجه عند اجتماعهما معًا بحق الجحيم.

لكنها اتصلت به في أثناء عمله يوم الاثنين، كان لا يفكر في أي شيء سواها، وطلبت منه أن يحضر إلى شقتها خلال ساعة الغداء. ثم أصبحت تلك عادتهما، علاقة شهوانية، مثيرة، لكن بلا معنى لكليهما.

استلقى في سريره، مستيقظًا، يحدق إلى ظهر ستيفاني، ويفكر في الماضي وكل ما أدى إلى هذه اللحظة. لم يحب إيريكّا مطلقًا، كان هناك شيء غير محبب فيها، ربما لأنها بدت غير قادرة على محبة أي أحد. أخافته قليلًا حتى في ذلك الحين. والآن، بعد عشر سنوات، دمرت إيريكّا كل شيء. زوجته التي عشقته بجنون من قبل تعتقد أنه قاتل. هو يخشى هجرها، يخشى أن ترحل ومعها إرثها.

الفصل الرابع والخمسون

في الصباح التالي، تعثرت ستيفاني في أثناء نهوضها من السرير، ومارست عاداتها الصباحية بشكل آلي. شعرت بعيني زوجها تحديقان إلى ظهرها طيلة الليل بينما تظاهرت بالنوم. تساءلت عما كان يدور في رأسه، وهي تفكر في المسدس. لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر.

إنها تحيك خيوط خطة ما، يخيفها ما تفكر فيه، لكنها بحاجة إلى مخرج من كل هذا. خايلتها الفكرة في تلك الساعات الحالكة قبيل الفجر، حيث تخطر ببالنا أمورٌ لا ينبغي لضوء النهار أن يشرق عليها. لكن النهار أشرق، والشمس تلقي بنورها من النوافذ، وما زالت تفكر في الأمر.

دعتها هانا إلى منزلها مجددًا ذلك اليوم. لم تعد ستيفاني تدعو هانا لزيارة منزلها لأن باتريك دائمًا في المنزل، وهي تعلم أن هانا لا تريد أن تطأ قدمها عتبة الباب بعد الآن. تعتقد هانا أن باتريك مذنب، على الرغم من تظاهر ستيفاني بالعكس. لم تتخذ حذرًا تلك المرة بعد إلقاء القبض عليه، وهي الآن تخشى أن تدري هانا بما تعتقده هي حقًا.

ستذهب إلى منزل هانا هذا الصباح لأنها تريد ذلك، هي تتوق إلى شيء طبيعي، وعلاوة على ذلك، أصبحت هانا الآن جزءًا من خطة ستيفاني رغم جهلها بالأمر. وضعت التوأمتين في عربة الأطفال وطرقت باب هانا. حملت التوأمتين من العربة ودخلت إلى المنزل. أجلستهما في المنطقة المخصصة للعب على الأرض المفروشة بالسجاد في غرفة المعيشة. مع كل زيارة، اعتادت هانا خبز الطعام حتى تخفف عنها؛ اليوم، تشم ستيفاني رائحة بسكويت رقائق الشوكولاتة وتشعر بالامتنان الفائق تجاه محاولات هانا في الترويح عنها.

- تفضلي، خذي واحدة.

قالت هانا عند عودتها إلى غرفة المعيشة من المطبخ، وهي تحمل بيديها طبقاً من البسكويت المخبوز للتو.

- سأحضر القهوة أيضاً.

- أنتِ هبةٌ من الله، هانا.

قالت ستيفاني بصدق؛ فهي لا تعرف أي شخص آخر يمكنها اللجوء إليه، أو حتى التنزُّه معه بأريحية. لم تلحظ قط مدى عزلتها. لم تبذل أي جهد حتى تحافظ على علاقتها مع زملاء العمل بعد إجازة الوضع. كما سمحت للنساء في مجموعة الأمهات التي أنشأتها بالتفرق، ليست مستعدة لبذل أي مجهود للتعامل مع أي شيء يحدث حولها. تساءلت عما يدور في رؤوسهن الآن. على الأرجح هنَّ كهانا، يعتقدن أن باتريك مذب. جميعهن علمن بأنه خان زوجته الأولى وكيف لقيت الأخيرة حتفها. هي متأكدة أنهن يتساءلن عن سبب بقائها معه. تساءلت ستيفاني عما إذا كانت هانا تتحدث بهذا الشأن مع الأمهات الأخريات في الحي. خلصت إلى أنها تفعل ذلك على الأرجح. انتهت من تناول قطعة بسكويت وتناولت أخرى. لا بد أنها تفعل.

تحدثتا بشأن الأطفال، وما كانتا تفعلانه، وعن النوم، وزيارة تيدي الأخيرة لطبيب الأطفال. ثم صمتتا، ونظرت إليها هانا بترقب. حل الصمت طويلاً ولم يتخلله سوى صوت ثرثرة الأطفال.

استجمعت ستيفاني شجاعتهما وقالت: «سأترك باتريك».

لم تُفاجأ هانا بما قالته ستيفاني، بل بدا عليها الارتياح.

- أعتقد أن كل شيء قد انتهى بالنسبة إليّ، حتى وإن لم يعتقد ذلك، لقد فقدت ثقتي به، خان ليندسي، والعالم بأسره يعلم ذلك. وكل ملابسات الحادثة ألحقت بنا أضراراً بالغة، هانا، أضراراً لا يدري أي مخلوق مداها.

- أتفهمك تمامًا، أعتقد أنك على صواب، عندما تفقدن الثقة...

- أنا لا أصدق أنه أقدم على قتل ليندسي عمداً. تلك الفكرة سخيفة جداً، أنا لست خائفة منه هانا، لكنني فقدت حبي له.

أوضحت ستيفاني، ثم أضافت:

- أمقته لتعريضي لكل هذا، حتى وإن لم يكن هذا خطأه بالكامل.

وافقتها هانا

- تلك السيدة التي أقام علاقة معها كانت خيارًا سيئًا تمامًا.

ردت ستيفاني بمرارة

- هذا صحيح، والآن علينا أن ندفع الثمن جميعًا. سأحجز موعدًا مع محامي طلاق يوم الاثنين. عليّ أن أُلِمَّ بجوانب الموضوع قبل إخباره.

سألتها هانا بقلق واضح:

- متى ستخبرينه؟

تنفست ستيفاني بعمق.

- في القريب العاجل، ما إن ألتقي بالمحامي على الأرجح، أنا فقط بحاجة إلى إنهاء كل شيء.

قالت هانا بحزم:

- كما أخبرتك، هذا قرار صائب. تعرفين أنني سأساندك دومًا، أليس كذلك؟ ابتسمت ستيفاني لها بحزن.

- أعلم، وأنا في غاية الامتنان. لا يوجد من يمكنني التحدث معه سواكِ، هذا شاق جدًا.

وضعت وجهها بين كفيها.

- أنا أشعر بالقلق تجاه باتريك، تجاه تقبله للخبر.

قالت هانا بضيق:

- قد يشعر بالخيانة.

- ربما، هو مكتئب بالفعل، ما مر به كان رهيبًا، هانا.

قضمت شفتها حتى تمنع نفسها من البكاء. توقفت وتناولت منديلًا من حقيبة الحفاضات الخاصة بها.

- كان الوضع مزيًا عندما تم القبض عليه، لا يرغب في التحدث عن الأمر مطلقًا.

توقفت حتى تجمع شتات أمرها.

- ظننت أنه سيتعافى من الأمر بعدما تطلق الشرطة سراحه، لكن نايل تخلى عنه، وفقد عمله، كيف سيبدأ من جديد؟ لطخت سمعته في الوحل، حتى بعد إسقاط التهم عنه.

تعلم كم تبدو كثيبة الآن.

- هذا كله غير عادل بالمرة، وعندما أخبره أنني سأتركه أيضًا...!

نظرت إليها هانا بياس وقالت:

- ستيفاني، يا إلهي، لا أدري ماذا أقول.

- هو لا يتصرف على طبيعته.

- ما قصدك؟

- يلوم نفسه على كل ما حدث، مزاجه عكر، وهو مكتئب، ويتفوه بأشياء.

- أي أشياء؟

سألته هانا وهي تميل إلى الأمام بقلق.

- يقول إننا سنعيش حياة أفضل دونه.

نظرت بعينين قلقتين نحو هانا.

- أنا خائفة مما سيفعله إذا تركته، قد يفعل أي شيء مأسوي ويلحق الضرر بنفسه.

قالت هانا بسرعة: «انسي أمره، أنا قلقة بشأنك، ستيفاني عليك أن ترحلي وتتركيه، خذي التوأمتين وانتقلي من المنزل، الآن».

هل تخبر هانا بشأن المسدس؟ لا، سيكون هذا واضحًا جدًا. هزت رأسها وقالت: «سأقابل محامي الطلاق أولاً».

- جيد.

- قد تتضح لي الأمور أفضل.

وافقتها ستيفاني.

- لكن، ماذا لو... ماذا لو آذاك والتوأمتين؟

سألته هانا بقلق جلي.

هزت ستيفاني رأسها.

- لن يلحق بي أو بالتوأمتين أي ضرر، أبدًا. أنا متأكدة، لكن إن أخبرته أنني سأتركه، سيشعر أن الجميع تخلوا عنه. أشعر بالذنب الرهيب، أنا لست... لست واثقة من قدرتي على فعلها.

قالت هانا بحزم:

- لا يوجد أي شيء يستدعي الشعور بالذنب تجاهه، ستيفاني. عليك أن تتخذي القرار الصائب من أجلك ومن أجل الفتاتين.
- نظرت ستيفاني إلى صديقتها الوحيدة، تعتقد هانا أن باتريك قاتل، وهانا محقة. وعلى الأرجح تعتقد أن انتحار باتريك هو الخيار الأفضل لمصلحة الجميع. وهي محقة بشأن ذلك أيضًا.
- نظرت هانا إليها بقلق.
- صدقًا ستيفاني، أعتقد أن عليك الرحيل، إن كان هذا ما ترغبين في فعله، بغض النظر عن مدى اكتئابه، أو كيف سيتقبل الخبر، فكري في نفسك لمرة واحدة، فكري في الطفلتين.
- نظرت بقلق إلى الطفلتين في مساحة اللعب.
- ماذا لو كان خطيرًا؟
- هزت ستيفاني رأسها مجددًا.
- هو ليس خطيرًا، سنكون بخير، هو يحبني ويحب الطفلتين، لن يلحق بنا أي أذى، أنا قلقة بشأنه فقط.

ألقي باتريك بجسده على كرسي المطبخ وستيفاني بمنزل هانا بصحبة الطفلتين. تناول أكوابًا من القهوة واحدًا تلو الآخر، يفكر. أخبر ستيفاني أن علاقته بإيريك كانت علاقة عابرة وأنه لم يحبها قط، وما حل بليندسي كان حادثًا، لكنه يعتقد أنها لا تصدقه. كان محظوظًا جدًا عندما قابلها؛ امرأة ورثت أموالًا طائلة. إن لم تظهر إيريك في حياته مجددًا، كانت الأمور لتتغير كثيرًا.

عندما يفكر في إيريك يشتعل جسده غضبًا. أدرك أنه قد يقتل إيريك قوس بكل سرور. كان عليه أن يقتلها عندما سنحت له الفرصة، قبل أن تذهب إلى الشرطة، لكنه لم يتصرف بحزم، لم يمتلك الوقت الكافي للإتيان بخطة محكمة يستطيع الإفلات منها.

لكن الآن، أصبح وقع الضرر بالغًا. لا فائدة من قتلها الآن، أيضًا، سيعتقد الجميع أنه هو من قتلها. يعتقد الجميع أنه قتل زوجته بالفعل. حتى وإن جعل مقتلها يبدو كحادث، سيوجه الجميع إصبع الاتهام إليه. سيقولون إنه

محترف في جعل جرائمه تبدو كحادث. وستعرف ستيفاني أنه القاتل. ستتركه ستيفاني، هو واثق من ذلك. يعرف أنها خائفة منه، هجرها له سيصبح أسوأ شيء قد يحدث له. سيعتقد الجميع أنها تركته لأنه قتل زوجته الأولى.

هو بحاجة إلى محام، عليه أن يعرف ما هي حقوقه الآن، كم ستستغرق من الوقت حتى تطلقه؟ إذا ماتت وهما منفصلان لكن لم يتطلقا بعد، هل سيرثها؟ فكر وهو يحتسي قهوته، هو لا يستطيع قتل زوجته بعد الآن، وكذلك إيريك. لن يفلت منها أبداً. ليس الآن.

الفصل الخامس والخمسون

في وقت لاحق من ذلك اليوم، وقفت ستيفاني أمام خزانة غرفة النوم. عليها أن تفكر وتخطط، عقلها لا يتوقف عن التفكير طيلة الوقت. تفكر في الأمر وهي تطعم التوأمتين، وهي تبدل الحفاضات، وهي تطهو. كيف ستتخلص من القفازات؟ قررت أن زوجها سيقتل نفسه، هذا هو المخرج الوحيد من هذا العبث، وبما أنه لن يفعل ذلك بنفسه، ستقوم بذلك من أجله.

هذا ما آلت إليه الأمور على مدار الأشهر القليلة الماضية؛ من عائلة سعيدة ميسورة الحال إلى زوج من القتل بدم بارد. فكرت كيف تنقلب الأمور سريعًا، يا لها من حياة مجنونة وغير متوقعة؛ تمامًا كالسيرك، نمشي على أحبال معلقة في الهواء، من حولنا بشر يختبئون خلف أقنعة المهرجين.

نعتقد أننا لا نستطيع السيطرة سوى على اليسير جدًا، تحدث الكثير من الأمور دون إرادتنا. لكن، ليس كل شيء؛ هي قادرة على فعلها، تستطيع فرض سيطرتها من جديد، تستطيع حماية طفلتيها، هي تفعل كل هذا من أجلهما. نحن لا نملك الخيار دائمًا لكنها تعتقد أننا نملك بعض الخيارات أحيانًا.

توقفت عن حبه، ولا ترغب في العيش معه لبقية حياتها، ومشاركة إرثها مع زوج خائن وكاذب قتلَ زوجته الأولى، لا ترغب في العيش مع هذا الخوف، منتظرة إياه حتى يقتلها ويقتل التوأمتين يومًا ما. لقد استطاع الإفلات من هذه الجريمة مرةً بالفعل.

لو أنها تستطيع تركه فقط، لكنها تعتقد أن هذا الخيار صعب المنال. طبقًا للسيناريو الأفضل، هو رجل بريء في عين القانون؛ وله حقوقه الكاملة، كحقه في رؤية الطفلتين. سيظل جزءًا من حياتهن دائمًا، لكنها تعلم ما أقدم عليه.

وبالنسبة إلى السيناريو الأسوأ، قد يستشيط غضباً إن تركته ويتتبعها حتى يقتلها ويقتل التوأمتين، مثل ذلك الرجل الذي خنق أطفاله بالوسائد وطعن زوجته المنفصلة عنه حتى الموت، ومثل كل الرجال الذين قتلوا عائلاتهم. هناك الكثير منهم، رجال غاضبون ومحبطون يقتلون زوجاتهم وأطفالهم. عليها أن تجد حلاً لموضوع القفازات، كيف ستخلص منها سريعاً، ويؤرقها أيضاً أمر الذخيرة.

حدقت إلى خزانة غرفة النوم المفتوحة، لقد غادر باتريك المنزل، وهي وحدها في المنزل. أدخلت الرمز السري للخرينة الحديدية وفتحتها، هي ترتدي القفاز المطاطي الذي ابتاعته لهذا الغرض فقط. نظرت إلى المسدس من طراز جلوك 19 عيار 9 مم الذي رأيته آخر مرة بين يدي باتريك. تعلم أن المسدس يحمل بصماته، حتى إن إصبعه كان على الزناد. يا لها من هبة من السماء. لكنها الآن تفحص المسدس ولاحظت أنه فارغ من الخرينة. ستعبي المسدس بنفسها، لن يتسبب ذلك بمشكلة فهي ترتدي قفازات وهي تعرف كيف تفعلها؛ فقد أطلقت النار من قبل. لكنها قلقة؛ المسدس يحمل بصماته لكن الرصاص لا يحملها، هل سيتسبب ذلك بمشكلة؟ ما يثير قلقها أيضاً أنه قد يتفقد مسدسه ويجده معبأً بالرصاص قبل أن تقدم على فعلتها، لذا عليها أن تقضي ما تنتويه سريعاً جداً. كلما عجلت بذلك، كان أفضل. ملأت المسدس بالرصاص.

صبيحة يوم الاثنين، أخبرت ستيفاني باتريك أنها ستأخذ الطفلتين للخارج، كانت لديها خطة بالفعل عما ستقوله له إن سألتها عن وجهتها، لكنه لم يفعل. ستزور شركة محاماة متخصصة في الطلاق. لم تحجز موعداً مسبقاً، لكنها تعتقد إن ذهبت وأخبرتهم أن الوضع حرج، سيوافق أحدهم على مقابلتها. فكرت في ترك الطفلتين في منزل هانا، لكن هانا اعتنت بالطفلتين كثيراً من أجلها، وهي لا تستطيع رد الجميل.

دفعت العربة المزدوجة داخل المصعد واستقلته حتى الدور الأخير. لقد قامت بعمل تحرياتها الخاصة بالفعل، و«طومسون دويل» هي شركة الطلاق الأفضل في ايلسפורد. اعتذرت لقدمها دون موعد مسبق لكنها أخبرت موظفة الاستقبال أنها بحاجة إلى مقابلة محامي طلاق. طلبت منها الشابة

اليافعة الانتظار. جلست ستيفاني، تطل غرفة الانتظار على مشهد رائع للنهر، لكنها بالكاد تلحظه. انصبَّ اهتمامها على إبقاء الطفلتين هادئتين، وعلى ما ستقوله.

بعد بضع دقائق أخبرتها موظفة الاستقبال

- «جابر يال طومسون» في انتظارك.

قادتها نحو مكتبه. ألقت نظرة وأدركت أنه سيكون مكلفًا للغاية، لكنها لا تهتم، تستطيع تغطية التكاليف.

- كيف أساعدك؟

سألها المحامي وهي تدفع عربة التوأمتين للداخل وجلست على المقعد قبالة مكتبه.

- أرغب في الانفصال عن زوجي.

- أنتِ في المكان الصحيح إذًا.

قالها المحامي بجفاء لكن مع ابتسامة لطيفة، هو رجل كبير، يرتدي بذلة فاخرة وربطة عنق، وله شعر أبيض مرتب.

- زوجي هو باتريك كيلجور.

ارتفع حاجبا المحامي، ومال إلى الأمام باهتمام، تساءلت هانا إلى أي مدى تابع المحامي هذه القضية. للحظة ترددت وابتلعت ريقها.

- فهمت. تابعت القضية نوعًا ما.

قال، ونظر إليها مشجعًا.

- كان للقضية تأثيرٌ مميّثٌ على زواجنا.

توقفت واستغرقت لحظات لترتب أفكارها.

- يعلم الجميع أنه خان زوجته الأولى، اعترف بذلك، لا أدري إن كان قد خانني أيضًا. لكن على أي حال، انتهى زواجنا، وأريد أن أعلم ما يمكنني فعله.

- بالطبع.

- حصلت على إرث كبير ببلوغي عامي الأخير، ليس له أي حق فيه، أليس كذلك؟

- على الإطلاق. في نيويورك، الإرث لا علاقة له بالملكات الزوجية التي تُقسَم عند الطلاق. لا تقلقي بشأن هذا الأمر.
- جيد.
- رمقها بنظرة صادقة.
- هل كتبت وصيتك؟
- نعم، أوصيت بأن تذهب كل ممتلكاتي إلى باتريك عند وفاتي في ظل الأوضاع الراهنة.
- علينا أن نغيّر ذلك، هل لديك تأمين على حياتك؟
- أدركت أن هذا الرجل تابع قضيتها عن قرب، لم يفاجئها الأمر فالقضية شغلت الرأي العام هنا في ايلسفورد وفي كولورادو أيضًا.
- نعم.
- اعتلى وجهه تعبيرٌ جادٌ وسألها بنبرة يساورها القلق:
- هل أنت قلقة على حياتك؟
- تذكرت ما أتت لتفعله.
- لا، على الإطلاق. إلا أنني قلقة على باتريك وكيف سيتقبَّل خبر طلاقنا. هو مكتئب جدًا بالفعل إثر ما حدث. كان قرارًا عصبياً، لكن عليّ أن أتخذ القرار الصائب من أجلي ومن أجل الطفلتين.
- بالطبع.
- وافقها المحامي بتعاطف.
- لنقم بهذا على وجه السرعة.

الفصل السادس والخمسون

تلك الليلة، بعد أن أخذت الطفلتان إلى النوم، حاولت ستيفاني إقناع باتريك باحتساء كأسين من الشراب معها. سيسهل الويسكي عليها الأمر. كما أنها بحاجة إلى تهدئة أعصابها. عليها أن تدخله المطبخ، وتجلسه في مقعد ذي ظهر مستوٍ، أمامه كأس ويسكي.

أخبرته ستيفاني:

- أنا بحاجة إلى الشراب.

ونهضت عن الأريكة، فرفع رأسه تجاهها.

- هلا انضممت إليّ؟

بدا مسرورًا بسؤالها. يجب أن تشعر بالسوء تجاه ما ستقدم عليه، لكنها لم تشعر بأي شيء. هي لن تقوم بذلك من أجلها فقط، بل من أجل إيما وجاكي. تستحقان ما هو أفضل من أن تنشأ مع أب كاذب وخائن وقاتل.

- بالطبع.

قال، وتبعها إلى المطبخ.

جلست على المقعد الذي تجلس عليه دائمًا في أثناء الوجبات، الكرسي المواجه لمدخل المطبخ، بينما جلس باتريك على كرسيه المعتاد وظهره للباب. راقبته وهو يفتح خزانة المطبخ حيث يحتفظان بالكحول، تناول كأسين.

- ماذا تريدان؟

- ما ستحتسيه.

نظر إليها، وقد اعتلته الدهشة.

- أريد شيئاً قوياً.

أوماً برأسه. غالباً، يحتسي الويسكي دون أي إضافات. سكب لكليهما كمية وفيرة من الويسكي. من الجيد أنه يتولى أمر الزجاجة والكأسين. عليها أن تغسل كأسها جيداً وتضعها مجدداً في الخزانة بعد الانتهاء من كل شيء إن كان لديها وقت قبل وصول سيارة الإسعاف. من الأفضل أن يبدو أنه كان يحتسي الشراب بمفرده بينما كانت تستحم. هي محظوظة لأن الطفلتين صغيرتان جداً وتنامان بهدوء في مهدهما، إن كانتا بعمر أكبر، كانت لتواجه صعوبات كثيرة.

لن تحملأ أي ذكرى عن والدهما، هما صغيرتان جداً. ستتحكم فيما ستعرفانه عن القصة، وستحكي لهما ما تشاء، كيفما تشاء. لكن عليها أن تنتقل بعيداً وتبدأ حياة جديدة في مكان جديد، لكن لن تبتعد كثيراً. ربما قد تعود إلى استخدام كنية عائلتها. ستفعل بالطبع.

- ستيفاني.

قال وهو يجلس إلى الطاولة قبالتها:

- أنتِ تعرفين كم أنا آسف.

أومات دون النظر في عينيه، لا تريد أن تستمع إلى اعتذاراته وتبريراته مرة ثانية. حان وقت الخلاص. ماذا سيقول؟ عندما يذهب معظم الأزواج إلى الاستشارة الزوجية، يكون أحد الطرفين قد قرر بالفعل إنهاء العلاقة.

قال أخيراً:

- كنت أفكر في المستقبل.

ستجاريه حتى تبقيه جالساً على الطاولة، يحتسي الشراب. لم تعد تهتم بما يقوله، لقد عقدت عزمها.

- ربما عليّ أن أؤسس شركة الهندسة المعمارية الخاصة بي.

أومات. لن يقبل به أحد، لا يملك الخيار. ارتشفت من كأسها، تشعر بالكحول يحرق حلقها، ويهدئ من أعصابها. هي بحاجة إلى الويسكي، فقط القليل منه حتى يعطيها الشجاعة اللازمة لكن ليس إلى الحد الذي يفقدها السيطرة.

- سأحتاج الكثير من المال حتى أبدأ، قبل أن يدرّ المشروع ربحاً.

- يا للمفاجأة.

كانت غير قادرة على أن تكبح نفسها.

قضم شفته، وقد جرحه ما قالت. ثم رفع كأسه وشربها دفعة واحدة. تناول الزجاجة وسكب لنفسه المزيد. جيد، هذا ما فكرت فيه، هو لا يملك أدنى فكرة عما سيحدث لاحقًا. لن تكون هناك أي شركات جديدة. عليها ألا تنظر إليه وهو يتحدث. قررت مسيرته، لن يُحدث ذلك أي فرق، لن يحقق أيًا مما يتحدث عنه. تظاهرت بالتفكير فيما يقوله، ارتشفت قليلًا من كأسها، وهي تراقب وجهه يبتهج قليلًا، حيث يعتقد أنه استطاع جعلها تفكر في الأمر. سيموت سعيدًا على الأقل.

مال نحوها من الجهة المقابلة من الطاولة وأخبرها بالمزيد عن خططه، لكنها تتظاهر بالاستماع. يبدو أنها ماهرة في التظاهر لأنه لا يَكْفُ عن التحدث. سكب لنفسه كأسًا أخرى. لن تحظى بفرصة أفضل من هذه أبدًا.

- احتفظ بتلك الفكرة. سأذهب للتبول، سأعود حاليًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السابع والخمسون

هرولت إلى الطابق العلوي وهي تشعر بتغير ملامح وجهها فور خروجها من المطبخ. كانت باردة ومتعمدة وقاسية. اتجهت سريعاً نحو الحمام وأوصدت الباب محدثةً صوتاً عالياً، لكنها أوصدته من الخارج، كانت لا تزال تقف في الردهة. هرعت بهدوء إلى غرفة النوم حيث تجردت من جميع ملابسها وألقتها على السرير. ما إن أصبحت عارية تماماً، أخرجت القفاز المطاطي من المنضدة بجانب السرير وارتدته. اتجهت نحو الخزانة وأدخلت رمز الصندوق السري بيدين مرتعشتين. فتح الباب وتناولت المسدس. عادت إلى الحمام، فتحت الباب بحرص ودلفت. لمحت انعكاسها في المرآة الكبيرة فوق منضدة أدوات التجميل سريعاً، وبالكاد تعرفت المرأة في المرآة؛ كانت عارية بالكامل لا ترتدي سوى القفازات المطاطية ذات اللون النيلي التي ابتاعتها من المتجر، وتحمل المسدس في يدها اليمنى. دفقت المياه في المرحاض، وأدارت صنوبر المياه؛ أرادت أن يبدو كل شيء طبيعياً لباتريك، فهي لا تريد أن تثير شكوكه، هو يعتقد أنها صعدت إلى الطابق العلوي حتى تتبول.

هبطت ببطء درجات السلم المفروشة بالسجاد، دعت ألا يلتفت للوراء عندما تصل إلى المطبخ. لن يفعل... لماذا قد يلتفت؟ وصلت بهدوء إلى مدخل المطبخ بقدمين عاريتين. كان يدير ظهره لها ولا يبدو واعياً بوجودها في المطبخ. تذكرت أن تمسك المسدس بزاوية عالية قليلاً بيديها وبخطوة سريعة واحدة، خطت إلى الأمام وألصقت فوهة المسدس بالجانب الأيمن من رأسه بحزم ثم سحبت الزناد. حدث كل شيء بسرعة كبيرة.

توقعت أن يدفعها المسدس، لكن الصوت كان أعلى مما توقعت. سقط إلى الأمام وانهار على الطاولة. تناثر الدم الأحمر القاني وبعض أجزاء من الدماغ على الطاولة والأرض وعلى خزانة المطبخ البيضاء. جاهدت الرغبة المفاجئة

في التقيؤ وهي تحقق إليه، تجمع الدم المتدفق من الجرح على الطاولة محدثًا بقعة كبيرة. هو ميت لا ريب. شعرت بنبض قلبها يقرع في أذنيها وبدأت تهلع. تنفست بعمق بضع مرات حتى تعيد السيطرة على نفسها. نظرت سريعًا إلى نفسها وتأكدت أنه لا يوجد أي آثار للدم على جسدها، ولا على يديها التي حملت المسدس، كانت حريصة على إلصاق فوهة المسدس جيدًا برأسه. تفقدت قدميها، كل شيء نظيف. عليها ألا تترك أي أثر في الطابق العلوي. وضعت المسدس على الأرض بجانب يده اليمنى، وتركت فارغ الرصاصة حيث سقط.

هرعت نحو الطابق العلوي بأقصى سرعة تملكها، ونزعت القفاز، ألقته في المرحاض ودفقت المياه. أدارت صنوبر حوض الاستحمام وخطت بداخله، نظفت جسدها بالصابون وشعرها بمنظف الشعر بأقصى سرعة. عندما خرجت، تقطر منها المياه، ارتدت رداء الحمام دون أن تنشف المياه عن جسدها وهرعت إلى الأسفل، تاركة وراءها آثار قطرات المياه. اتجهت نحو المطبخ، أمسكت بالهاتف واتصلت بالنجدة.

- ما هي الحالة الطارئة لديك؟
- زوجي أطلق الرصاص على نفسه! أرجوكم أسرعوا!
- ما هو عنوانك سيدتي؟
- 17، دانبييري درايف.
- ما هو اسمك سيدتي؟
- ستيفاني كيلجور.
- هل ما زال زوجك يتنفس؟
- لا أعتقد ذلك.
- عليها أن تعتني بأمر الكأس.
- من فضلكم أسرعوا.
- فريق الطوارئ في طريقه إليك سيدتي، من فضلك حافظي على هدوئك ولا تنهي المكالمة.

بالكاد تصغي ستيفاني لما يقوله موظف الطوارئ لها، ظلت تردد «يا إلهي، يا إلهي»، في الهاتف وهي تنظر إلى الأشلاء. عليها أن تأخذ كأسها من فوق

الطاولة وتغسلها. لكنها تراجعت، لا تريد أن تفتح الخزانة وتفسد الفوضى عليها، بالإضافة إلى ذلك، لا ترغب في أن يسمعها موظف الطوارئ تغسل الكأس. انتحبت وقالت «أرجوكم أسرعوا!»، ثم أنهت المكالمة.

غسلت الكأس ووضعتها في غسالة الصحون. ثم استدارت لتتفقد المشهد. باتريك ملقى على طاولة المطبخ وهناك جرح غائر في رأسه وعيناه مفتوحتان. هناك زجاجة نبيذ وكأس واحدة على الطاولة، وكلتاها تحمل بصمات أصابعه. كانت تستحم عندما سمعت صوت إطلاق النار. لا بأس من وجودها في المطبخ، ومن الدم الموجود على الجزء السفلي من رداء الحمام، أي زوجة في مثل هذا الموقف ستقترب لتلقي نظرة.

ظلت تحديق إلى زوجها حتى لاحظت الأضواء الحمراء تومض في الظلام الدامس بالخارج. سمعت وقع أقدام ثقيلة تقترب من الممشى من خلال زجاج الباب الأمامي المموج. بشكل ما استطاعت السير تجاه الباب الأمامي وفتحته على مصراعيه. وصل فريق من الشرطة وفريق الإسعاف في نفس الوقت وانتشر الأفراد داخل الردهة.

الآن، تشعر بالصدمة تجتاحها، لقد فعلتها. بدأت تهتز بعنف وهي تشير إليهم نحو المطبخ. دلف أحد أفراد الشرطة وأحد المسعفين إلى المطبخ، ظلت إحدى الشرطيات بجانبها، بالقرب من الباب الأمامي، تراقبها. أطلقت ستيفاني لنفسها العنان وانهارت تمامًا، تظن أنها مقنعة. عليها فقط أن تعي لما تقوله. رافقتها الشرطية إلى غرفة المعيشة وساعدتها على الجلوس على الأريكة وهي تبكي وتتحدث بكلمات غير مفهومة.

- ضعي رأسك بين ركبتيك.

قالت الشرطية، وجلست بجوار ستيفاني، وضعت يدها على ظهرها بعطف واهتمام.

أبقت ستيفاني رأسها منخفضًا وحاولت الإنصات لما يحدث. الصمت يخيم على المطبخ، لا يوجد ما يمكنهم فعله من أجله. وصل المزيد؛ وفجأة أصبح هناك الكثير من الأشخاص في المنزل، وهي لا تستطيع أن تتابع كل ما يحدث. فقدت قدرتها على التفكير السليم، عليها أن تجمع شتات أمرها. يجب أن تصبح أكثر حذرًا حتى لا ترتكب أي خطأ. سمعت أصواتًا هامسة وصورًا فوتوغرافية يتم التقاطها.

ما زالت جالسة على الأريكة، ولا تدري كم لبثت في هذه الوضعية، بدا وكأن الوقت قد توقف. إنها تستوعب الأمر شيئاً فشيئاً. تخلصت منه ومن كل ما يخصه. لن يقدر على إفساد حياتها بعد الآن. وهي ما زالت هنا، والتوأمان كذلك. ما زالت تملك المنزل، وأموالها. سيصبح كل شيء على ما يرام إذا حافظت على هدوئها.

اقترب منها الشرطي الذي كان في المطبخ، جلس في مقعد أمامها ومال نحوها.

- أنا آسف جداً لخسارتك.

قال، وقد بدا حزيناً، كأنه يعني ما يقول.

نظرت إليه وابتلعت ريقها ليعود إليها تركيزها مجدداً، وكأنها بدأت تتعافى من هول فعلته.

- هل بإمكانك إخباري ما حدث هنا هذه الليلة؟

تنفست بعمق. قبضت بيديها على المناديل التي أعطتها إياها الشرطة بجوارها في وقت سابق.

- كنت أستحم.

جذبت رداء الحمام وأحكمته حول جسدها جيداً؛ بدت وكأنها يعترها الخجل لأنها عارية أسفل هذا الرداء. ما زال شعرها منسدلاً على ظهرها، مبللاً ومتشابكاً. نفذت المياه إلى ظهرها وبدأت تشعر بالبرد.

- كان باتريك يحتسي الشراب في المطبخ بينما كنت في الطابق العلوي.

سمعت صوت إطلاق النار وأنا على وشك الانتهاء من الاستحمام. هرعت

إلى الأسفل نحو المطبخ، ورأيته...

انهارت تماماً، تنتحب، وكانت صادقة، كانت حقاً كذلك؛ فقد مرت بالكثير، وخسرت الكثير.

- خذي وقتك.

قال الشرطي، وانتظرها بصبر.

أخيراً استطاعت أن تجمع شتات أمرها وأخبرته: «تعرض للكثير من الضغوطات مؤخراً»، ثم توقفت.

بدا وكأنهم لا يعرفون بعد من هو باتريك.

- أي نوع من الضغوطات؟

قالت بنبرة كثيبة: «أخبرته هذه الليلة بعد العشاء أنني سأرفع دعوى طلاق».

ثم شرعت في إخبارهم بكل شيء، من هو باتريك والأكاذيب التي تلتها على هانا ومحاميهما حول صحته العقلية. فور انتهائها، نظر إليها الرجل وكأنه يشعر بمعاناتهم أيضًا. أخيرًا طرح عليها سؤالاً:

- هل تعرفين من أين جاء المسدس؟

- هذا مسدسه على الأرجح.

همست.

- يحتفظ به في خزانة خزانة غرفة نومنا في الطابق العلوي.

- هل بإمكانك أن تُرينا إياها؟

نهضت عن الأريكة، وسارت أمامهم حتى غرفة النوم في الطابق العلوي. أشارت نحو الخزانة، الباب مفتوح. وعلى الرف في الجزء الخاص بباتريك، توجد الخزانة مفتوحة كما تركتها. نظروا إليها.

عندما عادوا إلى الدور السفلي، كانت الجثة قد أُزيلت من المطبخ، ووضعت على نقالة داخل كيس الموتى. نظر الشرطي إلى أرجوحة الأطفال الفارغة ثم نظر إليها وقال: «هل تفقدت الأطفال، سيدتي؟».

وفجأة، شعرت أنها قد انغمست لأخمص قدميها في الأكاذيب والخيالات والمخاوف والتبريرات وشعرت بالذعر تجاه التوأميتين. شحب وجهها وهرعت إلى الطابق العلوي حيث غرفة الأطفال، وفتحت الباب على مصراعيه وأشعلت الأضواء. كانت التوأمتان في مهدهما لم يمسهما سوء. بالطبع كانتا كذلك. تلاحقت أنفاس الشرطي الواقف بالقرب منها، وشعرت بأنفاسه الساخنة على رقبتها.

- هما بخير.

قال، وبدا الارتياح جلياً عليه.

الفصل الثامن والخمسون

في يوم الخميس الموافق الأول من نوفمبر، أصدر الطبيب الشرعي تقريرًا مفاده أن باتريك كيلجور قتل نفسه. انتشرت القصة في كل الأخبار وأُلحق بها ملخص لقصة وفاة ليندسي، والتحقيقات وتفاصيل القبض عليه، وكل شيء. عاد كل شيء إلى ذهن العامة مجددًا، وتداولته ألسنة الجميع. لكنها بخير، هذا ما تعتقده. يصدق الجميع أنه قتل نفسه، قريبًا ستموت القصة إلى الأبد، ستدفن معه.

لم تتوقع ستيفاني أنها ستعرض للاستجواب على الإطلاق، لكن مع ذلك، شعرت براحة لا تضاهي عند إصدار تقرير الوفاة. انتهى كل شيء. يمكنها أن تتخطى الأمر. لكن، منذ ارتكابها لهذا الجرم، وهي تشعر بالقلق، والانزعاج، ولا تنصرف على طبيعتها. هناك خطب ما في عقلها. لم تكن لتتوقع أيًا من ذلك. لكنها تخبر نفسها وهي تحقق إلى التوأمتين أن لكل فعل رد فعل. يستغرق البعض قدرًا من الوقت لاعتياد الأمر.

ليلة الحادث، مكثت الشرطة في المنزل معظم الليلة. اكتظ المطبخ عن آخره. اقترحوا عليها أن تمكث عند أحد أفراد عائلتها، لكنها لا تملك أيًا منهم. هانا، كبقية الجيران، خرجت إلى الشارع إثر الأضواء وسيارات الإسعاف. أخيرًا، سمحوا لهانا بالدخول إلى المنزل. أصرت هانا على اصطحاب ستيفاني والتوأمتين معها إلى منزلها، كانت ستيفاني تشعر بالامتنان لوجود مكان تذهب إليه.

ما إن انتهوا، حضر عمال النظافة المختصون في اليوم التالي وقاموا بالتنظيف. شعرت ستيفاني بالارتياح، فلم تكن تتخيل أن تنظف الآثار بنفسها. تلك الليلة، عادت إلى المنزل وحيدة، بصحبتهما التوأمتان فقط. أجبرت نفسها

على الدخول إلى المطبخ وتحضير كوب من الشاي لنفسها. ذهب الجميع، مخلفين صمتاً مطبقاً وراءهم. تجولت في المنزل حتى ساعات الصباح الأولى كما كانت تفعل دائماً، وقد جافاها النوم.

كل شيء كما كان الليلة الماضية أيضاً، لكنها توقفت عن تعذيب نفسها بالشكوك حول جرم باتريك. توقفت عن التفكير الذي لا ينتهي، وهوسها حول ما يجب فعله. انتهى كل شيء، لكن المشهد يتكرر أمامها مرة بعد مرة، تلك اللحظة التي ضغطت فيها الزناد، والطريقة التي غرست بها فوهة المسدس في شعره وألصقتها برأسه، ثم نافورة الدم والأشلاء التي انفجرت من الناحية الأخرى. لا تصدق ما أقدمت عليه يداها، كأنها كانت شخصاً آخر.

جاءت هانا لتطمئن عليها. لا داعي للبقاء بعيداً الآن بعد رحيل باتريك. وضعت تيدي في عربته واصطحبته معها كما أحضرت اللازانيا التي حضرتها بنفسها. وقفت على عتبة المنزل وبيدها هديتها، كان واضحاً عليها اهتمامها بصحة ستيفاني. ترددت ستيفاني، هي تدرك جيداً أن المطبخ وراءها. قام فريق التنظيف المحترف بتنظيف ومسح المطبخ وكان في حالة ممتازة، لا يبدو وكأن شيئاً مريعاً قد حدث بداخله منذ ثلاثة أيام. لكن مع ذلك، تشعر أن السماح لها بالدخول إلى المطبخ أمرٌ غريب.

قالت هانا: «يمكنني العودة لاحقاً إن كان الوقت غير مناسب».

لكن ستيفاني هزت رأسها وقالت: «لا، تفضلي بالدخول، أنا سعيدة برؤيتك. لم يأتِ أي شخص آخر».

لا تدري من توقعت زيارته؛ نايل؟ زوجته؟ كلاهما ظلاً بعيدين عنها. وكذلك أصدقاءها في العمل الذين قضت معهم أربع سنوات من حياتها قبل أخذ إجازة الوضع. صدقاً لم يزورها أحد سوى هانا، والآن هي ممتنة جداً لها.

- أنا آسفة جداً.

قالت بغرابة ما إن دخلت إلى المنزل هي وتيدي. وقفت وهي تحمل طفلها على خصرها، بدت غير واثقة مما يجب عليها أن تقوله أو تفعله. حملت ستيفاني صينية الطعام بين يديها واستدارت نحو المطبخ، تبعتها هانا بحذر. تعرف أنه قتل نفسه في المطبخ، كانت هنا في تلك الليلة المريضة، تجلس مع ستيفاني في غرفة المعيشة.

استدارت ستيفاني ووجدت هانا تحقق، لا تدري أين تجلس.

- يمكنك ترك تيدي في غرفة المعيشة مع الطفلتين.

أخبرتها، واستدارت هانا وهي تشعر بالراحة، وذهبت إلى الغرفة الأخرى. شرعت ستيفاني في تحضير القهوة. لاحظت ارتعاش يدها وهي تضبط مقادير القهوة وتضعها في الماكينة، ما ستعتقده هانا مهمًا، تشعر بالقلق الآن. هل كانت صريحة كثيرًا عندما أخبرت هانا عن قلقها حول باتريك، وعن خوفها من أن يؤذي نفسه؟ هل انفضحت نواياها؟ هل كان عليها أن تلتزم الصمت، وتترك الأمور لتصبح مفاجأة؟ تشعر بالراحة الآن لأنها لم تخبرها بشأن مسدس باتريك.

تنفست بعمق وذكّرت نفسها بأن تهدأ. لن تشك هانا في الحقيقة. كانت موجودة تلك الليلة ورأت كم كانت محطمة. لن تتوقع أن ستيفاني قادرة على حمل مسدس وتصويبه في وجه زوجها وتفجير رأسه. لكن هانا شديدة الملاحظة، وقد تشك في راحة ستيفاني وسعادتها حتى بعد اختفاء زوجها من حياتها بهذه الطريقة، لكنها لن تشك أبدًا في مقدرة ستيفاني على الضغط على الزناد.

أحضرت القهوة إلى غرفة المعيشة، وجلستا صامتتين لفترة، لا تدري أيُّ منهما عما تحدث. تحدثتا بشأن الأطفال كبدية، أخيرًا، جمعت هانا شجاعته وسألته: «ماذا بعد؟».

زفرت ستيفاني، ووضعت قهوتها.

- الجنازة صباح الغد. ستكون جنازة خاصة، لا تجبري نفسك على المجيء. سنحرق الجثة⁽¹⁾.

- إن شئت، سأتي.

- أتمنى ألا تفعلي، في الواقع أمل أن تعتني بالتوأمتين من أجلي.

- بالطبع.

بدأت هانا مرتاحة لأنها لن تضطر إلى الذهاب إلى الجنازة، وهي متشوقة لعمل شيء مفيد قد يساعد ستيفاني.

(1) حرق الموتى عادة قديمة تستخدم كطقس بديل لعملية دفن الجثة السليمة في التابوت. لا تعد عملية حرق الموتى بديلًا عن الجنازة وإنما هي بديلًا عن الدفن أو غيرها من أشكال التخلص. (المترجم)

- تعلمين أنني دوماً هنا من أجلك.

قالت وهي تضع يدها بلطف على ذراع ستيفاني.

أومأت ستيفاني، ممتنة، هانا لا تستدعي القلق، حتى وإن كانت كلتاها على دراية بأن كل مشكلات ستيفاني قد انتهت.

الفصل التاسع والخمسون

لم تحضر إيريكا جنازة باتريك، لكنها جلست في سيارتها في اليوم التالي أمام المنزل في حي دانبييري درايف. لم تجرِ الأمور كما خططت لها، لا يستطيع أي شخص أن يتنبأ بما يحمله الغد. قد تتخذ الأحداث مجرىَ جامحاً في أي وقت. تعلم أن ستيفاني بالمنزل، هذا هو وقت الغداء، كما أن عربة الأطفال المزدوجة الفارغة تنتظر عند المدخل الأمامي للمنزل. هي بالداخل، غالباً في المطبخ، تطعم التوأمتين. غادرت إيريكا سيارتها.

سارت بعزم عبر الشارع وقرعت جرس الباب. لم تنتظر طويلاً، فتحت ستيفاني الباب وما إن فعلت، عرفت إيريكا أن وجودها على عتبة باب ستيفاني صادم لها. تبدو ستيفاني في حالة مريضة، شعرها غير مرتب، كما أنها لا تضع أي مساحيق تجميل، وملابسها متسخة. تبدو منهكة، مستنفذة. تأمل إيريكا أن ستيفاني تعتنى بالتوأمتين بشكل أفضل.

- ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

- هل أستطيع الدخول؟

نظرت ستيفاني إلى إيريكا الواقفة على عتبة بابها باشمئزاز، لم ترغب في رؤيتها مجدداً قط.

سألتها بلهجة حادة: «لماذا أسمح لك بالدخول إلى منزلي بحق الجحيم؟ أنت نذير شؤم».

دق قلبها بجنون وهي تهم بغلق الباب في وجه إيريكا، لكن إيريكا كانت الأسرع، وأوقفت الباب بجسدها.

- اهدئي، جئت للتحدث معك فقط.

رمقتها ستيفاني بنظرة ساخطة، تتسارع أنفاسها، لا تستطيع أن تخرج إيريكا من منزلها دون أن تستخدم العنف وهي لا ترغب في ذلك. تعتقد أن إيريكا أقوى منها بكثير، فكرت في الاتصال بالنجدة، لكن شيئاً ما أوقفها.

- إذاً، هنا وقع كل شيء؟

سألته إيريكا وهي تنظر خلف كتف ستيفاني تجاه المطبخ وتشير بذقنها إلى حيث تجلس التوأمتان في مقعديهما العاليتين المتماثلتين.

لم تنبس ستيفاني بكلمة، بينما تجاوزتها إيريكا ودلفت إلى المطبخ. أغلقت الباب الأمامي خلفها وتبعته.

قالت إيريكا وهي تلتفت لتنظر إلى ستيفاني: «هكذا إذاً. حُلَّت جميع مشكلاتك».

قالت ستيفاني بحدة: «أنتِ جريئة جداً».

- أنا أعيد صياغة الحقيقة فقط، وأنتِ تعلمين ذلك، أنتِ تخلصتِ من زوجك الخائن القاتل.

تجنبت ستيفاني النظر في عينيها، إيريكا تجعلها متوترة. تشعر بالأعياء في أحشائها.

قالت إيريكا: «حقيقة، أنا لا أهتم. التخلص من باتريك كان أمراً جيداً، نال ما يستحقه هذا الحقيير. هذا العالم أفضل بكثير من دونه، ألا تتفقين معي؟».

لا تستطيع ستيفاني أن تقرأ ما تريده إيريكا، ولماذا هي هنا؟

- ماذا تقصدين؟

- جئت لأخبرك أنك أحسنَتِ صنعاً.

غاص قلب ستيفاني في جوفها.

- ما قصدك؟

«أعني»، ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفيتها، «إن كنتِ أنتِ من قتله، فأنا أبارك صنيعك هذا».

صرخت ستيفاني بوجهها: «ماذا تقولين بحق الجحيم؟ باتريك انتحر، أخبرته أنني سأرفع دعوى طلاق وسأخذ التوأمتين وميراثي معي، ذهبت بالفعل لرؤية محامي طلاق».

نظرت إيريكا إليها بعينين باردتين: «دعينا لا نخدع أنفسنا، لم تكن لدى باتريك نوازع انتحارية».

تركت الصمت يطول بينهما، كانت تستمتع بوقتها.
- لا تقلقي، لن أفتح فمي بشأن هذا الأمر، ليس بعد على الأقل.
ابتسمت مجددًا، ثم قالت: «سأخرج بمفردي».

بعد أن غادرت وأغلقت الباب الأمامي وراءها، استدارت ستيفاني نحو حوض المطبخ وتقيأت كل ما في جوفها بعنف. غسلت فمها متجاهلة الطفلتين اللتين تبكيان بعنف في مقاعدهما المرتفعة. شرعت في السير جيئةً وذهابًا في المطبخ.

إيريكاً تعلم، إيريكاً تعلم، إيريكاً تعلم.

توقفت، كان عليها أن تتوقع هذا، لماذا لم تتوقع كل ذلك؟ تخيلت أن إيريكاً قد خرجت من حياتهم بعد إطلاق سراح باتريك، وتشوّه سمعة إيريكاً. لقد بذلت أسوأ ما يمكنها فعله وفشلت. ركزت ستيفاني كثيرًا على التخلص من باتريك... ارتفع صوت الطفلتين بالبكاء، لكنها استمرت في تجاهلهما.

إيريكاً تسعى وراء أموالها، ستحاول إيريكاً أن تبتزّها، ستفعل بها ما فعلته بباتريك. تاجرت إيريكاً بالمخدرات، وباعت طفلها من أجل المال. بالطبع ستحاول ابتزازها حتى تدفع.

أخيرًا، أنهكت ستيفاني نفسها. ألقت بجسدها على الكرسي قبالة التوأمتين، نفس الكرسي الذي جلس باتريك عليه حينما ضغطت الزناد. التقطت الملعقة التي وضعتها جانبًا عندما قرعت إيريكاً جرس الباب. احمرّ وجهه كلّ من إيما وجاكي وشرعتا في الصراخ بسبب تجاهلها لهما، يمتلئ وجهاهما المنزعجان بالدموع والمخاط وطعام الأطفال. رفعت ملعقة ملأى بالجزر المهروس نحو فم إيما المفتوح والمتحمس. لكن عينيها تخطت وجه إيما ونظرت إلى الخزانة البيضاء وراءها. تذكرت الدماء المتناثرة هناك. أغلقت عينيها، وصرخت الطفلتان.

بكل ما تملكه من عزيمة، فتحت عينيها مجددًا وركزت على الطفلتين. أخذت بضعة مناديل مبللة من فوق الطاولة ونظفت وجه إيما أولاً ثم وجه جاكي. رسمت تعبيرًا مبتهجًا على وجهها، واستخدمت صوتها الرخيم. عليها أن تكون أمًا جيدة. عليها ألا تهمل طفلتيها. ستحاول إيجاد حل.

- ها نحن أولاء! حان وقت الجزر! لذيد لذيد!

أطعمت فاهيهما المفتوحين ملاعق من الجزر المهروس ذي اللون البرتقالي الزاهي. توقفتا عن البكاء، ونظرتا بعيونهما الواسعة الزرقاء إلى وجهها. تبدوان كطيور صغيرة ممتلئة في العش، بأفواه مفتوحة، تنتظر.

«أحبنا والدكما كثيرًا»، أخبرتهم بنبرة عالية، «أحبكما كثيرًا، لكن الناس قالوا أشياء مريعة عنه، كانت كلها كذبًا، كان رجلًا رائعًا، لم يرتكب أي خطأ. الساحرة الشريرة اختلقت كل هذا».

استمرت في إطعام الطفلتين وهما تبتسمان وتغرغران في وجهها. تذكرت عندما فكرت في دهن إيريكا بسيارتها تلك الليلة. بعد أن تركت إيريكا تلك الهدية للتوأمتين ولم يفعل باتريك أي شيء بشأنها، عرفت أن عليها ردع إيريكا عن الذهاب إلى الشرطة في كريمور. تلك الليلة، أخبرت باتريك أنها لم تعد تتحمل البكاء، وستأخذ استراحة بذهابها إلى السينما، وتركته يتعامل مع التوأمتين وحده قليلًا. قادت نحو ردهة السينما وحصلت على تذكرة لكنها غادرت مجددًا. أخبرت باتريك لاحقًا أنها غطت في نوم عميق خلال الفيلم. لكنها قادت نحو نيويورك، تعرف أين تقطن إيريكا فقد أخبرها باتريك سابقًا. لم تمتلك أي خطط، كانت مرهقة جدًا وتعاني الحرمان من النوم حتى تضع أي خطط. جلست في سيارتها، تفكر فيما إن كان عليها أن تقرر الجرس وعما ستقوله لها. عندما رأت إيريكا تغادر المبنى، وبدأت تسير في اتجاه الشارع، تبعثها ستيفاني بسيارتها، لكنها حافظت على مسافة بينهما.

تصرفت دون تفكير، إيريكا كانت تسير وحدها، في شارع مظلم، لم يكن حولها أي أحد. وجدت ستيفاني نفسها تمسك عجلة القيادة بقوة، وتضغط دواسة الوقود وقد انصبَّ كل غضبها على الجسد الوحيد أمامها. لم تقصد إلحاق الأذى بإيريكا قط، جُلُّ ما رغبت به هو أن تخيفها، لكنه كان وشيئًا؛ كانت غاضبة جدًا، وبالكاد توقفت في الوقت المناسب.

عادت إلى المنزل وهي ترتجف طوال الطريق، تشعر بالصدمة في نفسها، وفيما كادت أن ترتكبه عندما فقدت السيطرة على نفسها، لكن ما فعلته أتی بثمار مختلفة، إيريكا ذهبت مباشرة إلى القاضي الشرعي.

على الأقل، الآن تعرف ستيفاني حقيقة باتريك، وهي ممتنة حقًا. تمامًا كما أخبرتها إيريكا، من الجيد أنها عرفت.

ابتسمت التوأمتان وغرغرتا في وجهها، لكن إيريكا عادت لافتعال المشكلات مجددًا. عليها أن تفكر في حلٍّ ما. يتوجب عليها ذلك.

الفصل الستون

قادت إيريك سيارتها وعادت نحو نيويورك، سعيدة بنفسها وبما آلت إليه الأمور. لم تتوقع هذا التغير في مجريات الأحداث. لكنها قادرة على التغلب على الصعاب كيفما كانت، وهي تحل أينما وجدت الفرص.

لم يكن باتريك يعني لها أي شيء مطلقًا. أقاما علاقة حميمية وهذا كل ما في الأمر. لم تهتم بشأنه قيد أنملة، وكذلك هو لم يهتم بشأنها قط. كانت رغبة جسدية فقط. لكن، عندما توفيت ليندسي، فاجأها الأمر، وشغل تفكيرها. فكرت في مدى ملاءمة وفاة ليندسي لمصلحة باتريك، واعتقدت أنها كانت جريمة مثالية.

لم تعتل وجهه نظرة انتصار، ولم يتبادلا نظرة صامته في موقع الحادث ذلك اليوم. لكنها راقبته وفكرت، اعتقدت أنه كان يقوم بالتمثيل. لم يخبرها قط بعدم سعادته مع زوجته، لكنها استنتجت ذلك وحدها. إن كان سعيدًا جدًا مع زوجته، لماذا طارحها الغرام؟ ولماذا لم تبد عليه الحماسة بشأن الطفل؟ لا يتطلب الأمر عالمًا عبقرياً حتى يكتشف الحقيقة.

لم تكن متأكدة، لكن ما إن ساورتها الشكوك حول قتله لزوجته عمداً، قررت أن تراقبه، وتحفظ بالأمر في جعبتها للمستقبل حين تحتاج إلى المال. باتريك كان ذكياً وطموحاً، كانت متأكدة من نجاحه يوماً ما. كما كان زواجه من امرأة ثرية ميزة إضافية. لم يفاجئها الأمر؛ فلم يكن باتريك مختلفاً عنها؛ كان منتهزاً للفرص مثلها تماماً. كان يتمتع بحظ أفضل فقط. لكن يبدو أنه استنفد رصيد حظه كاملاً.

انتظرت حتى حصلت ستيفاني على أموالها، ثم شرعت في تنفيذ خطتها. لم تجر الأمور كما خططت لها، فستيفاني كانت عنيدة جداً ولم ترغب في دفع

المال. لكن لا بأس، تستطيع أن تحل الأمور بسهولة بعدما قتلت ستيفاني باتريك، هذا ما قالته إيريكاً لنفسها. لا تساورها أي شكوك حول ذلك مطلقاً. في الوقت الحالي، لديها أمور أخرى عليها الاعتناء بها. يتجنب نايل مكالماتها مؤخرًا. لم تتوقع أن يكون مراوغًا هكذا. لكنها ستتحدث معه في النهاية، وعندما تفعل، لن يروقه ما ستقوله له. كما أن عائلة مانينج راضون تمامًا لها، سيفعلان كل ما بوسعهما لحماية الولد من الحقيقة.

حدقت نانسي خارج نافذة غرفة المعيشة وهي تختبئ خلف الستائر. تشعر هي ونايل بالذعر. حاولت إيريكاً مهاتفة نايل مجددًا، حتى إنها حضرت إلى مكتبه، لكن كيري تلقت تعليمات بأن تقول إنه بالخارج. نجح الأمر، فقط لأنه توقف عن قيادة سيارته التيسلا، لذا لم تعد إيريكاً قادرة على تحديد مكانه. يستقل نايل سيارات أوبر كثيرًا هذه الأيام. لكنه حل قصير الأجل.

استطاعت إيريكاً أن تحييطهما بالخوف من كل الجهات، وهما يبغضان الأمر، يتفق كلاهما على ذلك. تعلم نانسي أن إبعاد إيريكاً عن نايل في العمل يجعلهما عرضة أكثر للخطر في المنزل، فإيريكاً تعرف محل إقامتهما. سبق أن كانت هنا، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تظهر مجددًا على عتبة بابهما. تقضي نانسي غالبية يومها أمام النافذة هكذا، تراقب. تعتقد نانسي أن الاستفادة الوحيدة من كل هذا أن زوجها لن يفكر في خيانتها مجددًا. كلاهما يرى أن وجود إيريكاً الملح تهديد حقيقي. لا يمكنهما العيش مع هذا الخوف إلى الأبد، عليهما فعل شيء ما.

جلس جاري مانينج بهدوء في سيارته المؤجرة من طراز «لكزس» في موقف السيارات الواقع تحت البرج المكتبي الذي يعمل به في وسط مدينة دينفر. حلّ الظلام، لكنه لا يرغب في العودة إلى المنزل بعد، ففي انتظاره ليلة أخرى من البكاء والهستيريا داخل القبو، وهو لا يدري إلى أي مدى يمكنه أن يتحمل.

هو يحب شيريل، ويحب ديفين، إنه ابنهما، وهو ولد رائع، لذا لن يسمحاً لأمه البيولوجية بإفساد حياته بإخباره أمورًا لا يرغب في سماعها. تذكر جاري

عندما شاهد ديفين في ملعب كرة القدم ذلك اليوم، كم كان يشعر بالفخر. لم يكن يشعر بفخر أكبر حتى ولو كان ديفين ابنه البيولوجي.

لكنه الآن في حالة فوضى مريعة، تطالبهما إريكا بالمزيد من الأموال حتى تُبقي فَمَها مغلقًا، يرغب في الذهاب إلى الشرطة، لكنه لا يستطيع، فتأثير انتشار الخبر على عمله لا يمكن تخيله. دفعًا لها مئة ألف ليحصل على ديفين. عقدا صفقة مع الشيطان منذ سنوات عدة. إريكا تعي جيدًا أنهما لن يلجأ إلى الشرطة.

لا يتحمل جاري رؤية شيريل مستاءة طوال الوقت، لكنه يتفهم الوضع، ترعبها فكرة خسارة ديفين، سيتسبب تواصله مع أمه البيولوجية ومعرفة الحقيقة عن أبويه البيولوجيين بصدمة لا تحتمل له. قد ينقلب ضدهما حتى. ربما هي على حق، لكن جاري لن يتحمل خسارة عائلته الصغيرة التي بذل كل جهده ووقته لتكوينها. كما أن ديفين يعرف أن هناك خطبًا ما؛ سألهما ليلة أمس لماذا يتصرف الجميع بغرابة. هو طفل ذكي.

يواجه جاري صعوبة في الحصول على المال، يستطيع أن يفعلها، لكنه ليس بالأمر الهين، إلا أن عائلته تأتي أولًا.

لو ماتت إريكا قوس، ستنتهي كل مشاكله.

خاتمة

سجلات ايلسفورد

9 نوفمبر 2018

استطاعت السلطات التعرف على هوية امرأة التُقطت جثتها من نهر هدرسون هذا الصباح، المرأة المتوفاة هي إيريكافوس البالغة من العمر 31 عامًا، من نيوبورغ، نيويورك.

انتشلت شرطة مقاطعة «أورانج» صباح اليوم جثة المرأة بالقرب من جسر نيوبورغ-بيكون إثر تلقي مكالمة من أحد العدائين الذي لاحظ الجثة تطفو فوق سطح النهر قبيل الساعة السابعة صباحًا.

شغلت السيدة فوس عناوين الأخبار مؤخرًا بعد تقديمها دليلًا في قضية وفاة ليندسي كيلجور من كولورادو عام 2019.

ما زال سبب الوفاة مجهولًا حتى الآن.

شكر وتقدير

يملؤني الامتنان دائماً وأبداً نحو ناشري البريطانيين والأمريكيين والكنديين الذين سمحوا لي بأخذ فرصة قبل ناشري لهذا الكتاب بخمسة كتب ولم يتراجعوا عن هذا القرار قط. ومرة أخرى، ومن أعماق قلبي، شكراً لاري فينلي، بيل سكوت-كير، فرانكي جراي وتوم هيل وبقية أعضاء الفريق الرائع في «ترانسوورد» بالمملكة المتحدة، كما أصل الشكر لبريانتارت، بامبلا دورمان، جيرامي أورتن، بن بترون، وبقية أعضاء الفريق المميز في «فيكينج بينجوين» في الولايات المتحدة؛ بالإضافة إلى كريستين كوكران، إيمي بلاك، هافنا شوهان، إيما إنجرام، وكامل أعضاء الفريق المخلص في «دوبلداي» في كندا. ينبغي لي أيضاً أن أشكر العديد من الناشرين الآخرين حول العالم الذين يبذلون جهداً رائعاً في إتاحة أعمالي لمزيد من القراء من خلال ترجمتها للغات مختلفة.

جزيل الشكر مرة أخرى لهيلين هيلر، أفضل وكيلة قد يحظى بها كاتب قصص إثارة وتشويق في العالم، لا أستطيع أن أعبر عن مدى امتناني لك. شكراً مجدداً إلى كامبلا وجيما وجميع العاملين في وكالة «مارش» لعملهم الرائع المتواصل في تمثيلي في جميع أنحاء العالم.

ما زلت لا أصدق إلى أين صرت اليوم، لكن الفضل يعود إليكم جميعاً حقاً. شكر خاص، مرة أخرى، لجين كافولينا لكونها محررة استثنائية.

شكراً مرة أخرى لمستشاري الخاص في مسائل الطب الشرعي، مايك إيليس، الحاصل على ماجستير في علوم الطب الشرعي من جامعة ترينت. أنا ممتنة جداً لمساعدتك يا مايك!

شكرا لأورورا ليديا دومينجيز، التي استحققت أن يستخدم اسمها كشخصية في هذا الكتاب، لدعمها مؤسسة «برووارد بابليك ليبريري».

كالعادة، أي أخطاء في هذا الكتاب تقع على عاتقي وحدي؛ لم أبحث كثيرًا عن الجوانب الإجرائية لجلسات التحقيق، وأخذت مساحتي من الحرية من أجل القصة.

أود أيضًا أن أشكر جميع القراء وبائعي الكتب والمدونين وأمناء المكتبات والمتحمسين الذين يقيمون المهرجانات بلا كلل، شكرًا لكم جميعًا لدعمكم الكتاب والكتب والقراءة. كتّاب الجريمة هم الأكثر دعمًا والأكثر مرحًا من بين الجميع، ويسعدني جدًا أن أكون جزءًا من هذا المجتمع.

وأخيرًا، جزيل الشكر لزوجي وأولادي والقط، لم أكن لأحقق كل هذا دونكم. خالص الشكر لجوليا، لكونها قارئة ثاقبة، ولمانويل، شكرًا لك على الزهور التي وضعتها على مكتبي خلال مرحلتي الأخيرة من الكتابة؛ أنت الأفضل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

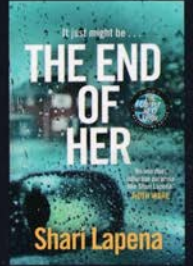
نهاية امرأة

نستهل الأحداث باتهام صادم...

باتريك وستيفاني زوجان حديثان، رُزقا مؤخرًا بتوأمين حديثي الولادة، بينما تعاني ستيفاني الآثار المربكة المترتبة على الحرمان من النوم، كانت على يقين من شيء واحد فقط؛ أنها تحظى بكل ما تمثته يومًا ما.

ثم ظهرت امرأة من الماضي لتوجه إلى زوجها اتهامات مروعة حول وفاة زوجته الأولى، لطالما أدعى أنها ماتت في حادث، لكن تلك المرأة تقول إنه قتلها عمدًا.

هو يصّر على براءته وأن ما يحدث معه مجرد محاولة ابتزاز، لكن هل يقول باتريك الحقيقة؟ أم أن ستيفاني قد ارتكبت خطأ فادحًا؟ ماذا سيحدث في النهاية؟



غلاف: عبد الرحمن الصواف

مكتبة
t.me/soramnqraa



aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb